



مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - الجزء الثالث - المجلد السابع والاربعون

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م





مجلة المجمع العلمي

الجزء الثالث ـ المجلد السابع والاربعون
بغـداد
١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م

شروط النشر وضوابطه

١ ــ تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢ ــ لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعى الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣ ــ يشترط في البحث ان لايكون قد نشر او قدم للنشر في مجلة خرى.

٤ ــ تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى اصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥ ــ هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى اصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .

٦ ــ يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات التالية :

أ ــ أن يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة او مكتوباً باليد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة .

ب ــ ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

جـ ــ يجب ان لا تزيد عدد الصفحات عن (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الاف وخمسمائة كلمة .

د ــ ان يكون مستوفياً للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقاً تاماً حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

هـ ــ يرفق بالبحث ما يلزمه من اشكال او صور او رسوم او خرائط أو بيانات توضيحية اخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر اذا كانت مقتبسة .

و ــ ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربياً .

ز ــ يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

ح ــ تكتب الكلمات الدالة باللغة الانكليزية .

٧ ــ يعطي صاحب البحث ــ عند نشره ــ ثلاث نسخ من المجلة مع عشرة مستلات من بحثه .

البحوث لاتعبر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

هيئة التحرير

ـ توجه البحوث والمراسلات الى : رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي
المجمع العلمي ـ ص . ب. (٤٠٢٣) بغداد ـ جمهورية العراق
هاتف : « ٤٢٢١٧٢٣ ـ ٤٢٢٢٠٦٦ » فاكس : ٤٢٥٤٥٢٣ / ١ـ ٩٦٤
E-mail : aos@uruklink.net

ـ الاشتراكات : داخل العراق (٤٠٠٠) دينار سنوياً .
خارج العراق (٥٠) دولار امريكي سنوياً وتضاف اجرة البريد .

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

كوريا الجنوبية والتنمية

ا. د. ناجح الراوي
رئيس المجمع العلمي

الملخص

تمكنت كوريا الجنوبية خلال العقود الاربعة الماضية أن تنتقل من دولة متخلفة الى دولة حققت نموا اقتصاديا كبيرا وتقدما صناعيا ملحوظا .
يستعرض البحث خلفية كوريا ونظام التعليم ، ومؤسسات العلم والتقانة ومؤسسات التمويل وترابط هذه المؤسسات وتفاعلها واسهامها في نقل التكنولوجيا وتوظيفها ، وانجاح خطط التنمية لا سيما في مجال الصناعات الالكترونية وصناعة السفن والسيارات .

ويختتم البحث بالنظرة الى مستقبل كوريا الجنوبية في ضوء التنافس الذي تشهده دول جنوب شرق آسيا واعباء وحدة الكوريتين مستقبلا .

بدأت بعض دول العالم الثالث في النصف الثاني من القرن العشرين تعد نفسها للنهوض بأنظمة العلم والتقانة من أجـل التنمية فنجح بعضها وأخفق الآخر .. ومع أن الشعب الكوري نتيجة للحرب الباردة بعد الحرب العالمية الثانية قد جزىء الى قطرين هما جمهورية كوريا في الجنوب وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية في الشمال فقد تمكنت كوريا الجنوبية خـلال العقود الأربعة الماضية أن تحقق نمواً اقتصادياً خارقـاً وأخذت تتطلـع الى منافسة اليابان والدول المتقدمة الأخرى في العالم بعد أن كانت تعد من دول العالم الثالث ضعيفة النمو ، وكان معدل دخل الفرد من الناتـج القومي الاجمالي لا يزيد عن مائة دولار في عـام ١٩٦٠ . فكيف حققـت كوريـا انجازاتها في التنمية ؟ وما هي الدروس والعبر التي يمكن للدول النامية أن تستنبطها من التجربة الكورية ؟

١ ـ خلفية كوريا : الأرض والشعب [١] :

تمتد شبه الجزيرة الكورية جنوبـاً من القطاع الشمالي الشرقي لقارة آسيا بطول ألف كم من الشمال الى الجنوب وتشترك معظم حدودها الشمالية مع الصين وتشكل الجبال نحـو ٧٠٪ من أراضيها . تتمتـع كوريا بأربعة فصول مناخية متنوعة وتتراوح درجات الحرارة بين ١٥ درجة مئويـة تحت الصفر في الشتاء الى ٣٤ درجة مئوية في الصيف الممطر .

يتكلـم الكوريون لغة واحـدة تنتمي الى مجموعـة اللغات الأورالية والالطائية وهم من أصل واحد متجانس يعود الى سلالة من قبائل المغول التي هاجـرت الى كوريـا من آسيا الوسطى ولا وجـود يذكر للأقليات فيها . اخترعت الحروف الكورية في القرن الخامس عشـر الميلادي بعـد ان كانت تكتب بالحروف الصينية . أصبحت كوريـا في القرن التاسـع عشر موضعاً

للمنافسة بين الصين واليابان وروسيا واحتلت من قبل اليابان منذ ١٩١٠ حتى عام ١٩٤٥ ٠

بلغ تعداد جمهورية كوريا ٤٥ر٧ مليون نسمة عـام ١٩٩٧ بواقع ٤٣٩ نسمة لكل كم٢ ٠ وكان النمـو السكاني السريـع (٣٪ سنوياً عام ١٩٦٠) يمثل مشكلة اجتماعية كما هو الحال في معظم الدول الناميـة ، وقد تم كبح هذا النمو ، وأصبحت نسبة النمو ٠ر٩١٪ عـام ١٩٩٢ ٠ يعيش نحو ٨٠٪ من السكان في المدن ونحو الربع في العاصمة سيئول ٠ يشكل الذيـن لهم ديانة او عقيدة نسبة ٥٤٪ من السكان منهـا : البوذيـة بنسبة ٥١ر٢٪ من من مجموع أصحاب الديانات والمسيحية [البروتستانت] ٣٤ر٤٪ والمسيحية (الكاثوليـك) ١٠ر٦٪ والكونفوشيوسية ١ر٨٪ ويوجـد نحو ٢٠٠٠٠ من المسلمين ٠

بلغ متوسط عمر الفرد في كوريا الجنوبيـة ٧١ر٣ عاماً في سنة ١٩٩٢ ويتوفر طبيب واحد لكل ٧٨٣ شخصاً وسرير في المستشفى لكل ٢٨٨ شخصاً٠

٢ ـ التعليـم :

ان السلم التعليمي في جمهورية كوريا مطابـق لسلم التعليم العراقي من حيث عدد سنوات الدراسة فهو مقسم الى ست سنوات للتعليم الابتدائي الإلزامي منذ عام ١٩٥٣ ، وثلاث سنوات للدراسـة المتوسطة التي أصبحت إلزامية منذ عام ١٩٩٢ ثم ثلاث سنوات للتعليم الثانـوي الأكاديمي أو المهني وان مدة الدراسة بالمعاهد الفنية سنتان وفي الجامعة أربـع سنوات باستثناء كليات الطب وطب الأسنان حيث تكون مدة الدراسة فيها ست سنوات ٠

مثلث موازنة التعليم عام ١٩٩٣ نسبة ١٩ر٢٥٪ من مجموع النفقات الحكومية أي نحو ٢ر٨٪ من الناتج القومي الاجمالي تطور الى ٣ر٧٪ عام ١٩٩٦ .

أن احصائية عام ١٩٩٢ تشير الى ان عـدد طلبة الدراسة الابتدائية بلغ ٤٥٦٠١٢٨ طالبا في ٦١٢٢ مدرسة ، وان عـدد المعلمين ١٣٨٨٨٠ معلما ، وان هناك ٦٢٦ معهدا للتعليم العالي منها ١٢١ كلية وجامعة وبها ١٠٧٠١٦٠ طالبا و ١٢٦ كلية مهنية متوسطة (معهد فني) بها ٤٠٤٩٩٦ طالبا . وان ٨٠٪ من المعاهد هي معاهد خاصة . وان المعاهد التعليمية العليا في كوريا تحت مراقبة وزارة التعليم واشرافها . في كوريـا جامعة الاذاعة والمراسلة مـدة الاتنساب لها خمس سنوات وتعطي درجة جامعية معادلـة للشـهادات الجامعية[١] .

٣ ـ مؤسسات العلم والتكنولوجيا :

بدأت كوريا منذ منتصف الستينات من القرن العشرين تدرك أهمية مؤسسات العلم والتكنولوجيا من اجل تحقيق النهضة والتنمية فأسست عددا من المراكز العلمية والتكنولوجية التي تخدم عملية التصنيع والتنمية وتم التركيز على مراكز نقل التكنولوجيا التي تحول التكنولوجيا المتوفرة من مصادرها الى المستفيد الذي يحتاجها ويتمكن من تطبيقها ، والمساعدة على نقل المعلومات والتعليمات وتفكيكها وتبسيطها بشكل او باخر ، وتقديم الخدمات الاستشارية . كما ركزت كوريا على مؤسسـات تمويـل النشاط التكنولوجي[٢] .

وقد أسس مجلس الارتقاء بالعـلم والتكنولوجيـا برئاسـة رئيس الجمهورية عام ١٩٨٢ لاعطاء هذا القطاع الاهمية المطلوبة . ويمكن تصنيف المؤسسات والمراكز حسب اهتماماتها بثلاثة حقول متداخلة هي[٣] :

٣ ـ ١ ـ المؤسسات العلمية : التي تعنى بالبحث العلمي وفيها :

٣ـ١ـ١ـ وزارة العلم والتكنولوجيا (MOST) •

أسست عام ١٩٦٧ وهي الجهة المركزية المسؤولة عن رسم سياسة العلم والتكنولوجيا والتخطيط والتنسيق بين الجهات المعنية وتحفيز المنظمات المختلفة في كوريا • وقد ساعدت الوزارة على سن عدد من القوانين والانظمة التي تشجع العلم والتكنولوجيا •

ومن الجدير بالذكر ان في كوريا وزارات اخرى معنية بالعلم والتكنولوجيا والتنمية كوزارة التعليم ووزارة الشؤون البيئية ووزارة التجارة والصناعة والطاقة ووزارة الزراعة والغابات والاسماك ••• الخ •

٣ـ١ـ٢ـ الجامعات والكليات والمعاهد :

التي تعنى بتخريج الملاكات وتتولى الاشراف على الدراسات العليا ، فضلا عن مراكز التدريب المهني واعادة التأهيل •

٣ـ١ـ٣ـ المعهد الكوري المتقدم للعلوم (KAIS)

أسس عام ١٩٧١

٣ـ١ـ٤ـ مدينة « دايدوك » العلمية (DAEDUK)

التي اكتمل بناؤها عام ١٩٩٢ وتحتوي على ثلاث جامعات وستين معهداً للأبحاث والتنمية[١] وقد أسست على غرار المدن العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية (Science Park) و تسكوبا في اليابان وذلك لتكوين القيادات العلمية المتميزة وتسهم في تطوير العلم والتكنولوجيا[٣] •

٣ ـ ٢ ـ المؤسسات التكنولوجية :

٣ـ٢ـ١ـ المعهد الكوري للعلم والتكنولوجيا (KIST)

أسس عام ١٩٦٦ ليكون معهداً مستقلاً للبحوث الصناعية المختلفة ولدعم الصناعة ولا سيما في المجالات التي تتطلب خطط التنمية الاقتصادية تأكيدها لحل بعض الاختناقات التي تعيق التقدم . ويعمل المعهد بالتعاقد ليجعل الباحثين على اطلاع بتكنولوجيات السوق وتتجه البحوث لحل المشاكل القائمة.

٣ـ٢ـ٢ـ المؤسسة الكورية للتقدم التكنولوجي (K - TAC)

أنشئت عام ١٩٧٤ لبيع نتائج المعهد الكوري للعلم والتكنولوجيا (KIST) ولها شركات متخصصة .

٣ـ٢ـ٣ـ المؤسسة الكورية لتطوير التكنولوجيا (K - TDC)

وهي مؤسسة عامة أسست عام ١٩٨١ لتشجيع المشاريع البحثية في الصناعة التي فيها مخاطرة الخسارة مع احتمال أرباح عالية .

٣ـ٢ـ٤ـ بيت تجهيز المعلومات البحوث الصناعية (KORSTIC)

أسس لمساعدة المعهد الكوري للعلم والتكنولوجيا (KIST) .

٣ـ٢ـ٥ـ المعهد الكوري للبحوث والمقاييس (KSRI)

لقد تم إنشاء مركز للسيطرة النوعية وخدمات التقييس كخطوة أولى ثم تطور الى المعهد الكوري للبحوث والمقاييس لينظم المنتوجات الصناعية ويدعمها ويطور نوعيتها ، وذلك لأن نمو الصناعة الكورية قد زاد من حاجتها الى التكنولوجيا المتطورة ولهذا بدأت المختبرات ومراكز البحوث تؤسس للصناعات المختلفة .

٣ ـ ٣ ـ المؤسسات التمويلية :

ومنهـــا

٣ـ٣ـ١ـ المؤسسة الكورية لتمويل التكنولوجيا (KTFC)

أسسها بنك التنمية الكوري عام ١٩٨٥ وتمنح المؤسسة قروضا للبحث والتطوير لتحسين عملية التصنيع ولتشجيع التكنولوجيا الجديدة .

٣ـ٣ـ٢ـ المؤسسة الكورية للاستثمار في التنمية (K - DIC)

أسست عام ١٩٨٢ وتتكون من عدد من الشركات المالية في سيؤل تمول بالأجل القصير لتشجيع المشاريع الصناعية الصغيرة والمتوسطة وتقويتها .

٣ـ٣ـ٣ـ المركز الاقتصادي والتكنولوجي الكوري (KIET)

ويقدم هذا المركز معلومات تفصيلية للمنشآت الصغيرة من خلال مكتبة علمية واسعة ومن خلال الاتصال ببنوك المعلومات المحلية والعالمية[٤] .

لقد انتشرت المعاهد والمراكز والمؤسسات وتوسعت بين تنظيم واجراء البحوث ونقل البحوث الى تكنولوجيا وانتاج ، وبين مؤسسات تمـــول وتشجع الأنشطة البحثية والصناعية بشكل متكامل مما شجع كوريا على زيادة الاستثمار في البحث العلمي والتطوير . ويتم تقديم اعفاءات مـــن الضرائب وحوافز كقروض لمساعدة الشركات في زيـــادة نشاطها في البحوث بما يتراوح بين ٣٪ الى ٤٪ من اجمالي المبيعات .

٤ ـ خطط التنمية :

بعد الحرب الكورية (١٩٥٠ـ١٩٥٣) حاولت الولايات المتحـــدة الامريكية لاسباب سياسية أن تساعد جمهورية كوريا لتكون نموذجا دعائيا للنظام الرأسمالي الغربي لا سيما وان وجود القوى البشرية رخيصة التكاليف كونت عامل جذب للشركات متعددة الجنسية فأسهمت بأستثماراتها الكبيرة في المشاريع الصناعية وتمويل البنى الارتكازية الاساسية للتطور .

لقد استفادت كوريا الجنوبية من تجربة اليابان وحاولت اقتفاء طريقها ونجحت في تحقيق ذلك اذ كانت عام ١٩٦٠ من البلدان النامية المتخلفة والفقيرة ، فكان نصيب الفرد من الناتج القومي الاجمالي (GNP) مائة دولار أمريكي (حيث كان الناتج القومي الاجمالي ٢ بليـون دولار) • أزداد الى ٢٨٠٠ دولار عام ١٩٨٩ (بناتـج قومي اجمالي يقارب ٢٨٠ بليون دولار)[٥] ثم تطور الى ١٣٩٥٠ دولار عـام ١٩٩٧[٦] • فكيف حصل ذلك ؟ لقد اهتمت كوريا الجنوبية بأنشطة العلم والتقانـة وأسست المراكز وقدمت كل دعم ممكن لها ، فبينما كانت تصرف ٨ر٠٪ من اجمالي الناتـج القومي على البحث والتطوير عام ١٩٨١ أزداد ذلك الى ٢ر٢٪ عام ١٩٩١ وخططت لان تصرف ٥٪ عام ٢٠٠١[١] وهي نسبة عالية قد لا يمكن الوصول اليها •

٤ ـ ١ ـ الأسس التي اعتمدت في التنمية :

لقلة الموارد الطبيعية الكورية ومحدودية حجم السوق المحلية ووجود القوة البشرية المدربة والكفوءة ، اعتمد المخططون الاقتصاديون ستراتيجية خاصة تعتمد على الانفتاح على العالم ، وجعلت من تصدير المنتجات الصناعية هدفا ستراتيجيا • وقامت الحكومة بدور مهم في جهود التنمية اذ تبنت سعر العملة الاجنبية الموحد ووفرت التمويل القصير الاجل للمصدرين كما تم تبسيط الاجراءات الكمركية مما مكن المصدرين من استيراد المواد الخام بسهولة ، وتم تشجيع الاستثمارات الاجنبية بشدة[١] •

لقد ازداد نصيب قطاع التصنيع من الناتج القومي فأصبح عام ١٩٩٢ يمثل ٨ر٣٣٪ ووصل الحجم الكلي للتجارة الى اكثر من ١٥٢ بليون دولار عام ١٩٩٢ مقارنة بـ ٥٠٠ مليون دولار عام ١٩٦٢ •

٤ ـ ٢ ـ الخطة الخمسية الاولى : ١٩٦٢ ـ ١٩٦٦

لتخلف البنى الارتكازية ، أولت الخطة الخمسية الاولى جل اهتمامها لانشاء البنى الارتكازية كانشاء الطرق والموانيء والاتصالات وعلى التعليم

المهني والفني • وركزت على الصناعات الخفيفة كصناعة النسيج والخشب التي تستوعب القوى العاملة وتمتص البطالة فضلا عن صناعة الاسمنت والاسمدة واستخراج الفحم • وقد خصص ٥٠٪ من راس المال الاجنبي و ٧٠٪ من القروض الاجنبية لهذه الاساسيات •

٤ ـ ٣ ـ الخطة الخمسية الثانية : ١٩٦٧ ـ ١٩٧١

توجهت الخطة الثانية نحو التوسع بالصناعات الكيمائيـة الاساسية والبتروكيمياويات وصناعة الحديـد والصلب مما احـدث حركة دينامية في الصناعة الكورية كانت ضرورية لبناء الصناعة المتقدمة •

٤ ـ ٤ ـ الخطة الخمسية الثالثة : ١٩٧٢ ـ ١٩٧٦

استمرت كوريا في التصنيع بنطاق اوسع مستفيدة من خبـرات الدول المتقدمة والخبرات الوطنية المتراكمـة حيث تطلب التنافس العالمـي الشديد والتوسع في الانتاج ادخال تكنولوجيا اكثر تقدما مما كان معروفـا سابقاً •

لقد استمرت كوريا بخططهـا فاصبـح نصيب الصناعـات الكيمياوية والثقيلة اكثر من نصف الناتـج الصناعي للدولة وأصبحت كوريا الجنوبية سادس اكبر منتج للصلب في العالم عام ١٩٩٠ ، واخذت صناعة الإلكترونيات تنمو بسرعة فائقة وتعد مصدراً مهماً لجلب العملات الصعبة ووصلت صناعة بناء السفن الى ذروتها وواصلت صناعة السيارات ازدهارها فأصبحت كوريا الجنوبية رابع دولة في صناعة السيارات عـام ٢٠٠٠ بعد أمريكـا واليابان وألمانيا • لقد رافق نجاح كوريا في التصنيع نجاحـات في القطـاع الزراعي اذ تضاعفت المنتجات الزراعية وتم الاكتفاء الذاتـي في انتـاج محصول الرز وهناك نمو سريع في انتاج الفاكهة والخضروات والمنتجات الحيوانيـة • وتم التوسع بصيد الأسماك وتقلص سكان المزارع بسبب التقدم الصناعـي من ٥٧٪ عام ١٩٦٢ الى ١٤٪ عام ١٩٩٢ •

٤ ـ ٥ ـ أسباب نجاح كوريا الجنوبية في التصنيع :

تعزى أسباب نجاح كوريا في تحقيق انجازاتها في التصنيع الى الأسباب الآتيـة[٣] :

٤ـ٥ـ١ـ تدريب القوى العاملة واحتواؤهم للتكنولوجيا المتطورة • وعودة الخبراء الكوريين المدربين في أمريكا للإسهـام في النهضة التي شهدتها كوريا •

٤ـ٥ـ٢ـ الاتفاقات التجارية مع الولايات المتحدة الامريكية واليابان•

٤ـ٥ـ٣ـ الاستغلال الأمثل للفائـدة التكنولوجية نتيجة للدخـول المتأخر في التصنيـع واستخـدام معامل وأجهزة جديدة ومتطورة •

٤ـ٥ـ٤ـ المرونة الواسعة في دخول الأجواء الاقتصادية العالمية التي شجعتها الحكومة بإقامة مناخ مناسب للمستثمرين الأجانب•

٤ـ٥ـ٥ـ فعالية مراكـز نقـل التكنولوجيا ودعـم مراكـز البحث والتطوير والصرف عليها بسخاء •

٤ـ٥ـ٦ـ قلة التخصيصات للأمور العسكرية بسبب وجـود الحماية الأمريكية (خصصت كوريـا الجنوبيـة ٨ر٣٪ من الناتج القومي الاجمالي على الجوانب العسكرية عام ١٩٩٢ مقابل ٣ر٢٦٪ لكوريا الشماليـة[١]) مما وفـر مبالـغ لخطط التنمية المدنية •

٤ـ٥ـ٧ـ طبيعة الشعب الكوري الدؤوب والصبور والملتزم •

٥ ـ الحقول الرئيسة التي تميزت بها كوريا الجنوبية :

لقد شعرت كوريـا الجنوبية بأن تنميتهـا يجب أن تبـدأ من استيراد التكنولوجيا الأجنبية المتقدمـة ، على أن تستمر بأنتـاج الحاجيـات المحلية المطلوبة من هذه التكنولوجيـا من أجل الوصـول الى الأكتفـاء الذاتي في

التكنولوجيا . واتبهت بأنه لايمكن جناية شيء كثير من التكنولوجيا المستوردة في غياب القدرة على التحوير والتحسين ليناسب الظروف المحلية ، لهذا بذلت جهوداً حثيثة لنمذجة التكنولوجيا المستوردة وتوطينها[٣] .

عند تطور المرحلة الصناعية التي مرت بها جمهورية كوريا ، شعرت بأن الصناعات الخفيفة والشاقة مثل صناعة النسيج والأحذية والتركيب والتجميع قد ذبلت وأصبح لكوريا منافسون فيها من باقي الدول النامية لهذا فأنها دخلت سوق التكنولوجيا سريعة التطور ، هذه التكنولوجيا التي تواجه تقدماً سريعاً ومنافسة شديدة من قبل الدول المتقدمة . لقد بذلت كوريا جهوداً واهتماماً باستخدام التكنولوجيا المتقدمة التي تمكنها الوصول الى غايتها التنموية باقتصاد موجه الى الخارج وركزت على الحقول الآتية[٧] :

٥-١- الألكترونيات المايكروية (Micro Electronics) والمعلوماتية وتكنولوجيا الاتصالات .

٥-٢- المواد الجديدة .

٥-٣- الهندسة الجينية (Genetic Engineering) والتقنية الإحيائية .

٥-٤- الطاقة والموارد التكنولوجية لتأمين تنمية مستقرة في الاقتصاد والصناعة .

٥-٥- إدخال العوامل التكنولوجية في الصناعة كالاتمتة (Automation) والربوتيات لزيادة القيمة المضافة في الإنتاجية الصناعية .

٥-٦- تكنولوجيا العلوم المتقدمة كتكنولوجيا المحيطات والفضاء للاكتشافات المستقبلية .

٥-٧- التكنولوجيا التي تساعد الناس كحماية البيئة والعناية الصحية والرخاء الاجتماعي .

٥-٨- التوسع في صناعة السيارات .

٦ ـ العلاقة بين المنشات :

تربط سلسلة العلاقــات الإنتاجيــة في جمهوريــة كوريــا نوعان من الاتصالات[٤] :

٦ــ١ــ المجال الأول : أن المقاولات الثانوية محكومة بتداخل العلاقات العمالية بين المنشأت الكبيرة والصغيرة مما يــؤدي الى تبــادل الخبرات والمعلومات التكنولوجية ، ويوجد تفاعل وثقة بين العمــال • إن التعامل التكنولوجي مدفوع من قبــل المنشأت الرئيسية للتأكــد من أن المقاول الثانوي (المنشأة الصغيرة) يلتزم بالوقت والنوعية طبقاً للمواصفات • وأن المقاول الثانوي بالتزامه هذا يســتفيد من المســاعدة الماليــة والتكنولوجية المستمرة ويزيد من اطمئنانه واستقراره •

٦ــ٢ــ المجال الثاني : يهدف التعاون الى تقليل الكلفة بالنسبة للمنشأت الكبيرة وذلك بالاستفادة من الاجور الاقل في المنشأت الصغيرة ، ان المؤسسات الكبيرة تقدم للمنشأت الصغيرة المساعدات المالية لتحسن مستواها التكنولوجي وهكذا تتداخل المعلومات والابتكارالتكنولوجي من الاكبر الى الاصغر ويتحول الابداع الفردي الى ابتكارات جماعية • وكذلك فان التعاونيات الكبيرة تساعد التعاونيات المتوسطة والصغيرة وتقدم لها المعلومات والمشورة والخدمات والمساعدات المالية لرفــع مستوياتها التكنولوجية وتساعد على تطوير نظام انتاجها •

وهكذا برزت امكانيات مشجعة في الثمانينات من القرن الماضي[٦] لتجمعات صناعية صغيرة تحاول أن تحصل على تقدم تكنولوجي مستفيدة من تجربة اليابان بالنسبة لنظام المناطق الصناعية الرئيسة والشركات الفرعية الصغيرة وذلك للتحول من استخدام التكنولوجيات القديمة التي تستخدم أعدادا كبيرة من العمال الى التكنولوجيــات المتقدمة في الصناعــة انسجاما مع التبدلات في هياكل العمل التي حدثت في كوريا والتي أدت الى زيادة ملحوظة في أجور العمال فأصبح التوجه والتركيز من ستراتيجية الصناعات

التي تحتاج الى عمالة واسعة الى اكتساب تكنولوجيات جديدة تعتمد على ابتكارات في التصاميم وعلى عمال مهرة ، والتوجه الى تحسين ظروف العمل والقدرات البشرية في التنظيم والادارة • ان التجمعات الصناعية في كوريا تستفيد من وجود صناعات أساسية وصناعات مكملة يمكن أن تقوم بها النساء في البيوت وبأسعار منخفضة[٨] •

٧ ـ كوريا والمستقبل :

عندما يصل أي بلد الى مرحلة متقدمة في النهوض بالتنمية يحاول أن يبذل جهدا وهمة عالية للمحافظة على الاستمرارية في التنمية ولهذا ستسعى كوريا الى ايجاد منتوجات صناعية لها قيمة مضافة ناشئة من رصيد القوى البشرية عالية المستوى مع الاستخدام الامثل للموارد الطبيعية والطاقة للوصول الى صناعات ستراتيجية متخصصة لتأكيد استخدام التكنولوجية المتقدمة وقوة الذكاء لا سيما وأن كوريا تتنافس مع اليابان وبلدان النمور الآسيوية التي تتعامل مع التكنولوجيات نفسها وبظروف متشابهة • فضلا عن أن كوريا الجنوبية ستجابه في مستقبل قد لا يطول أعباء وحدة الكوريتين • فشعب كوريا مقسم ولابد من أنه يتطلع الى الوحدة وتجربة المانيا ليست بعيدة عن الاذهان • وان البلدان النامية يمكنها بالتخطيط المتوازن وبذل الجهود ان تحقق نسبة نمو عالية نسبيا ولكن كلما تقدم البلد بنموه فان استمرار تحقيق نسب عالية من النمو تبدو أصعب بكثير ، وان الدول النامية التي تعتمد على المساعدات الاجنبية والشركات متعددة الجنسية قد تكون معرضة لهزات اقتصادية عنيفة كالتي حدثت لدول شرق آسيا عام ١٩٩٧ ، ومع ذلك تبقى تجربة كوريا الجنوبية في التنمية تجربة غنية يمكن أن تستفيد من دروسها الدول النامية •

المصــــادر

١ ـ حقائــق عن كوريا ـ الهيئــة الكورية للاستعلامات عبــر البحــار ـ سيؤول ـ جمهورية كوريا ـ ١٩٩٤ .

2. Martin Bell "The Evaluation and Integration of Research and Development Vis-A-Vis Industrial Enterprises".
   — Proceedings of the Workshop on : The Integration of Science and Technology in the Development, Planning and Management, Procession in ESCWA Region.
   — ESCWA, 1994.

3. Hyung Sup Choi "Science and Technology Policies in the Industrialization of Developing Country — Korean Approaches"
   — Appendix xv of "Notes on Science & Tech. And Science Education in Development of the South".
   — By Abdus-Salam.
   — The Third World Academy of Science.
   — 1989.

4. Kyung Tae Lee "Technical and Managerial Extension Services for Korean Small and Medium Enterprises, in Bhalla ed. 1991.

5. The Economist, 4th March 1989.

٦ ـ تقرير التنمية البشرية برنامج الامم المتحــدة الانمائي (UNDP) نيويورك ـ ١٩٩٩ .

7. J.S. Kim "Utilisation of Indigenous Technology and R & D Results in Korea".
   — Korea Advanced Institute of Science and Technology.
   — Seminar on Commercialization and Invention.
   — Shah Alam, Maalaysia, 1986.

8. Myung — Rae Cho "Weaving Flexibility : Large — Small Firms Relations, Flexibility and Regional Clusters in South Korea".
   — Paper presented at (EADI) Workshop on New Approaches to Industrialization Flexible Production and Innovation Network in the South. Lund, June, 1992.

دور الكيمياء في خدمة الزراعة الحديثة

القسم الثاني : الاستخدام الامثل للاسمدة الكيميائية وتكييف التربة باستخدام مواد بوليمرية

أ. د. جلال محمد صالح
عضو المجمع العلمي
أستاذ في جامعة بغداد

الملخص

تناولت أعمال الكيميائيين والزراعيين القدامى قياس مقادير العناصر الكيميائية التي تزال من التربة في عملية الزراعة وفي كيفية الاحلال بمحلها بالاسمدة الكيميائية . وجدت بعد ذلك طرائق علمية وعملية لمعرفة مقادير عناصر النتروجين والفسفور والپوتاسيوم (التي تدعى بالمغذيات) التي تتاح للمزروعات في التربة الاستفادة منها في عملية النمو ، وكذلك في تقدير كمية الاسمدة التي يجب تجهيز التربة بها للحصول على منتوج اكثر وعلى نوعية أفضل .. تطورت الامور بعد ذلك في اعتماد نماذج رياضية لدراسة العمليات التي تتم في التربة ، وكذلك تلك التي تتم داخل النبات نفسه . وتسمح هذه النماذج المعتمدة بالتنبؤ بدرجة عالية من الدقة بكميات الأسمدة اللازمة والزمن الامثل لتجهيز التربة بها .

ان استعمال البوليمرات كمكيفات التربة لايزال في بدايته ، وبالنسبة الى بعض الترب الرملية أو الغرينية أو الطينية ، أصبحت معاملة التربة بمادة بوليمرية مناسبة قبل زراعة الارض أمراً حيوياً في مضمار استصلاح التربة وجعلها صالح للزراعة . وباشتداد الضغط على الزراعة لاطعام عدد اكبر من الناس ، ولتفادي حدوث القحط والمجاعة في العالم أصبح بامكان تقنية تكييف الارض بالمواد البوليمرية تقديم الكثير الى الزراعة الحديثة .

تمهيـــد :

تُعَدُّ التربة الرأسمال الأساسي لأية زراعة ، لـــذا فان التعـــرف على خصائصها الكيميائية والفيزيائية وامكاناتهـــا الانتاجيـــة (خصوبتها) أمر ضروري ومهم لغرض الاستخدام الأفضل لها لاغـــراض الزراعـــة • تختلف الترب من حيث اللون والمظهر والمكونات • ويتم التعرف على طبيعـــة التربة وفهم بعض خصائصها من خلال الفحوصات التي تجـــري على مقطع عمودي منها قد يصل الى مترين تحت السطـــح • وتختلف البنيـــة النسيجيـــة للتربة بحسب طبيعتها ، فهي تتدرج من تربة رملية الى صلصالية وغرينيـــة طينية • وتوجد أنواع كثيرة أخـــرى من الترب التي تجمـــع خصائص بينيـــة للانواع التي أشرنا اليها آنفا • وتتباين الترب أيضا في خصائص أخـــرى مثل مدى طبيعتها الصخرية وفي مقـــدار محتواها من المـــواد العضويـــة والمعدنية • والتصنيف الاكمل للتربـــة ، وتحديـــد طبيعتها بشـــكل أدق يستلزم اجـــراء دراسات حلقية مستفيضة عليها بجانب دراسات كثيرة أخـــرى تجري عليها في المختبر لكشف خصائصها الفيزيائية والكيميائية • ولعل من صفـــات التربة المهمة التي تتطلب التثبت هي الأس الهيدروجيني (pH) وسعـــة التبادل الأيوني ودرجة المسامية والسطح النوعي وبعض الخصائص الأخرى •

تُعَرَفُ « خصوبة التربة » بأنها مقدرة التربـــة على انتـــاج محصول معين أو تتابع محاصيل عند توفر الظـــروف الاخـــرى المناسبة لهـــا ، أي أنها تمثل صلاحية التربة للزراعة الناجحـــة • تحتاج المزروعـــات الى عـــدد من المغذيات (nutrients) لغرض تحقيق النمو الجيد ومن ثم الانتاج الجيد في تربة معينة ، وان ثلاثـــة من هذه المغذيات تحتـــاج اليها النباتات بكميات كبيرة نسبياً وتسمى بالعناص الغذائية الرئيســـة وهي النتروجـــين والفسفور والبوتاسيوم ، وهي تعطي للتربة عادة على شكل أسمدة • والعنصر الغذائي هو الذي اذا حجب عن النبات بشكل كامل لايكمل النبـــات دورة حياتـــه ،

واذا تعرض النبات الى نقص واحد أو اكثر من هذه العناصر فانه لايعطي كامل اتناجه • إن عدد هذه العناصر الغذائية الضرورية لنمو النبات هو (١٦) عنصر غذائي • ان ثلاثة من هذه العناصر هي الكربون والاوكسجين والهيدروجين يحصل عليها النبات من الماء وثنائي اوكسيد الكربون • أما بقية العناصر التي تبلغ (١٣) عنصراً فانها تقسم بحسب الكميـة التي يحتاجها النبـات منها الى الأصناف الأتية :

١ ــ العناصر الغذائية الرئيسة وهي النتروجين والفسفور والبوتاسيوم •
٢ ــ العناصر الغذائية الثانوية وهي الكلسيوم والمغنسيوم والكبريت •
٣ ــ العناصر الغذائية الصغرى ، وهي الحديد والخارصين والمنغنيز والنحاس والبورون والمولبدنوم والكلور •

ونظراً لحاجة النباتات الى العناصر الغذائيـة الرئيسة بكميـات كبيرة نسبياً مقارنة باحتياجاتها من العناصر الغذائية الاخرى فانها تضاف الى التربة لتكون أسمدة لغرض تجهيز النباتات بحاجتهـا من هذه العناصـر • وليس بمقدور النباتات الاستفادة الكاملة من الاسمدة التي تجهز للتربـة ، وتبقى نسبة غير قليلة منها غير مستعملة من قبل النبات ، وهذا يؤلف خسارة مادية محسوسة بالنسبة للمزارع • والسماد الفائض عن حاجة النبات يتحول عادة الى مصدر لتلوث التربة والماء والهواء • ان استعمال السماد من قبل النبات بأكفأ صيغة ، والتقليل من الخسائر المادية والتلوثية الناجمة عن الافراط في تجهيز التربة به تـعـد الآن من أولويات الزراعة الحديثة في هذا العصر •

حافظت استخدامات الاسمدة الفوسفاتية والبوتاسيومية على مستواها في العالم خلال العقود الاربعة الاخيرة من هذا القرن كما هـو واضـح في الشكل (١) ، الا أنه يلاحظ في الوقت نفسه ازدياد استخدامـات الاسمدة النتروجينية بشكل مطرد خلال المدة نفسها • إن الزيادة الكبيرة في استخدام الاسمدة النتروجينية خير دليل على التوسع الكبير الذي حصـل في الانتاج الزراعي العالمي ، وكذلك فهو خير دليل على توجهات شعـوب العالم أجمع

نحو الزراعة • ويواجه التوسع في انتـــاج الاسمدة النتروجينيـــة في العالم صعوبات حقيقية ، اذ ان الانتاج لايسد الحاجة الفعليـــة القائمـــة الى هذه الاسمدة • والمحاولات جارية في العالم لسد النقص القائم في انتاج الاسمدة النتروجينية وفي تفادي أضرار ما يفيض منها على حاجة النبات وذلك باللجوء الى تقنية التثبيت المباشر للنتروجين من قبل النباتات بالاستعانة بانواع معينة من البكتريا • وقد أشرنا الى هـــذه التقانة والى آلية استخدامهـــا في دراسة سابقة نشرت في مجلة المجمع العلمي •

أن أنواعاً من البكتريا التي تعيش في التربـــة تقـــوم بتحويـــل النترات الموجودة في التربة أو التي تتكون فيها الى أكاسيد النتروجين ولا سيما الى اوكسيد النتروز N_2O ، وتتسرب هـــذه الاكاسيد النتروجينية الى أعالي الجو فتؤثر سلبياً على طبقـــة الاوزون • ويحصل النبـــات على حاجتـــه من البوتاسيوم من كمية هذا العنصر الموجود أصـــلا في التربة او الذي يضاف الى التربة عن طريق السمـــاد البوتاسيومي (أو السمـــاد المركب من عناصر النتروجين والفسفور والبوتاسيوم) الذي يجهـــز بها ، وان ما يفيض من هذا العنصر على حاجة النبات يبقى في التربة من دون أن ينشأ عنه ضـــرر تلوثي ، ويمكن للبوتاسيوم الفائض أن يبقى في التربة لاستفادة نباتـــات المحاصيل المتعاقبة • أما الفسفور فان بامكان النبات الاستفادة من جزء يسير منه • وقد أدى الفيض في استخدام الاسمدة الفوسفاتية على مدى عدة سنين الى زيادة محتوى التربة من هذا العنصـــر بشكل ملحـــوظ • ومعـــروف عن مركبات الفسفور السمادية بأنها قليلة الحركة في الترب التي يميل تفاعلها الى القاعدية، وان الجزء الذائب من هذه الاسمدة بعد اضافته الى التربـــة يتحول الى ثلاثة مركبات أقل ذوبانية •

استخدام الأسمدة النتروجينية من قبل النبات :

لغرض زيادة كفاءة استخدام سماد نتروجيني في تربة معينة ومنعاً لحدوث زيادة في كمية التجهيز بالسماد ، ولغرض عدم السماح بتحول أي مقدار من السماد الى المسالك الاخرى في دورة النتروجين ينبغي اعتماد نماذج رياضية مناسبة • ويحتاج اعتماد مثل هذه النماذج الى توفير بعض المعلومات مثل :

١ ــ تقدير كمية النتروجين غير العضوي الموجود أصلاً في التربة ، أي معرفة مقدار النتروجين الموجود في التربة قبل اضافة أي سماد مصنع اليها • وينبغي أيضاً معرفة كمية النتروجين العضوي المضافة الى التربة •

٢ ــ معرفة مقدار النتروجين المأخوذ فعلاً من قبل النبات •

٣ ــ تقدير حاجة النبات الى النتروجين في المراحل المختلفة من نموه •

٤ ــ متابعة حركة النتروجين في التربة لمعرفة امكان انتقال بعضها من النتروجين الى المجاري أو الى الأعماق البعيدة في الارض دون امكان الاستفادة منه •

٥ ــ الأخذ بالحسبان وجود بعض النترات في مياه السقي ، وكذلك احتساب النترات المزالة من التربة بفعل البكتريا التي تتحول الى أكاسيد النتروجين التي تتصاعد غازات الى أعالي الجو •

ويمكن الاستفادة من هذه المعلومات في النماذج الرياضية المعتمدة والتي تعين على التنبؤ بمدى حاجة التربة الى السماد النتروجيني • وهناك بعض الامور الاخرى التي قد تؤخذ في الحسبان مثل بقايا التسميد السابق للتربة ومعدل سقوط الأمطار ومعلومات عن الرطوبة ودرجة الحرارة وتغيرات الضغط الجوي • وبالنسبة الى بعض النباتات الحساسة للسماد النتروجيني ينبغي جعل الانموذج اكثر دينمية وفاعلية من خلال استكشاف بعض العوامل الأخرى المؤثرة • ويؤخذ في الحسبان أيضا سلوك بعض الخضراوات التي

تستجيب بسرعة للنتروجين المتاح لها في التربة ، فتقل كمية المحصـول منها بحدة في وجود زيادة من السماد النتروجيني في التربة • وعند التعامل مع الترب الرملية يؤخذ في الاعتبار أيضا ذوبان المركبـات النتروجينية في المياه ونزولها الى أعماق بعيدة تحت الأرض والى مديـات لاتصـل اليها الجذور النباتيـة •

ان النماذج الرياضية التي اعتمـدت حتى الآن كانت على هيئة معادلات بسيطة أشتملـت على معامـلات (coefficients) لاتتغـير أقيامهـا كثيراً مع تغير طبيعة المحاصيل الزراعية أو بتغير ظروف الانماء • ونظـرا لقلة تباين المعادلات الموضوعة في معاملاتها على الرغم من تباين الأنـواع النباتية فقد أتجهت المساعي الى صياغـة نماذج رياضية تتصف بدرجـة كبـيرة من العمومية • وكانت مثل هذه النماذج مفيدة في التطبيق على مـدى واسع من المزروعات مثل البطاطا والحنطة والشعير والرز والذرة وبنجر السكر والكثير من الخضراوات ، وأمكن منها التنبؤ بمقدار المحصول فيما لو تمت السيطرة على المتغيرات التي تضمنتها النماذج • والنماذج الرياضية التي تعتمد والتي تضم أعداداً اكبر من المتغـيرات بما فيهـا بعض خصائص التربـة والظروف المناخية والوزن الابتدائي للنبات كانت أقدر في التنبؤ عن امكان الحصول على منتوج أفضل • والمعلومات التي تستخلص من هـذه النماذج تفيـد في توجيه المزارعين في السيطرة على المتغيرات الأساسية التي تتحكم بعملية النمو وفي مقدار المحصول المتوقع •

الفسفور في التربـة :

ان الفوسفات الطبيعية الموجودة أصلاً في تكوين بعض الترب تتصف بقلة الذوبان في الماء وتكون عادة على هيئة مركبات عضوية أو غـير عضوية تكون متحدة مع الكلسيوم أو الحديد أو الألمنيوم • ففي ترب المناطق الجافة وشبه الجافة التي يميل الأس الهيدروجيني فيها الى القاعدية كما هو الحال

في العراق ، تكون الفوسفات متحدة مع الكلسيوم وهي لاتـذوب في الماء أو تكون قليلة الذوبان جداً فيه . أما الترب في المناطق كثيرة الأمطار مثل أوربا فيكون الأس الهيدوجيني للتربة في المدى الحامضي ($pH = 4.0 - 6.5$) وتكون الفوسفات فيها مترسبة على شكل فوسفات الحديد والألمنيوم لاسيما عندما يكون الأس الهيروجيني في المدى (5 — 4) .

ان بعض الفوسفات التي تكـون موجودة في محلـول التربة أو التي يمتصها النبات في نموه تنحدر من أصل لاعضوي (أورثو فوسفات) ، وعليه فان اضافة الأسمدة الفوسفاتيـة المصنعة (القابلة للذوبـان في الماء) تسبب زيادة في كمية الفسفور المتاحة للنبات في التربـة ، وان مقـدار ما يستطيع النبات الاستفادة من الفسفور الكلي المتاح له لايتعدى في معظـم الاحوال على ٢٠٪ من الكمية الكلية الموجودة أو المضافة في التربة ، لذا فان الفائض عن حاجة النبات من السماد الفوسفاتي يبقى في التربة ويمكن الاستفادة منه في الزراعة المقبلة بشكل محـدود . ويعتمد الفسفـور الفائض أيضـا على خصائص التربة الكيميائية والفيزيائية : والأسـ الهيدروجيني للتـرب في العراق يميل الى القاعدية ، لذا فان الفسفـور المتيسر أو الـذائب في التربة يتحول مع مرور الوقت الى فسفور قليل الـذوبان ، أي ان الفسفور احادي الكلسيوم في المركب ($Ca\ H_2PO_4$) الذائب في محلول التربة يتحول الى ثنائي الكلسيوم في المركب $Ca\,HPO_4$ الأقل ذوبانية ، وهذا لايلبث ان يترسب على هيئة ثلاثي الكلسيوم $Ca_3(PO_4)_2$.

الأسمدة الفوسفاتية تكون على أنواع ، منها الاسمدة المركبة والاسمدة الفوسفاتية المصنعة . والصخور الفوسفاتية تكـون على هيئـة فلور أباتيت Fluor apatite [$Ca_{10}(Po_4)_6F_2$]

وكـربـــون أبـاتيـت Fluorapatite
[$Ca_{10-a}(NaMg)_a\ (PO_4)_{6-b}(CO_3)_6\ F_c$]

وتعتمد قيمتا c , a في المركب الأخير على قيمة b التي تمثل كمية الكربونات (Co_3) الموجودة في تركيبه • وفي صناعة الاسمدة الفوسفاتية فان الصخور الفوسفاتية بعد طحنها واجراء عملية الكلسنة (Calcination) عليها للتخلص من كربونات الكلسيوم وزيادة تركيز الفسفور فيها تعامل مع حامض للحصول على فوسفات احادي الكلسيوم المائية $Ca(H_2PO_4)_2 \cdot H_2O$ أو تجرى عمليات معينة عليها للحصول على حامض الفسفوريك عند اضافة حامض الكبريتيك الى الصخور الفوسفاتية المطحونة والمنقاة من كربونات الكلسيوم يتم تحضير ما يسمى بالسوبرفوسفات الأحادي التيتحتويعلى(١٨ ـ ٢٠)٪من خماسي اوكسيد الفسفور P_2O_5 أما اذا عوملت الصخور الفوسفاتية المطحونة مع حامض الفسفوريك فيتم الحصول على السماد الفوسفاتي المركز المسمى بالسوبر فوسفات الثلاثية التي تحتوي على (٤٥ ـ ٤٧)٪ من خماسي اوكسيد الفسفور P_2O_5 ويعامل حامض الفسفوريك مع الأمونيا للحصول على فوسفات الامونيوم • فاذا تم ادخال كمية كبيرة من الامونيا الى الحامض فيتم الحصول على فوسفات ثنائي الامونيوم $(NH_4)_2HPO_4$ ، أما اذا تم ادخال كمية أقل من الامونيا في الحامض فيتم الحصول على فوسفات أحادية الامونيوم $(NH_4)H_2PO_4$ • أما فوسفات ثنائي الكلسيوم فتكون موجودة في الكثير من الاسمدة الفوسفاتية •

ان فوسفات أحادي الكلسيوم المائية $Ca(H_2PO_4)_2 \cdot H_2O$ مادة لاتذوب في المحاليل القاعدية أو المتعادلة أو الحامضية الضعيفة • ان نسبة الفسفور الى الكلسيوم في الفوسفات الذائبة في الماء تختلف عن نسبتها في الطور الصلب (أي في الفوسفات الصلبة) • وعموما تكون نسبة الفوسفات الى الكلسيوم اكثر في المحلول قياسا الى نسبتها في الطور الصلب للفوسفات ، لذا يكون الطور الصلب أغنى عادة بالكلسيوم • فاذا وضعت حبة من فوسفات أحادي الكلسيوم في الماء فان جزءاً يسيراً منها فقط يذوب

في الماء تاركة الحبة بحجمها نفسه ولكنها تصبح كثيرة المسامات وبحالـة غير ذائبة في المحلول • وهذه الحبة المتبقية والكثيرة المسامية هي فوسفات ثنائي الكلسيوم • وبالمثل فانه عند اذابة سماد فوسفاتي على هيئة حبيبات في المحلول المائي للتربة (التربة عالية الرطوبة) تبقى فوسفات ثنائي الكلسيوم الموجودة في الحبيبات غير ذائبة أو قليلة الذوبان • والتربة التي تجهـز بالفوسفات ، فان الفوسفات القابلة للذوبان منها سوف تذوب في المحلـول المائـي للتربة وتتحول مروراً بعدة عمليات كما أشرنا الى ذلك سابقا الى صيغة هيدروكسي أباتيـــت $Ca_{10}(PO_4)_6(OH)_2$ Hydroxyapatite • وتتطلب العمليـة وقتـاً أطول في الترب التي تميل الى القاعدية مثل الترب العراقية والتي تحتوي على نسبة عالية من كربونات الكلسيوم •

أجريت تجارب حقلية ومختبرية عديـدة لاختبار الأنـواع المختلفة من الفوسفات للوقوف على النوع الذي يستفيد منه النبات اكثر عند نموه والذي يتسبب في زيادة اكبر لكمية المحصـول الزراعي ، وكذلك لمعرفـة مقدار ما يتخلف من الفوسفات المضافة من دون أن يستفيد النبات منها • وأخذت هذه التجارب في الحسبان الطرائق المختلفة التي تتبع لتجهيز التربة بهذه الاسمدة، وكمية الفوسفات المتاحة للنبات في التربـة في كل حالـة • ان فهـم كيمياء الفوسفات في التربة يساعد بدون شك على التنبـؤ بكيفيـة أداء الأسمدة المصنعة والطبيعية ومفعولها على زيادة الانتاج ، وهذا مما يساعد على تقديم تفسيرات أفضل للظواهر التي تشخص حقلياً عن سير النمو للنباتات في التربة•

أستطاع بعض الباحثين وضع أنموذج على شكل علاقة رياضية بسيطة يمكن الاستعانة به في التنبـؤ عن سرعة ذوبـان فوسفات ثنائي الكلسيوم الشحيحة الذوبان أصلاً في تربة تحتوي على فوسفات فلور أباتيت • وتحتاج المعادلة المعتمدة لهذا الغرض الى معرفة تراكيز الأيونات التي تكون موجودة في محلول التربة ، وهذه يمكن الحصول عليها بالاعتماد على حاصـل اذابة Ksp (Solubility Praduct) كـل نـوع من هـذه الفوسفـات

الموجودة في التربة • وباستعمال قيم مقبولة لثوابت حاصل الاذابة (Ksp) أمكن التوصل الى الانموذج الآتي :

$$1.5\,p(Ca) + p(H_2SO_4) - 2pH = -0.84$$

حيث $pH,\ p(H_2SO_4), p(Ca)$ هي قيم اللوغاريتم السالب لتراكيز أيونات الكلسيوم Ca^{2+} $H_2PO_4^-$, H^+ في محلول التربة على التوالي .• ويلاحظ في هذه المعادلة ان زيادة تركيز أيونات Ca^{2+} تكون على حساب تنقيص تركيز أيونات $H_2PO_4^-$ واذا زيد تركيز أيونات Ca^{2+} $H_2PO_4^-$ معاً فينبغي تنقيص قيمة الأس الهيدروجيني (pH) كي تبقى العلاقة الرياضية المشار اليها آنفا متوازنة •

وبالنسبة الى فوسفات ثنائي الكلسيوم ثنائي الهيدرات $CaHPO_4 . 2H_2O$ فقد أمكن معرفة مقدار ذوبان الدقيقة الواحدة منها (كتلة محددة من المادة) .• وكذلك أمكن الكشف عن تأثير كل من حجم الدقيقة وسرعة تجهيز التربة بها والأس الهيدروجيني على مقدار ذوبانها • وتبين ان زيادة الأس الهيدروجيني من ٥ر٤ الى ٦ أدت الى زيادة مدة الذوبان التام لهذه الفوسفات من ٢٥ يوماً الى ٣٢ يوماً (الشكل ٢ أ) • اذا كان الأس الهيدروجيني للتربة حامضيا فان أغلبية أيونات الفوسفات تكون على شكل $H_2PO_4^-$ ، واذا كان الأس الهيدروجيني في المدى القاعدي (٧ ــ ٢ر٨) فان أغلبية الفوسفات الموجودة في محلول التربة تكون على شكل $HPO_4^{=}$ ، ويستطيع النبات امتصاص نوعي الايونات ($HPO_4^{=}, H_2PO_4^-$) بسهولة •

تذوب فوسفات الفلور أباتيت والكربون أباتيت بسهولة أقل عند الأس الهيدروجيني ٥ر٤ قياساً بذوبان فوسفات ثنائي الكلسيوم ، ولكن الذوبان يكون حساساً لتغيرات الأس الهيدروجيني ، وبالنظر الى القيمة

الواطئة لحاصل اذابة كل من نوعي الأباتيت فان الذوبان التام لهذه الفوسفات يتطلب وقتا اطول • وعلى سبيل المثال فانه عند الاس الهيدروجيني ٥ر٤ يذوب ٣٠٪ فقط من كل من فوسفات فلور اباتيت وفوسفات كربون اباتيت خلال ٨٠ يوما مقارنة بذوبان ضعف هذا المقدار من فوسفات ثنائي الكلسيوم ثنائي الهيدرات في ٢٠ يوما • ويذوب فلو اباتيت ببطء شديد عند قيم الأس الهيدروجيني التي تزيد على ٦ر٤ ، ويكون كربون اباتيت اكثر قابلية على الذوبان من فلور اباتيت كما هو ملاحظ في الشكل (٢ ب) • وتبين هذه الاشكال المقادير المتاحة من الفوسفات المختلفة لاستفادة النبات منها في عملية النمو •

إن فاعلية الصخر الفوسفاتي الموجود في بعض الترب كمصدر للفوسفات بالنسبة الى المزروعات تعتمد ايضا على نوع المحصول الزراعي • وبامكان بعض النباتات جعل محيط جذورها اكثر حامضية من غيرها وذلك بافراز حوامض عضوية من جذورها ، وبذا فانها تجعل الفوسفات غير القابلة للذوبان متاحة اكثر للنبات • وتختلف النباتات ايضا في قدرتها على استخلاص الفوسفات من التربة التي تحتوي على فوسفات متاحة للامتصاص •

تكييف التربة

تَعَرّف الانسان عن طريق الخطأ والصواب ، عقب ممارسته الزراعة عبر التاريخ ، على الكثير من العوامل التي تؤثر على نمو النباتات ، وتعلّم كيف يتحكم بهذه العوامل للحصول على اعلى حاصل من حيث الكم وافضل من حيث النوع • فقط لاحظ مثلا ان إنبات البذور يمكن تحسينه من خلال تجميع دقائق التربة في تكتلات مستقرة ، وان تحقق ذلك يمكن ان يتم بوسائل ميكانيكية او من خلال اضافة السماد الى التربة • واثبتت الدراسات اللاحقة فيما بعد ان معاملة التربة بهذه الاساليب تفيد فعلا في عمليات الانبات وفي تحسين نوعية المنتوج الزراعي • إن فهم بنية التربة كفيل بالتعرف على مدى قدرتها على حفظ الماء فيها وعلى حركة

الماء بين دقائقها وعلى مدى امكان تهوية جميع المواقع الداخلية فيها بالاضافة الى إمكان فهم عملية الانتقال الحراري بين اجزائها المختلفة ، وهذه كلها معْلمات مهمة في عملية الانبات الجيد ، بل في الزراعة الحديثة في يومنا هذا .

أثبتت الدراسات والبحوث ان استقرار الكتل الترابية يزداد بشكل محسوس بأزدياد كمية المواد العضوية الموجودة فيها ، وبصورة خاصة المواد السليلوزية وحوامض متعدد اليورونيك (Polyuronic Acids . فهذه المواد تساعد على تكوين معقدات عضوية معدنية من خلال ارتباطها بدقائق سطح التربة ، وهذا النوع من الارتباط بين المادة العضوية المضافة (وهي مواد بوليمرية) ودقائق التربة تكسب التربة الثبات والاستقرار . وكانت مثل هذه الاضافة بداية للتفكير في المواد البوليمرية لاغراض تثبيت التربة في تكتلات حبيبية مستقرة . والمحاولات القديمة التي تناولت اضافة هذه المتعددات السكرية (السليلوز مثلا) الطبيعية الى التربة اخفقت في تحقيق الغرض المطلوب لان الجرعات التي استعملت في الاضافة كانت كبيرة فأدت الى عملية الانحطاط الحيوي في التربة والى نزع التربة من تراتها بسرعة اكبر . وعلي أي حال ، فقد اصبح منطقيا القيام بدراسات مستفيضة لاستكشاف دور المواد البوليمرية ، الطبيعية منها والمصنعة ، في تكييف التربة (اي تحويلها الى تركيبات حبيبية مستقرة) لصالح الزراعة الناجحة .

تكييف التربة باستعمال مواد بوليمرية :

تمت في اوائل عام ١٩٥١ اول محاولة جادة لاضافة بوليمرات مصنعة الى التربة لغرض تكييفها ، ولوحظ ان اضافة نوعين من البوليمرات العضوية الى التربة كانت مفيدة في توفير الاستقرار والتركيب الحبيبي لها . وكانت المحاولة الاولى باضافة فنيل اسيتات حامض المالئيك (VAMA) Vinyl Acetate Maleic Acid ، والمحاولة الثانية باضافة بولي أكريلونتريل المتحلل مائيا Hydrolyzed Poly acrylo nitrile (HPAN)

عوملت التربية بأي من هذين البوليمرين بنسبة ١٠ر٠ الى ١ر٠٪ من مكونات التربة ، وكانت الاضافة ناجحة في اكساب التربة الكثير من الثبات والاستقرار ٠ واتنشر استعمال هذه المواد واصبحت تباع تحت اسم تجاري يدعى « كريليوم Krilium » ٠ وجاء التأثير الاستقراري لهذه المادة على تركيب حبيات التربة مفاجأة كبيرة للمشتغلين في الزراعة ، ورغم ذلك فان البحوث في هذا الاتجاه قد توقفت خلال الخمسينيات بسبب الكلفة العالية لمعاملة التربة بالبوليمرات ٠ وبقي الامر على هذه الشاكلة الى عام ١٩٧٠ حين بعثت الحياة من جديد في مشروع تكييف التربة بالبوليمرات ٠

عندما تكون التربة غرينية او غرينية طينية وحاوية على نسبة واطئة من المواد العضوية ، فان سقوط المطر الشديد عليها يؤدي الى تفتيت التجمعات والكتل الترابية لاسيما القريبة من السطح (الشكل ٣) ٠ وبجفاف التربة عقب سقوط الامطار عليها تصبح مكسوة بقشرة (Crust) صلدة ٠ فاذا حدث هذا عقب نشر البذور في التربة ، فان الكثيرة من تلك البذور لا تجد طريقا لاخراج اوراقها فوق سطح التربة بسبب تلك القشرة الصلدة المانعة ، وكذلك فان بعض البذور النامية التي تستطيع سيقانها واوراقها اختراق القشرة الصلدة والخروج بها فوق سطح التربة تبقى ضعيفة ولا تقوى على الثبات والنمو الجيد ٠ لوحظت مثل هذه المشكلة فعلا مع بعض المحاصيل مثل بنجر السكر والخس والبصل والكرفس ٠ وتكون كلفة تكييف مثل هذه التربة باستعمال البوليمرات باهضة جدا ٠

تمت محاولات في اواخر السبعينيات لاستخدام كحول البولي فنيل (PVA) في معاملة مثل هذه التربة وكانت المحاولات ناجحة الى حد كبير ٠ وهناك ترب لا تستجيب لهذا المكيف (اي كحول البولي فنيل) لاسيما اذا كانت قشرة السطح سميكة ٠ ان الخطوات التي تشتمل عليها عملية تكييف التربة بالبوليمرات هي :

١ ــ تجفيف التربة جيدا للتخلص من محتواها من الرطوبة • ويتم ذلك عادة بامرار تيار هواء عليها لمدة كافية من الزمن •

٢ ــ إمرار التراب الجاف بعد ذلك من خلال مناخل للحصول على دقائق بأبعاد مناسبة •

٣ ــ وضع التراب المستحصل من الخطوة (٢) على فَرْشَة رملية واسعة المساحة •

٤ ــ ترطيب التراب المفروش على الرمل بعد ذلك بطريقة رش الماء من الاعلى عليها وسحب النازل منه من الاسفل •

٥ ــ رش محلول مكيف التربة (اي محلول المادة البوليمرية) برشاش على التراب المفروش عقب الخطوة (٤) •

٦ ــ تجفيف التراب بعد ذلك باستعمال مصابيح تحت الحمراء •

٧ ــ إنزال الماء على التراب على هيئة مطر ثم ترك التراب بعد ذلك ليجف ولتتكون قشرة صلدة على سطحه •

٨ ــ قياس سُمك القشرة المتكونة على سطح التراب عقب الخطوة (٧) وذلك باستخدام جهاز مقياس الاختراق (Penetrometer) وقياس القوة اللازمة لكسر القشرة الصلدة المتكونة •

لوحظ اختلاف كبير بين استقرار التراب المعامَل على وفق هذه الخطوات الثمانية مع التراب الذي لم يُعامل بالمادة البوليمرية • فالتراب المُعامل على وفق هذه الخطوات يصبح صالحا للزراعة وان حبيباته تصبح مستقرة ، وتصبح القشرة الصلدة المتكونة على سطحه هشة فتسمح بخروج سيقان البذور النامية واوراقها من خلالها •

أُستخدم بعد ذلك مركب زنثات السليلوز (cellulose xanthate) مكيفا للتربة التي تعاني من تكون قشرة صلدة على سطحها من جراء سقوط الامطار عليها • تم رش محلول مائي عالي اللزوجة من زنثات السليلوز على

التراب المتصلب فكانت العملية ناجحة في تفتيته الى كتل حبيبية مستقرة ، إلا ان المشكلة التي واجهها الباحثون باستعمال هذه المادة البوليمرية كانت تكمن في قصر عمرها ، اي في قصر مدة مفعولها التكييفي • فالمادة لاتبقى فعالة وصالحة للاستعمال لاكثر من اسبوع واحد • وفي عام ١٩٨٠ تمت محاولات عالية اخرى لايجاد بديل أفضل من زنثات السليلوز الذي يتمتع بعمر استعمال اطول وفعالية اكبر فوقع الاختيار على مركب بولي أكيرل أميد Polyacrylamide وذلك بسبب توفر هذه المادة بشكل تجاري وبصيغتين الكاتيونية (Cationic) والانيونية (Amionic) وبمدى واسع من الاوزان الجزيئية • والسبب الاخر في اختيار هذه المادة هو ان مثل هذه المواد التي تعد بوليمرات مشاركة تكون فعالة بدرجة كبيرة وقادرة على تكتيل المواد الطينية الى حبيبات مستقرة • ولوحظ ان مركب بولي أكريل اميد الانيوني له مفعول جيد وبالنسبة لمدى واسع من الاتربة في تكييف القشرة الصلدة التي تتكون على سطوحها بفعل الامطار • والعيب الملاحظ في هذه المادة ان محاليلها تكون عالية اللزوجة ، لذا فان رشها على التربة يتطلب تقنية خاصة وباستعمال محاليل مخففة من المادة •

انصبت الجهود على كيفية معاملة التربة بمادة بولي فنيل أميد واهتدى الباحثون الى اي من الاسلوبين الاثنين في المعاملة :

١ ـ تحضير محلول من بولي اكريل اميد الذي يعطى عند التخفيف محلولا قابلا للرش باستخدام الرشاش الاعتيادي الذي يستخدمه المزارعون •

٢ ـ إن الكثير من المبيدات الحشرية الصلبة الفعالة تجاه الحشرات والافات الزراعية اصبحت تعطى للتربة الان على هيئة حبيبات صلبة يتم حقنها مباشرة للتربة • وعلى هذا فانه باستخدام محقنات خاصة وباستعمال مثاقب مناسبة امكن عمل فتحات في القشرة الترابية الصلدة بحيث يمكن إدخال حبيبات بولي اكريل أميد منها في التربة بشكل مباشر • وحال

وصول هذه الحبيبات البوليمرية الى التربة فانها تتنشط بفعل رطوبة التربة ، او عقب السقي المباشر للتربة ، او بعد سقوط الامطار عليها •

وقد نجحت هذه التقنيات في إيصال المكيفات البوليمرية الى داخل التربة المكسوة بقشرة صلدة ، فأمكن استعمال مثل هذه التربة بنجاح كبير في زراعة البنجر السكري والبصل والخس•واصبحت هذه المادة تباع تجاريا كمحلول او على هيئة حبيبات صلبة تحت اسم: soiltex (L_1) ، soiltex (G_1) وهذه المادة تباع الآن في الاسواق في الكثير من بلدان العالم • ويكلف تكييف دونم واحد من الارض بها حوالي (٤٠) باونا استرلينيا •

تكييف الترب الرملية :

يمكن للترب الخفيفة الرملية ان تستفيد كثيرا من المعاملة بالبوليمرات المناسبة • فالبذور التي تزرع في هذه الترب تكون عرضة للتطاير والخروج من التربة بتأثير الرياح وتيارات الهواء ، وان معاملة مثل هذه الترب ببوليمرات مناسبة تحدُ كثيرا من هذه الظاهرة • فالترب الرملية نفسها عرضة للتعرية الريحية ، اي تحرك الرمل بفعل الرياح كما هو الحال في تكون الكثبان الرملية • والمواد البوليمرية يمكن ان تستعمل في تثبيت الكثبان الرملية وتقليل حركة الرمال بتأثير الرياح والارض الرملية التي تقع في موقع جغرافي واحد يجب ان تعامل جميعها في وقت واحد من دون ترك اي جزء منها وبدون معاملة وإلا فان هبوب الرياح على التربة غير المعاملة تدفع بدقائق الرمل الى التحرك والانتقال الى الارض التي تمت معاملتها بالمادة البوليمرية• وتجرى حاليا تجارب على استخدام البوليمرات التي تستطيع تكوين غشاء سطحي على التربة مثل بولي فنيل اسيتات • فالترب الفقيرة بالدقائق الطينية كالترب الرملية تفتقر الى مادة لربط المادة البوليمرية بدقائق التربة • واستعمل الباحثون في المناطق الصحراوية محلولا من بولي اكريل اميد مخلوطا مع الكلايوكسال لغرض تثبيت الطبقة الرملية على الارض • وبارتفاع درجة

الحرارة في المناطق الصحراويةفان مادة الكلايوكسال سرعان ما تكونارتباطات متقاطعة تعمل من خلالها ربط دقائق البوليمر بولي اكريل اميد بدقائق الرمل (الشكل ٤) ٠

آلية عمل المادة البوليمرية في تكييف التربة :

لقد ثبت ان البوليمرات التي تحمل شحنات كهربائية تكون اكثر تأثيرا على التربة من البوليمرات غير المشحونة ٠ فالمجاميع الكاتيونية (التي تحمل شحنات موجبة) في المادة البوليمرية يمكنها تكوين ارتباطات الكتروستاتيكية مع الشحنات السالبة الموجودة على سطوح وحافات الدقائق الطينية الموجودة في التربة ٠ اما المجاميع الانيونية (التي تحمل شحنات سالبة) فيمكنها الارتباط مع الكاتيونات الثنائية او الثلاثية الشحنات الممتزة على سطح الطين ٠ وهذه البوليمرات تحاكي بهذا السلوك آلية الارتباط الموجودة بين المواد العضوية الموجودة في التربة ٠

واوضح الباحثون ان زيادة الوزن الجزيئي للمادة البوليمرية تزيد من ثبات واستقرار التربة ولو ان هذا التأثير لا يكون كبيرا عادة ، وهذه الظاهرة مهمة وغريبة في وقت واحد ٠ ان الكثير من البوليمرات المستعملة بامكانها تخثير الاطيان وتكتلها الا ان تأثيرها التكتيلي يعتمد على الوزن الجزيئي للبوليمر ٠ وعند استعمال البوليمرات في الحقل الزراعي في تكييف التربة فلن تكون هناك سيطرة كاملة على محتوى التربة من الماء ، لذا يجب ان يكون البوليمر فعالا على مدى واسع من محتويات التربة من الرطوبة ٠ وعلى هذا فان الكثير من البوليمرات غير القابلة للذوبان في الماء تكون غير مؤثرة وغير فعالة ٠ وقد لوحظ هذا مع سلوك بولي اكريل اميد بشكل خاص ٠

وتبذل جهود كبيرة حاليا للتعرف على قدرة البوليمرات التي تستطيع امتصاص الماء على تثبيت التربة ٠ فهناك بوليمرات صلبة كثيرة قادرة على امتصاص الماء بشكل رجوعي وبمقادير تزيد كثيرا على اضعاف وزنها من دون

حدوث اي تغيير ملحوظ في تراكيبها الكيميائية • ومثل هذه المواد البوليمرية تستخدم حاليا في حفاظات الاطفال وفي صنع انواع من اللبـاد (Pads) حيث يراد سحب الماء من محيط معين ، فلها القدرة على امتصاص المـاء والاحتفاظ به • فالبوليمرات التي تؤدي الى زيادة حفظ الماء في التربة مهمة جدا ، فاذا ما استخدمت فانها تطيل المدة الزمنية بين رية واخرى نتيجـة احتفاظ التربة بالماء • وهذه العملية مهمة جدا لانها تؤدي الى تحديد عـدد الريات خلال الموسم ، وتؤدي الى زيادة كفاءة استعمال المياه ، وهو امـر مهم جدا لاسيما في الظروف الحالية للجفاف •

إن فعالية مثل هذه البوليمرات في إنماء محاصيل زراعية ذات قيم عالية في اراض لا تصلح للزراعة اصبحت اليوم شائعة ومعروفة • واستعملت هذه المواد لاغراض ايقاف التصحر وذلك بتكوين حزام شجري حول المنطقة التي يراد إبعادها عن التصحر • والمتوقع ان تكون لهذه المواد البوليمرية وغيرهـا استعمالات كثيرة اخرى في ميدان الزراعة وإصلاح التربة ولاسيما في الترب العراقية التي تتصف بقلة المادة العضوية وبتركيبها الرديء وبقلة احتفاظها للماء•

بعض المصادر المعتمدة

1— E. W. Russel, Soil Conditions and Plant Growth, 10th Edn. London, 1973.

2— D. J. Greenwood, Plant and Soil, 1982, 67, 45.

3— G. J. Kirk and P. H. Nye, J. Soil Sci, 1986, 37,529.

4— P. H. Nye in Roots, Nutrients and Water Flux and Plant Growth, S. A. Barber and D. R. Bouldin (Edn), p.89, Soil Science Society of America, 1984.

5— J. K. R. Gasser. Chem. Br, 1988, 24, 129.

6— D. J. Greenland, Soil Fert., 1965, 28, 415.

7— Symposium on Improvement of Soil Structure, J, Soil Sci., 1952, 73, 419.

8— E. R. Page, J. Soil Sci., 1973, 30, 643.

9— P. J. Mather, Progress, 1982, 20, 8, (MAFF).

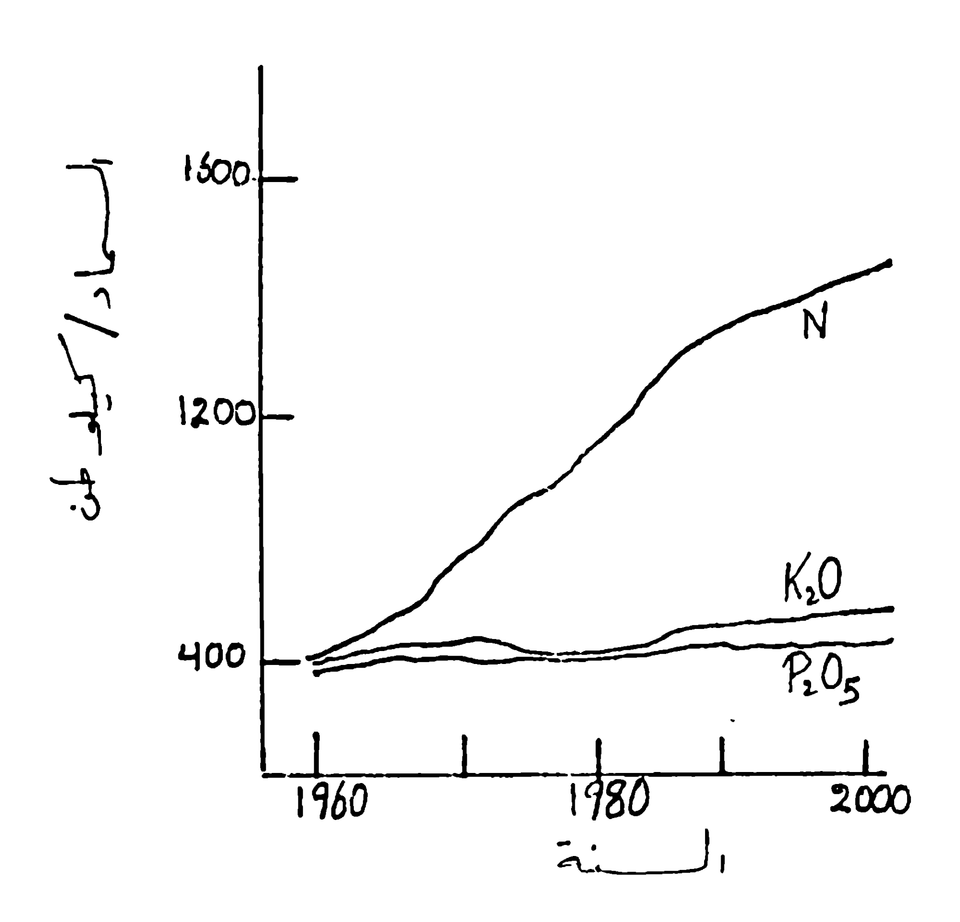
10— E. Monefee and E. Hautala, Nature (London), 1978. 275, 530.

11— P. Chamberlain, Chem, Br., 1988, 24, 144.

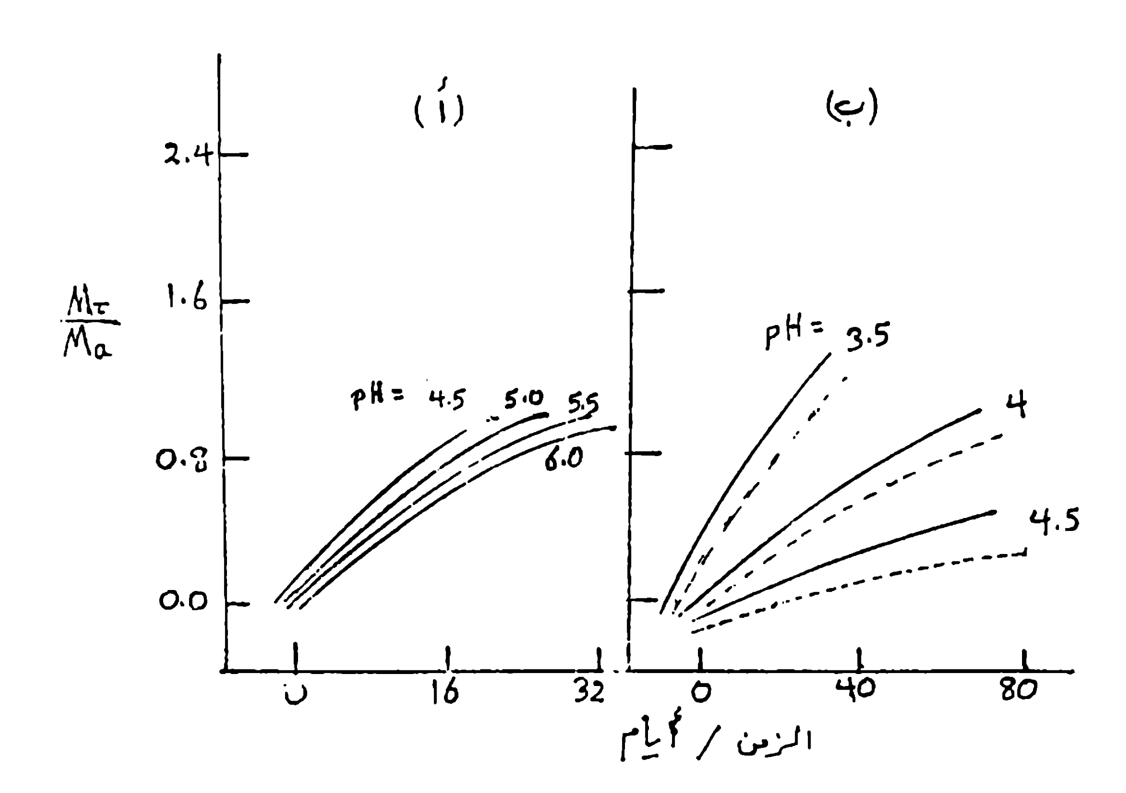
١٢ ـ جلال محمد صالح ، مجلة المجمع العلمي ، ١٩٩٩ المجلد ٤٦ الصفحات (١٧ ـ ٤٩).

١٣ ـ جلال محمد صالح ، مجلة « علوم » ، وزارة الثقافة والاعلام . دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٩ العدد ١٠١ الصفحات (٣٩ـ٤١) .

١٤ ـ أ. ي. فوزبوتسكايا ، كيمياء التربة ، ترجمة الدكتور احمد حيدر الزبيدي ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٧ .



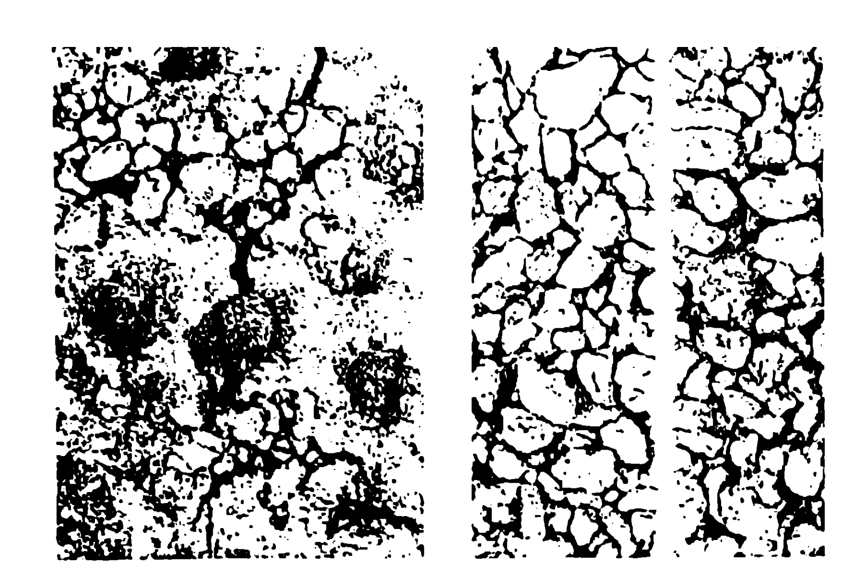
الشكل (١) ـ معدل استهلاك الاسمدة في العالم
خلال الاعوام من ١٩٦٠ الى ٢٠٠٠.



الشكل (٢) ـ

(أ) تنبؤات باستخدام انموذج رياضي لذوبان نوسفات ثنائي الكلسيوم عند قيم الأس الهيدروجيني (PH) المختلفة (حجم دقائق التربة ١و. ملمتر ، معدل الاضافة ١٦ و . كغم فسفور للمتر المكعب من التربة ؛ Mt عدد مولات الفسفور المذاب في الزمن Mt ، يمثل عدد مولات الفسفور المضاف) .

(ب) تنبؤات الانموذج لمعدلات ذوبان الفوسفات في الفلور اباتيت والكربون اباتيت في التربة عند قيم الأس الهيدروجيني المختلفة . (معدل الاضافة ٨٠ر. كغم فسفور للمتر المكعب من التربة ؛ المنحيات المنقطة تمثل فلور اباتيت والمنحيات بالخطوط الكاملة تمثل الكربون اباتيت) .



الشكل (٣) - تأثير سقوط المطر على تكتلات تربة ضعيفة البنية قبل (الصورة الى اليسار) وبعد (الصورة الى اليمين) سقوط المطر.



الشكل (٤) - قطع رقيق مكبر بالمجهر الالكتروني المسحي لانموذج تربة عوملت بمادة بولي اكريل اميد . يلاحظ في الصورة سلسلة من دقائق الطين وهي مرتبطة بالسلسلة البوليمرية .

بعض مواصفات المترجم العلمي وسبل إعداده

أ.د. داخل حسن جريو
رئيس الجامعة التكنولوجية
عضو المجمع العلمي

الملخص

يعد المترجم العلمي ، سواء أكان أنساناً أم حاسوباً أم الاثنين معاً ، المرتكز الاساسي الذي تقوم عليه عملية الترجمة . اذاً ، لابد ان تبذل جهود حثيثة لتوفير مستلزمات إعداد المترجمين العلميين إعداداً ممتازاً بحيث يجمع المترجم الانسان بين القدرة العلمية والتأهيل العالي في مجال تخصصه والقدرة اللغوية الجيدة على التعبير والكتابة بلغته العربية بسلاسة وسهولة ، فضلا عن تمكنه من اللغة المراد الترجمة منها لضمان اعلى درجات الدقة والعلمية والموضوعية في الترجمة . وينطبق الشيء نفسه على الترجمة الالية التي تتطلب تضافر جهود فريق من علماء اللغة العربية والحاسوب ، ودعم جهود علماء اللسانيات الحاسوبية للنهوض بالترجمة الآلية التي نحن بأمس الحاجة اليها في عالم يشهد تدفقاً علمياً ومعرفياً هائلا ، يتطلب منا ان نواكبه اولا بأول . تسلط هذه الدراسة الضوء على بعض مواصفات اعداد المترجمين العلميين ومتطلباتها وسبل النهوض بالترجمة العلمية لتحقيق النهضة المنشودة لبلادنا .

١ ـ المقدمة :

تبذل بلادنا جهودا حثيثة لامتلاك ناصية العلم والتقانة الحديثة بأشكالها المختلفة ، وحيث أن العلوم المعاصرة تشهد تدفقا معرفيا هائلا في جميع التخصصات وشتى الاتجاهات ، الامر الذي يتطلب من جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية ومراكزنا البحثية مواكبتها ونقل ماهو مفيد ونافع منها الى فئات المجتمع المختلفة ، ولان الترجمة إحدى اهم سبل نقل المعارف والعلوم بين الامم والشعوب ، لذا ينبغي أيلاء الترجمة بصورة عامة والترجمة العلمية بصورة خاصة اهتماما كبيرا لنقل تلك العلوم والمعارف الى بلادنا من جهة ، ولنقل النتاج العلمي العربي لكبار علمائنا ومفكرينا وادبائنا الى الشعوب الاخرى من جهة اخرى لتحقيق التواصل العلمي فيما بينها . ومما يؤسف له حقا تزايد الدعوات لاعتماد لغات اجنبية وفي مقدمتها اللغتان الانكليزية والفرنسية اكثر فأكثر في التدريس الجامعي في اكثر من قطر عربي بدعاوى الارتقاء بالمستوى العلمي وقصور لغتنا العربية عن الايفاء بمتطلبات العلوم والمعارف الحديثة ، وهي دعوات تنطلق دون وجه حق . واذا ما استمرت الحال على هذا المنوال بعدم التصدي الحازم لهذه الاتجاهات المريبة ، فان اجيالا مشبعة بالفكر المعادي للغتنا العربية او في الاقل مشبعة بالنظرة الدونية لهذه اللغة باعتبارها لغة ادب اكثر منها لغة علم ، ستكون هي الحاكمة لمفاصل حركة العلوم واتجاهاتها في بلادنا الى الحد الذي قد يصعب معه النهوض بالتنمية العلمية لبلادنا على وفق رؤية عربية واسلامية قوامها واساسها اللغة العربية . لذا يتطلب الامر تضافر جهود علمائنا وادبائنا ومفكرينا للنهوض ثانية بحركة تعريب العلوم عامة وترجمتها الى لغتنا العربية خاصة لتأمين إطلالة علمية قوية

لبلادنا على نتاجات الامم والشعوب المختلفة من منطلق حوار الثقافات والشعوب • واخيرا لابد من تأكيد حقيقة هي ان الترجمة العلمية لا يمكن ان تزدهر إلا في بيئة علمية متطورة ومسندة بارادة سياسية مؤمنة ايمانا مطلقا بحتمية التعريب والترجمة للحفاظ على هويتها القومية وتراثها في عالم يشتد فيه الصراع والغزو الثقافي لسلب ارادة الامم وروحها المتطلعة لبناء غدها الافضل على وفق اختياراتها في الحياة الحرة الكريمة بعيدا عن مداخلات الدول الكبرى التي تسعى بكل الوسائل لطمس معالم حضارتها في اطار ما يدعى بالنظام الدولي الجديد وتجاوز الخصائص الحضارية والثقافية للامم والشعوب تحت دعاوى العولمة • وحيث ان اللغة هي احدى اهم مقومات الامم والشعوب ، لذا فان ازدهارها مسألة في غاية الاهمية ، ولان ازدهار اللغة يرتبط ارتباطا اساسيا بقدرتها على الايفاء بمتطلبات الحياة العصرية ، ولاسيما ما يتعلق منها بالعلوم والتقانة ، لذا تكتسب عملية تعريب الكتب العلمية وترجمتها اهمية خاصة ذلك انها السبيل الوحيد لمواكبة التطورات العلمية والتقنية في عالم سريع التطور ، وبناء القدرات العلمية الوطنية والقومية برؤى علمية عربية على وفق احتياجات بلادنا في التنمية والتطور • ولعل الترجمة في الوقت الحاضر اكثر اهمية من غيرها ، ذلك ان الترجمة تؤمن لبلادنا نقل مستجدات العلوم والتقانة اولا بأول اذا ما احسن تنظيمها • تتناول هذه الدراسة بعض سبل النهوض بالترجمة بصورة عامة والترجمة العلمية على وجه التحديد ولاسيما ما يتعلق منها بسبل اعداد المترجمين العلميين ، وتأشير بعض متطلبات الترجمة الآلية التي تستند الى تقانات اللسانيات الحاسوبية وبرمجيات الحاسوب والتعامل مع اللغة العربية من منطلق النظريات اللغوية الحديثة واستخدامات الحاسوب المتطورة بالتعامل مع اللغات الطبيعية •

٢ ـ بعض مواصفات المترجم العلمي :

حيث ان المترجم العلمي هو الاساس الذي تقوم عليه عملية الترجمة العلمية ، عليه ، لابد ان يتصف بخصائص ومزايا عديدة ، ومن اهم هذه الخصائص والمزايا :

١ ـ يفضل ان يكون المترجم من كبار العلماء والباحثين واساتذة الجامعات المشهود لهم بالكفاءة والتميّز ممن مارسوا التدريس او البحث في موضوع الكتاب المراد ترجمته وممن يجيدون لغة الكتاب وخلفيته العلمية .

٢ ـ ان يكون المترجم قادرا على التعبير والكتابة بلغة عربية علمية سهلة ومبسطة ومفهومة لدى قطاعات واسعة من الناس .

٣ ـ أن تكون للمترجم دراية واسعة بالكتب العلمية الرصينة المتداولة والمواكبة لحركة تطور العلوم والتقانة الحديثة والملبية لاحتياجات جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية العلمية .

٤ ـ أن تكون للمترجم دراية كافية بالمصطلحات العلمية المعتمدة من المجامع العلمية ومجامع اللغة العربية ، واعتماد المصطلحات شائعة الاستعمال كلما امكن ذلك ، وكذا الحال بالنسبة للرموز والمعادلات لتكوين رؤية موحدة لصياغة لغة علمية عربية ، ويفضل الاخذ بالمعنى الاقرب للمصطلح في حقله الخاص به بدل الترجمة الحرفية اذ ان الكلمة الاجنبية قد يكون لها اكثر من معنى واحد في حقول المعرفة المختلفة . أي إعطاء مرونة كافية للتصرف بما لا يفسد المعنى الحقيقي للنص المراد ترجمته بدقة تامة باختيار المصطلح العربي المناسب الذي يعبر بدقة وموضوعية عن المحتوى العلمي للمصطلح الاجنبي .

٥ ـ أن يكون المترجم قادرا على التعبير والكتابة باللغة الاجنبية المراد ترجمة الكتب العلمية منها بصورة جيدة ، وعلى اطلاع كاف بأجوائها وخلفياتها العلمية .

٦ ـ يفضل ان يكون المترجم ملماً قدر المستطاع ببعض تقانات البرمجيات واللسانيات الحاسوبية ذلك ان هذه التقانات باتت تلعب دورا متزايدا في عمليات الترجمة العلمية ولاسيما في الترجمة الآلية في عالمنا المعاصر .

٧ ـ ان يحدد المترجم بوضوح الهدف من ترجمة الكتاب وتحديد نوعية قراء الكتاب المستهدفين ومستوياتهم ومدى علمية الكتاب وبيان خصائصه ومدى الافادة منه .

٨ ـ ان يسعى المترجم الى اخراج الكتاب العلمي المترجم بطباعة انيقة واخراج جيد يتناسب مع مضمون الكتاب ولا يقل عن شكل الكتاب الاجنبي ومضمونه ان لم يتفوق عليه وان يكون الكتاب المترجم خاليا من الاخطار العلمية واللغوية والطباعية .

وفي جميع الاحوال ، لابد من مراجعة الكتب المترجمة من قبل خبراء ومختصين ممن سبق لهم ان قاموا بترجمة كتب علمية في موضوع الكتاب المترجم او ممن سبق لهم التدريس في موضوع الكتاب باللغة العربية وممن يجيدون في الوقت نفسه لغة الكتاب الاصلي إجادة تامة ، وكذلك مراجعة الكتاب من قبل خبراء لغويين لضمان سلاسته وسلامته اللغوية طبقا لقواعد اللغة العربية ، والتأكد من حسن اسلوب كتابته وجماليته . ويفضل وضع معايير علمية ولغوية واضحة ومحددة للاهتداء بها من قبل المقومين اللغويين والخبراء العلميين عند إحالة هذه الكتب اليهم ، مع ضمان صرف مكافآت مجزية لقاء ذلك ، ولكي تزدهر الترجمة العلمية في بلادنا لابد من العمل على خلق مدارس علمية للترجمة في كل قطر عربي ، والتنسيق قدر المستطاع بين هذه المدارس على مستوى الوطن العربي وصولا الى خلق مدارس ترجمة

علمية عربية شاملة في جميع التخصصات العلمية والتقنية ، ذلك ان الجهـود الفردية على اهميتها لا يمكن ان تحقق متطلبات الترجمة العلمية اذ انها غالبا ما تنتهي بانتهاء اصحابها ، وبذلك نضمن ديمومة عمليـة الترجمة العلميـة وازدهارها ونقل الخبرات من قطر الى آخر وتواصلها من جيل الى آخـر ، فضلا عن منع التكرار وبعثرة الجهود بالافادة من افضل الامكانات المتوفـرة في كل قطر عربي •

٣ ـ اللسـانيات الحاسـوبية :

لعب الذكاء الاصطناعي دورا مهما في تمثيل المعرفـة العلمية الآلية وفي إقامة نماذج حاسوبية لفهم الاداء الشامل لمنظومة اللغة • ومن هنا دخلت اللغة العربية في تعريب الحاسوب والبرمجة وذلك لمرونتها وخصائصها الصرفيـة والنحوية • فكان ان وقع إحلال شبه آلـي للغة العربية محل نظم اللغـة الانكليزية ، فاستغلت النظم الانكليزية البسيطة في العربية ، وبسطت العربية بالتقليل من عدد اشكال حروفها • ولما رأت المؤسسات العربية ما يقوم بـه الخبراء اللغويون ، لتقديم الخدمات لكل اللغات كان عليهم ان يدعوا الـى وضع البرمجيات في مختلف علوم اللغة ، بالتركيز على البحـوث اللسانية وفي حقل اللسانيات الحاسوبية بالذات ، وبالتركيز على البرامـج التطبيقية [١] • وتستهدف اللسانيات الحاسوبية تمكين التعامل مع الحواسيب باللغات الطبيعية •

تواجه اللسانيات الحاسوبية مشكلتين اساسيتين [٢] هما :

١ ـ فوضى المصطلحات وقصورها اذ يلاحظ وجود الكثير من المصطلحـات الاجنبية من دون ان يقابلها مصطلحات عربية حتى الان ، او وجود اكثر من مصطلح عربي واحد للمصطلح الاجنبي في احيان اخرى •

٢ ـ قصور البحوث والمراجع العربية اذ مازالت المكتبة العربية تفتقر الـى الكتب والمراجع اللغوية الحديثة ، ولاسيما تلك التي تطبق نتائج النظرية الحديثة للسانيات •

وقد تضافرت جهود اللغويين والحاسبيين العرب للتغلب على العديد من المشكلات التي تواجهها اللسانيات الحاسوبية ، ومع تطور الحاسوب ، فقد توسعت استخداماته وتطبيقاته اللغوية كثيرا • ولعل الترجمة الآلية اهم هذه التطبيقات على الاطلاق • تعد الترجمة الآلية إحدى اهم تطبيقات معالجة اللغات البشرية بالحاسوب بهدف بناء منظومات الترجمة الآلية من لغة بشرية كاللغة الانكليزية مثلا الى لغة بشرية اخرى كاللغة العربية وبالعكس من دون اية مداخلة بشرية • ولكي ينجز الحاسوب هذه الترجمة بكفاءة وإتقان لابد أن يفهم الحاسوب طبيعة اللغة البشرية ، بكامل قواعدها النحوية ومعاني كلماتها واسلوب تركيب جملها وعباراتها وكل ما له صلة بصرفها وتفصيلاتها المختلفة • ولغرض جعل الحواسيب تفهم لغات البشر لابد من توفر معرفتين اساسيتين يكون الفهم بدونهما مستحيلا [٣] ، هما :

١ ــ معرفة الافكار المتبادلة •

٢ ــ معرفة الطرق التي ادخلت بها تلك الافكار الى اللغة •

ان فهم الحواسيب للغات البشر المكتوبة يعتمد اعتمادا كليا على وصف جوانب لغوية محددة بتلك اللغة ، منها :ــ

١ ــ التركيب Syntax

٢ ــ الصرف Morphology

٣ ــ الدلالة Semantics

٤ ــ المقاميات Pragmatics

٥ مجال المعرفة

ولانجاز الترجمة الآلية لابد من انجاز التحويلات النحوية الاتية :

١ ــ اعادة ترتيب مكونات الجملة المترجمة في اللغة المترجم اليها •

٢ ـ استبدال قواعد توليد او تحويل في اللغة المترجم منها بقواعد توليد او تحويل في اللغة المترجم اليها •

٣ ـ الاضافة في اللغة المترجم اليها •

٤ ـ الحذف في اللغة المترجم اليها •

تمر الترجمة الآلية بثلاث مراحل هي :ـ

١ ـ اعراب الجملة المراد ترجمتها اعرابا نحويا ودلاليا •

٢ ـ التحويل الذي يتولاه المحول •

٣ ـ اعادة بناء الجملة في اللغة المترجم اليها •

هناك مناهج نحوية عديدة للغة الحاسوب تتخذ جميعها من الجملة وحدة للتحليل ، بعضها مستمد من معالجة لغات البشر مثل :ـ

ـ نحو الحالات الاعرابية **Case Grammar**

ـ النحو الدلالي **Semantic Grammar**

ـ النحو التحويلي التوليدي **Transfermational Generative Grammar**

وبعضها الاخر مستمد من الذكاء الاصطناعي مثل :ـ

ـ نحو الشبكة الانتقالية المعززة **Augmented Transition Network**

ـ نحو الشبكة الانتقالية المصممة **Generalized Transition Network**

ـ نحو بنية العبارة المصمم **Generalized Phrase Structure Grammar**

وتتطلب عمليات الترجمة الآلية تعاونا وثيقا بين المختصين في علوم اللغات والمختصين في علوم الحاسوب ، وتواجه عملية الترجمة الآلية صعوبات جمة ابرزها الاتي :ـ

١ ـ صعوبة صياغة قواعد اللغتين حاسوبيا بما ينسجم وقدرات الحواسيب فيما يتعلق بحجم الذاكرة وسرعة الاسترجاع ومطابقة الجمل والقواعد •

٢ ـ الاستثناءات التي لا تخضع للقواعد اللغوية •

٣ ـ صعوبة تمثيل المفردات المعجمية حاسوبيا ، وما تحمله كل مفردة من سمات وظيفية ودلالية تصف معناها ومرادفاتها ضمن الجملة والنص ، فضلا عن كيفية اختيار الاساليب المثلى لتمثيلها حاسوبيا •

٤ ـ تمييز الكلمات المركبة وكيفية صياغتها حاسوبيا ضمن مفردات المعجم من جهة ، ومعالجتها من جهة اخرى •

٥ ـ الغموض الصرفي والقواعدي والدلالي وما يرافقه من غموض لغوي احيانا •

٦ ـ بناء النص المتكامل من جمل مترجمة منفصلة لتحقيق المعنى المطلوب اذ يستلزم ذلك ربط الضمائر وارجاعها الى عائديتها الاصلية في جمل النص ، ولا يمكن تجاوز هذه الصعوبات الا بتدخل الانسان لاجراء بعض عمليات التنقيح لتهيئة النص اللغوي المترجم المطلوب •

٤ ـ بعض متطلبات اعداد المترجم العلمي :

لان المترجم هو الاساس في عملية الترجمة ، إذن لابد من اعداد المترجمين اعدادا علميا سليما بحيث يجمع المترجم بين القدرة العلمية والتأهيل العالي في مجال تخصصه والقدرة اللغوية الجيدة بلغته العربية اولا وفي لغة اجنبية واحدة في الاقل ثانيا • ولاجل تحقيق ذلك نقترح الاتي :

١ ـ الزام جميع طلبة الدراسات الجامعية الاولية بتعلم احدى اللغات الاجنبية الحية نطقا وكتابة واعتبار ذلك جزءا من متطلبات منح الشهادة الجامعية • ولهذا الغرض لابد ان تسعى الجامعات الى انشاء مراكز لتعليم هذه اللغات في اطار برامج التعليم المستمر لمنتسبيها ولسواهم من المواطنين الراغبين بتعلم هذه اللغات تواصلا مع حضارات الامم والشعوب الاخرى • ولكي تؤدي هذه المراكز مهامها لابد من توفير مستلزماتها المادية من اجهزة ومختبرات لغوية حديثة ، وكذلك توفير التدريسيين من ذوي الخبرة والاختصاص ، واعتماد اساليب وطرائق التدريس الحديثة •

٢ ــ وفي الوقت نفسه لابد من الزام جميع طلبة الدراسات الجامعية الاولية بدراسة مقرر واحد في الاقل في اللغة العربية وادابها في السنتين الجامعيتين الاوليين ، على ان يتم التركيز فيهما على تدريب الطلبة على التعبير والكتابة بلغة عربية سليمة اذ يلاحظ ضعف اعداد غير قليلة من طلبة الجامعات وعدم قدرتهم على التعبير بلغة عربية جيدة الى الحد الذي لا تخلو فيه بعض كتاباتهم من اخطاء لغوية واملائية فادحة على الرغم من ان دراستهم ما قبل الجامعية قد تمت باللغة العربية على مدى اثني عشر عاما ، اضافة الى تدريسهم اللغة العربية وادابها وقواعدها طوال هذه المدة ، الامر الذي يستدعي اعادة نظر جادة وشاملة بمفردات مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها لاكساب الطلبة المهارات اللغوية والقدرة على التعبير بلغة عربية سهلة وسليمة بعيدا عن المبالغة وتفخيم الالفاظ واساليب الكتابة المعقدة التي لا تنسجم مع روح العصر ومتطلبات التطور العلمي والتقني ، المتمثلة بالدقة والبساطة والوضوح وعدم التأويل والاختصار الشديد .

٣ ــ الزام جميع طلبة الدراسات العليا بدراسة مقرر واحد في الاقل بالترجمة من احدى اللغات الاجنبية الحية الى اللغة العربية وبالعكس في مجال تخصصه واعتبار ذلك شرطا اساسيا من شروط الايفاء بمتطلبات الدراسة الجامعية لنيل الشهادة المطلوبة في حقل تخصصه .

٤ ــ مطالبة كل عضو هيئة تدريسية في التخصصات العلمية والتقنية بتقديم بحث علمي واحد في الاقل منشورا باللغة العربية في مجلة علمية محكمة في مجال تخصصه في كل مرحلة من مراحل الترقية العلمية ، وكذلك مطالبة كل عضو هيئة تدريسية في التخصصات الانسانية بتقديم بحث علمي واحد في الاقل منشور بلغة اجنبية حية في مجلة علمية محكمة في مجال تخصصه في كل مرحلة من مراحل الترقية العلمية .

٥ ــ تنشيط حركة ترجمة الكتب العلمية الجامعية بعد ان تعثرت كثيرا في السنين الاخيرة ليس بسبب الحصار فقط ، وانما لتزايد دعاوى زائفة

مفادها ان التعريب ينجم عنه تدني المستوى العلمي وعدم التواصل مع تطورات العلوم والتقانة الحديثة خلافا للحق والحقيقة حيث اثبتت تجارب الامم والشعوب قديمها وحديثها ان تدريس العلوم والمعارف الانسانية المختلفة بلغة الام اجدى وانفع واكثر كفاءة واستيعابا للطلبة في المراحل الدراسية المختلفة . ولا يمكن لاية امة حية تحترم نفسها ان تتخلى عن لغتها الوطنية والقومية بمحض ارادتها لتعليم ابنائها بلغة اخرى والا فانها تكون قد فقدت روحها ونبض حياتها الانسانية ، لا نسوق هذا الكلام بدافع التعصب القومي ، وانما لتثبيت حقيقة انسانية ادركتها وتدركها كل الشعوب الحية المتطلعة الى الرقي والتقدم على اساس التفاعل الحي مع ثقافات وحضارات الشعوب الاخرى والافادة من تجاربها اخذا وعطاءا .

٦ ـ مطالبة كل عضو هيئة تدريسية جامعية بتدريس مقرر دراسي واحد في الاقل باللغة العربية كجزء من واجباته التدريسية في حالة تعذر تعريب التعليم الجامعي لاي سبب من الاسباب ، اذ انه امر طبيعي ان يتم التدريس الجامعي بأكمله وفي جميع تخصصاته العلمية ومراحله المختلفة باللغة العربية بعد تأمين جميع مستلزماته من ملاكات تدريسية مدربة ومؤمنة ايمانا مطلقا بأهمية التعريب وجدواه العلمية وفوائده التربوية والوطنية ، وتوفير احتياجاته من كتب ودوريات ومجلات علمية مترجمة ، واعتماد طرائق تدريس وتقنيات تربوية حديثة ، ومفردات ومناهج دراسية متطورة مواكبة لمستجدات العلوم والتقانة الحديثة ، وملبية لاحتياجات بلادنا ونزوعها المشروع نحو التقدم وامتلاك ناصية العلم على وفق رؤية عربية واسلامية .

٧ ـ اشراك اعضاء الهيئات التدريسية بدورات وحلقات دراسية في اللغة العربية في اطار برامج التعليم المستمر بهدف رفع قدراتهم اللغوية واطلاعهم على مستجدات تعريب العلوم والافادة من تجارب الاخرين . اذ يلاحظ ان هناك ضعفا واضحا لدى اعداد غير قليلة من اعضاء الهيئات التدريسية

في الجامعات ليس بين اوساط المتخرجين منهم من جامعات اجنبية حسب ، بل بين العديد من المتخرجين من جامعات عربية . وينبغي ان يراعى في اعداد هذه الدورات مواكبتها للتطورات الحديثة في اساليب وطرائق تدريس اللغات بالافادة من تقانات المعلومات والاتصالات وما الى ذلك .

٨ ـ تشكيل لجان علمية للترجمة على مستوى الكليات والجامعات من كبار الاساتذة الجامعيين لاقرار الخطط السنوية للتعريب والترجمة والعمل على تنفيذها .

٩ ـ التنسيق بين المجامع العلمية واللغوية والجامعات اذ يلاحظ ضعف هذه العلاقة في معظم الاقطار العربية .

١٠ ـ انشاء دار وطنية للترجمة والتعريب والنشر تتولى ترجمة امهات الكتب العلمية والمراجع والدوريات والتنسيق مع دور الترجمة المماثلة في الاقطار العربية المختلفة . منعا للتكرار وبعثرة الجهود ، وان تتولى هذه الدار اعداد الملاكات اللازمة وتدريبها للالمام بتقنيات الترجمة ومواكبة تطوراتها المختلفة .

١١ ـ العمل على الافادة من تقنيات الترجمة الآلية كلما امكن ذلك لمواجهة تدفق الكم الهائل من الاصدارات العلمية المختلفة .

١٢ ـ اعتماد طرائق تدريس حديثة لتعليم اللغة العربية بصورة سهلة للطلبة الامر الذي يتطلب تحديث مناهج تعليم اللغة العربية وأساليبها بما يتفق والنظريات اللغوية والتربوية الحديثة والافادة من القدرات الحاسوبية الهائلة في مجال اللسانيات الحاسوبية .

١٣ ـ الاهتمام بمواضيع اللسانيات الحاسوبية في اقسام اللغات واقسام علوم الحاسوب وهندسته على حد سواء .

١٤ ـ الاهتمام ببحوث الترجمة الآلية واللسانيات الحاسوبية والدراسات الخاصة بها .

١٥ ــ تنظيم معارض الكتب العلمية والمترجمة للتعريف بهـا على اوسع نطاق ولاسيما في الجامعات •

١٦ ــ رصد جوائز سنوية تمنح في المناسبات لافضل الكتب العلميـة المترجمة في التخصصات العلمية المختلفة ولاسيما تلك التخصصـات التـي تلامس حافات العلوم المتقدمة •

١٧ ــ تنظيم الندوات والمؤتمرات العلمية التي تتناول قضايا التعريـب والترجمة بصورة دورية ومنتظمة في الاقطار العربية المختلفة •

وبذلك نكون قد هيئنا البيئة العلمية المناسبة لازدهار حركة الترجمـة العلمية التي يمكن ان يبدع فيهـا المترجمـون لرفد مكتباتنـا وجامعاتنـا ومؤسساتنا العلمية والتعليمية بالكتب العلمية المختلفة التي تعزز الجهـود المبذولة لتحقيق تنمية علمية شاملة في جميع التخصصات • ولابد من الاشارة هنا الى ان الترجمة العلمية لا تقتصر على نقل العلوم والمعارف من اللغـات الاجنبية الى اللغة العربية فقط ، وانما ينبغي ان تهتم بنقل النتاج العلمي العربي الى اللغات الاخرى •

الخاتمـة :

تعد الترجمة نشاطا علميا يسهم اسهاما فاعلا في نقل ثقافات الشـعوب والامم المختلفة وعلومها ومعارفها في مختلف العصور والازمان • وتكتسـب الترجمة العلمية في عصرنا اهمية خاصة نظرا لتدفق المعلومات الهائل في شـتى العلوم والمعارف وتطوراتها الكبيرة والسريعة في آن واحد ، وحاجة امتنـا للاستزادة من هذه العلوم والمعارف ، ليس بهدف غلق الفجوة العلمية والتقنية فحسب ، بل للوقوف على قدم المساواة مع الدول الاكثر علما وتقدما في الالفية الثالثة من هذا العصر ، ذلك ان من يمسك بزمام ناصية العلم انما يمسك بأهم اسباب القوة والتقدم ، لذا ينبغي والحالة هذه ايلاء الترجمة ما تستحقه مـن اهتمام خاص لتحقيق النهضة العلمية التي تنشدها بلادنا المنطلقة نحـو ذرى المجد والتقدم •

المصـــادر :

١ ـ بلعيد ، صالح
اللغة العربية والتعريب العلمي ـ اراء وحلول مجلة التعريب ، العـــدد الثامن عشر ، المركز العربي للتعريب والترجمة ، دمشق ، ١٩٩٩ .

٢ ـ علي ، نبيـــل
اللغة العربية والحاسوب ، تعريب ، القاهرة ، ١٩٨٨ .

٣ ـ الترجمة الآلية ، مجلة المجمع العلمي ، الجـــزء الاول ، المجلد الرابـــع **والاربعون ، بغداد ، ١٩٩٧ .**

٤ ـ ـ جريو ، داخل حسن
مواصفات الكتب المترجمة
وقائع ندوة دائرة المصطلحات والترجمة والنشر ، منشورات المجمـــع العلمي ، بغداد ، ١٩٩٨ .

٥ ـ خليفة ، عبدالكريم
تجربة مجمع اللغة العربية الاردني في تعريب التعليم الجامعي ، كتاب اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث ، منشورات مجمع اللغة العربيـــة الاردني ، عمان ، ١٩٨٧ .

دراسة مقارنة للامراض
الانتقالية والمعدية في العراق
قبل وبعد العدوان

ا. د. هدى صالح مهدي عماش
عضو المجمع العلمي
رئيسة جمعية المايكروبايولوجيين العراقية

الملخص

ساهمت العمليات العسكرية المباشرة في اثناء العدوان الثلاثيني بتدمير بعض الوحدات الاساسية في البنى الارتكازية المعنية بالسيطرة على الجراثيم الممرضة في العديد من جوانب البيئة العراقية ، مما ادى الى انتشار هذه الجراثيم وتفشيها . وقد تظافر هذا العامل مع العوامل الناجمة عن استمرار الحصار الاقتصادي والتقني مما حال دون إمكانية السيطرة عليها . مضافا الى ذلك ان سوء التغذية قد ساهم بفعله غير المباشر في إضعاف المناعة اللازمة للتصدي الى الامراض مما ادى الى تفشي العديد من الامراض والاوبئة . يتناول هذا البحث وبائية الحرب وما تلاها من الحصار كما يتناول واقع الخدمات الصحية اللازمة للسيطرة على هذه الامراض ولاسيما في قطاع التحليلات والتشخيص المرضي واثرها في انتشار الاعراض المرضية والاوبئة في العراق .

مقدمة واستعراض المراجع :

ان تلوث البيئة العراقية في جوانبها العديدة من هواء ومياه وتربة كان من اهم آثار العدوان الثلاثيني الذي تعرض له العراق (مؤتمر قمة الارض ، ١٩٩٢) ، ولقد تم تناول اهم جوانب هذا التلوث البيئي وسبل حمايته وتأشيره من قبل العديد من الجهات كان من اولها مجلس حماية البيئة وتحسينها (١٩٩٢) ، كما اشرت بعض الجهات الدولية آثار العدوان على البنى الارتكازية المسؤولة عن السيطرة على الجراثيم الممرضة في جوانب المجالات كافة (فريق هارفارد ، ١٩٩٢) فضلا عن التقارير الرسمية العراقية حيث اشرت وزارة الصناعة والمعادن ذلك في تقريرها الذي قدمته الى مؤتمر يوم البيئة العراقية (وزارة الصناعة ، ١٩٩٢) . وكان من بين اهم انواع التلوث هو التلوث الكيماوي الذي نجم عن القصف المباشر للمنشآت النفطية (وزارة النفط ، ١٩٩٢) والمصانع الكيمياوية مما ادى الى تسرب انواع من المركبات الهيدروكاربونية الخطيرة والمبيدات الحشرية وتجمع المعادن الثقيلة السامة وغيرها (الحافظ والسعدي ، ١٩٩٣) . ومن انواع التلوث الاخرى هو التلوث الكهرومغناطيسي الذي حدث نتيجة لتأين اجواء العراق الذي نجم عن كثافة استخدام الاجهزة الالكترونية وعن القصف المكثف وتفجير مالا يقل عن (١٣٥) الف طن من المتفجرات (عماش وجماعتها ، ١٩٩٧) وقد نجم عن هذه الانواع من التلوث فضلا عن سوء التغذية الناجم عن الحصار تردي الواقع الصحي لجميع الفئات العمرية في المجتمع (السعدي ، ١٩٩٤) . وكان من اكثر الفئات العمرية التي تأثرت هي الاطفال تحت سن الخامسة من العمر كما اثبتت جمعية رعاية الطفولة (١٩٩٢) و (عماش وجماعتها ، ١٩٩٧) فضلا عن التقارير الرسمية لوزارة الصحة خلال سني الحصار .

ألا ان التلوث لم يؤثر فقط على القطاع الصحي وإنما شمل القطـــاع الزراعي ايضا حيث انتشرت الآفات الزراعية نتيجة لعدم إمكانية مكافحتهـــا بسبب نقص المستلزمات الناجم عن الحصار الاقتصادي (الحافظ والسعدي ، ١٩٩٤) . والى جانب انواع التلوث المشار اليها اعلاه فقد ظهر نوع آخر من التلوث وهو التلوث بالاحياء المجهرية المرضة او الميكروبية نتيجة لعدم القدرة على حماية مصادر المياه ولاسيما مياه الشرب والغسل نتيجة لعدم القدرة على معاملة مياه الشرب او معاملة مياه الصرف الثقيلة لعدم توفر المستلزمات اللازمـــة (وزارة الداخلية ، ١٩٩٢) . ولقد اظهرت البحوث ازدياد النسبة المئويـــة للتلوث البكتيري في مياه الشرب للاشهر التي اعقبت العدوان مباشرة من العام ١٩٩١ حتى بلغت (٢ر٤١٪) بالمقارنة مع (٩٪) للاشهر التي سبقته (عمـــاش وجماعتها ، ١٩٩٧) . ان انتشار هذه الجراثيم نتيجة للاسباب المذكورة آنفاً قد ادى الى انتشار العديد من الامراض . وسوف تتناول فيما يأتي الاوبئـــة والامراض التي انتشرت نتيجة لكل هذه العوامل .

انتشار الامراض المعدية :

لعل اهم ما يسترعي الانتباه هو عودة بعض الاوبئة التي اختفت مـــن العراق لسنين طويلة ، فقد ازدادت بعض الامراض في اماكن عديدة من القطر ، كما ظهرت اول مرة في مناطق اخرى كانت خالية منها تماما . ويوضح الجدول رقم (١) انتشار (٢٣) نوعا من الامراض الانتقالية والمعدية في العراق خـــلال عام ١٩٩٦ وذلك بالمقارنة مع العام ١٩٨٩ الذي سبق العدوان منها شـــلل الاطفال والسعال الديكي والكوليرا ، والتايفوئيد ، والزحار الاميبي ، والتهاب الكبد الفيروسي ، والملاريا ، وحبة بغداد ، والحمى السوداء ، وحمى مالطـــا وداء المقوسات والجرب وغيرها . ومنه يلاحظ ظهور (٣٩١٤٦) حالة اصـــابة بالجرب في ذلك العام . وتجدر الاشارة الى ان العراق كان خاليا من هـــذا المرض اذ لم تسجل اية حالة به للاعوام السابقة (وزارة الصحة ، ١٩٩٧) .

وكذلك فقد سجل في عام ١٩٩٦ (٨٣١) حالة اصابة بمرض الهيضة او الكوليرا على الرغم من ان العراق كان قد نجح في القضاء على هذا الوباء في الاعوام التي سبقت العدوان وبشهادة المنظمات الصحية العالمية ومنها منظمة الصحة الدولية WHO (منظمة الصحة الدولية ، ١٩٩٧) • اما بقية الامراض فقد تضاعف انتشارها بنسب تراوحت من (٤٠ر٠) كالحصبة الى (٧ر٢٧) ضعفا كما في الزحار الاميبي •

انتشار امراض ذات السحايا والحصبة والسعال الديكي في الاطفال تحت سن الخامسة :

رغم انتشار الامراض المعدية في كل الفئات العمرية الا ان بعض الامراض المعدية قد تركزت في الاطفال تحت سن الخامسة من العمر • ويوضح الشكل رقم (١ ، ٢) حالات الاصابة الجديدة لمرضى الخناق والسعال الديكي في هذه الفئة العمرية من الاطفال • حيث يبين ظهور ٢٥٨ حالة اصابة بمرض الخناق في كل مئة الف طفل عام ١٩٩٦ وذلك بالمقارنة مع (٧١) حالة عام ١٩٨٩ • اما بالنسبة الى انتشار مرض السعال الديكي فقد بلغت حالات الاصابة ١١٧٩ حالة من بين كل مائة الف طفل بالمقارنة مع ٣٤٢ حالة اصابة عام ١٩٨٩ (وزارة الصحة ، ١٩٩٧) • اما بالنسبة الى مرض الحصبة فيوضح الشكل رقم (٣) عدد حالات الاصابة الجديدة للاعوام (٩٠ـ٩٦) ولكل مائة الف طفل تحت سن الخامسة من العمر • ومنه نلاحظ تضاعف هذا المرض لاكثر من الضعف في العامين ١٩٩٤ و١٩٩٦ بالمقارنة مع عام ١٩٨٩ • اما الجدول رقم (٢) فيوضح حالات الاصابة بمرض ذات السحايا المميت لهذه الفئة العمرية من الاطفال حيث سجل العام ١٩٩١ اعلى نسبة اصابة اذ بلغت ٣ر٣٧ حالة اصابة جديدة •

انتشار مرضي الكزاز وشلل الاطفال في الاطفال تحت الخامسة عشرة :

يبين الشكل رقم (٤) والشكل رقم (٥) تفشي مرضي الكزاز وشلل الاطفال في الاطفال تحت سن الخامسة عشرة من العمر حيث سجل مرض

كزاز الاطفال تراجعا عن الزيادة التي شهدتها الاعوام ١٩٩١ و١٩٩٢ و١٩٩٣ •
اما مرض شلل الاطفال فقد سجلت (١٨) حالة اصابة من بين كل مائة الف طفل في العام ١٩٩٦ بالمقارنة مع (٨) حالات فقط للعام ١٩٨٩ مما يعني ازدياد الحالات بأكثر من الضعف (منظمة الصحة الدولية ، ١٩٩٧) •

حالات انتشار الملاريا :

يوضح الشكل رقم (٦) معدل حالات الاصابة بالملاريا في جميع الفئات العمرية في العراق ولكل مائة الف نسمة حيث بلغت الحالات للعام ١٩٩٦ (٣٢١٩٩) حالة بالمقارنة مع ١٥١٠ للعام ١٩٨٩ مما يعني زيادة بأكثر من سبعة عشر ضعفا • وتعد الاصابة بهذا المرض احد الادلة على التأثير المركب للحرب والحصار فضلا عن كونه من الاثار البعيدة المدى لاخطار وبائية الحرب وكما سيرد لاحقا في المناقشة •

حالات انتشار الامراض المعوية :

لقد وضح الجدول رقم (١) انتشار الامراض المعدية بصورة عامة ، الا ان ظروف الحصار وما نجم عنها من الصعوبات الجمة في توفير شروط التعقيم السليم لمياه الشرب وللاغذية قد ساهم في استفحال انتشار الامراض المعوية اكثر من غيرها • ومن اكثر هذه الامراض فتكا وانتشارا هي مرضي الهيضة (الكوليرا) والتيفوئيد • ويوضح الجدول رقم (٣) عدد حالات الاصابة بالهيضة التي ازدادت بمعدل (١٣٤٤) وكان العام (١٩٩٤) قد سجل اعلى حالات اصابة ثم انخفض العدد الى(١٨)حالةفي عام ١٩٩٦ وذلك نتيجة للجهود المكثفة التي بذلت للسيطرة على الوباء • اما انتشار مرض الحمى التايفوئيدية فيوضح الجدول ايضا الارتفاع الكبير في عدد حالات الاصابة المسجلة في عام ١٩٩٤ حيث بلغت ٢٤٤٧٤ حالة اي بمعدل ١ر١٤٢ حالة لكل مائة الف نسمة• وعلى الرغم من الانخفاض في هذا المعدل في عام ١٩٩٦ الا ان النسبة بقيت عالية (٦ر٨١) بالمقارنة مع المعدلات العالمية او بالمقارنة مع العراق عام ١٩٨٩ حيث كانت (٦ر١١) لكل مائة الف نسمة •

الاصابة بمرض حبة بغداد :

ان انتشار الامراض المعدية والاوبئة لم ينحصر في تلك الامراض التنفسية او المعوية المشار اليها سابقا بل تعداه الى الامراض الجلدية ايضا • ويعد ذلك مشكلة معقدة بالنظر للاثار السلبية التي تتركها التشوهات الخلقية الناجمة عن المرض حتى بعد ان تتم المعالجة والشفاء منه اولا ، ولكون العديد من هذه الامراض تسببها الطفيليات وليس البكتريا الممرضة • فمن المعروف ان الطفيليات هي جراثيم ممرضة اكثر تعقيدا وتطورا في نموها من البكتريا ، لذا فهي لا تتأثر بالمضادات الحيوية وبالتالي يصعب القضاء عليها ومعالجتها ، كما ان فترة العلاج بالادوية الخاصة تكون اطول من غيرها ، يضاف الى ذلك ان اغلبها يعيش في حيوان او حشرة تعمل كمضيف وسطي ، لذا فان القضاء على المرض يحتم السيطرة على هذه الحيوانات مثل الكلاب السائبة ، او الحشرات مثل البعوض ، وبما ان مثل هذه السيطرة يصعب انجازها بسبب الحصار الاقتصادي والتقني نتيجة لعدم توفر المستلزمات ، لذا فان فرصة السيطرة على هذه الامراض تكون ضئيلة • هذا ويوضح الشكل رقم (٧) حالات الاصابة الجديدة باحد هذه الامراض وهو مرض حبة بغداد (Leishmaniasis) حيث يبين ازدياد الحالات من ٢١٥٩ حالة عام ١٩٨٩ الى ١١٠٤٤ حالة عام ١٩٩٦ أي بمعدل ٥٨ر٨ اصابة لكل مائة الف نسمة •

الخدمات الصحية التشخيصية :

من المعروف ان من بين اهم فرص النجاح في معالجة المرض هو سرعة التشخيص ودقته ، لذا فان تردي الخدمات التشخيصية نتيجة لحرمان العراق من المستلزمات اللازمة من اجهزة ومواد كيميائية وبايولوجية ومحاليل لازمة لانجاز هذه التحليلات قد ساهم بشكل مباشر في عدم القدرة على انجاز التشخيص اللازم في الوقت المناسب • ويبين الجدول رقم (٤) تردي الفحوصات المختبرية الشهرية للفترات الزمنية من ١٩٨٩ ، وحتى نهاية شهر ايلول ١٩٩٧ • ومنه نلاحظ ان نسبة الانخفاض قد بلغت ٦٦ر١٪ عما كان يقدم من خدمات

صحية في هذا المجال عام ١٩٨٩ حيث بلغ معدل الفحوصات الشهرية التي تجرى للمرضى نحو المليون والنصف المليون فحصا٠كما يوضح الجدول انواع التحليلات المرضية التي تم انجازها موخرا خلال الاشهر من كانون الثاني نهاية ايلول للعام ١٩٩٧ (وزارة الصحة ، ١٩٩٧) ٠ ومن الملاحظ ان اغلب هذه التحليلات هي في تردي مستمر ولاسيما في الاشهر الثلاثة الاخيرة حيث انخفضت التحليلات في مجال الكيمياء السريرية بمعدل ١١٠٠٠ تحليل ، وتحليلات البكتريولوجي باكثر من الف تحليل ، اما فحوصات امراض الدم فقد انخفضت بحوالي ١٥٠٠ تحليل وهكذا بالنسبة الى انواع التحليلات الاخرى ٠

المناقشـــة :

من النتائج التي تم استعراضها يتبين تنوع الامراض وغياب عامل مشترك للكائن المجهري الممرض المسبب لها ، اذ لا يمكن ان تعزى جميعها او بعضها الى مجموعة واحدة او حتى مجاميع متقاربة من هذه الكائنات ٠ فبعض هذه الامراض كان نتيجة للاصابة بفيروسات ممرضة وبعضها الاخر نتج عن الاصابة ببكتريا ممرضة والاخر عن طفيليات او فطريات ممرضة وهكذا ٠ مما يشير الى تظافر عدة عوامل في احداث هذه الاصابات والامراض المعدية وانتشارها ٠ وتعود هذه العوامل برمتها بشكل مباشر الى العدوان بما تضمنته عمليات عسكرية مباشرة او الى الحصار الذي تلاها وما ينتج عنه من نقص شديد في المستلزمات المعنية ٠

فقصف المنشآت المعنية بتصفية مياه الشرب ومعالجة المياه الثقيلة قد احدث تلوثا ميكروبيا في البيئة العراقية ٠ كما ان نقص الدواء اضعف ويضعف من فرصة الشفاء السريعة ، مضافا الى ذلك فان النقص الكبير في العديد من اللقاحات وانعدام وسائل ومستلزمات خزنها ونقلها بصورة سليمة قد عرض قطاعات واسعة من الشعب ولاسيما بين الفئات العمرية الصغيرة الى الاصابة بالامراض الواجب التلقيح ضدها في هذا السن مثل شلل الاطفال والخناق والكزاز وغيرها ٠ كما ان قلة التحليلات المرضية اللازمة للتشخيص السريع

والدقيق للمرض قد ادت الى تقليل فرص المريض المصاب في تلقي العـــلاج المناسب في الوقت المناسب . اما العوامل غير المباشـرة التي اثـرت وتؤثر في ازدياد الوبائية لبعض الامراض فهي انتشار الحيوانات السـائبة والحشرات الضارة التي تمثل الوظائف الطبيعية للعديد من الجراثيم الفتاكة ، وذلك لعدم توفر مستلزمات مكافحتها بسبب شمول هذه المستلزمات بالمقاطعة الاقتصادية.

وقد ادت الهجرات السكانية من بعض المحافظات الى محافظات اخـرى لاسباب عديدة نجمت عن العدوان واستمرار الحصار من بين اهمها الجانـب الاقتصادي ، الى نقل بعض الامراض من المحافظات التي كانت متواجدة فيها على نطاق ضيق الى محافظات اخرى لم تسجل فيها اية حالات اصابة بهـــذه الامراض (كالملاريا) مثلا من قبل . ومن جهة اخرى ، يعد سوء التغذية الناجم عن الحصار الاقتصادي وما يسببه من نقص كبير في الفيتامينات والمعـــادن والعناصر الغذائية الاساسية لوجود الجهاز المناعي وفعاليته في الجسم السليم، أهم عامل في اضعاف المناعة لدى قطاعات واسعة ومن مختلف الفئات العمرية ، مما جعلها عرضة لشتى انواع الامراض التي لا يوجد بينها اي عامل مشـترك غير هذا العامل الاخير .

اما بالنسبة الى التأثيرات القريبة المدى والبعيدة المدى ، فان لبعض هذه الامراض تأثيرا فتاكا مباشرا ، فبعضها مميت وعلى نحو سريع مثل التهـــاب السحايا والتهاب الكبد الفيروسي على سبيل المثال ، اما بعضها الاخر فان لـه تأثيرات تنتقل عبر الاجيال وربما حتى بعد رفع الحصار الاقتصادي ، كما في حالة الاصابة بالملاريا لدى الاناث الحوامل او من هن في سن الانجاب ، لمـــا يتركه المرض من اثر على صحة الجنين المولود . واخيرا فانه تجدر الاشارة الى ان كل النتائج المؤشرة في الجداول والاشكال التي تضمنتها هذه الدراســـة تشير الى حالات الاصابات المسجلة رسميا في المستشفيات العراقية الحكومية فقط ، اي انها لا تشمل الحالات المسجلة في المستشفيات وعيادات القطـــاع الخاص التي نعتقد انها تتضمن اعدادا كبيرة جديرة بالدراسة في المستقبل .

جدول رقم (١)
الحالات المسجلة للامراض الانتقالية قبل الحرب وفي اثنائها

المرض	العدد عام ١٩٨٩	العدد عام ١٩٩٦	الزيادة عن عام ١٩٨٩
شلل الاطفال	١٠	٢٠	٢
الخناق	٩٦	٢٥٨	٢ر٦٩
السعال الديكي	٣٦٨	١١٧٩	٣ر٢٠
الحصبة	٥٧١٥	٢٤٠	٠ر٠٤
حصبة المانية	٥١٤	٢٣	٠ر٠٤
الكزاز الولادي	٤٢	٧٤	١ر٧٦
الكزاز	٣٢	١٢	٠ر٣٧
النكاف	٩٦٣٩	١٤٨١٧	١ر٥٤
الكوليرا	صفر	٨٣١	٨٣١
التايفوئيد	١٨١٢	١٥٢٣٨	٨ر٤١
الجيارديا	٧٣٤١٦	٥٨٤٦٢١	٧ر٩٦
زحار اميبي	١٩٦١٥	٥٤٣٢٩٥	٢٧ر٧
التهاب الكبد الفايروسي	١٨١٦	٢٩٨٠٣	١٦ر٤١
التهاب السحايا	٢٥٥٩	٦٩١	٠ر٢٧
ملاريا محلية	٣٤٢٨	٣٢١٩٩	٩ر٣٩
حبة بغداد	١٨٢٩	٧٦٠٦	٤ر١٦
الحمى السوداء	٤٩١	٣٤٣٤	٦ر٩٩
الحمى النزفية	٣٨	٤٨	١ر٢٦
حمى مالطا	٢٤٦٤	٧٥٣١	٣ر٠٦
داء المقوسات	٣٧٢	٢٧٦٨	٧ر٤٤
اكياس مائية	٣٧٠	١٨٤	٠ر٤٩
الجرب	صفر	٣٩١٤٦	٣٩١٤٦
داء الكلب	٢٥	٢٣	٠ر٩٢

المصدر : قسم الاحصاء الصحي والحياتي ، وزارة الصحة ، ١٩٩٧ ، بغداد

جدول رقم (٢)

حالات الاصابة بمرض ذات السحايا في الاطفال تحت سن الخامسة في العراق

العام	حالات الاصابة بذات السحايا العدد الكلي	العدد لكل مائة الف نسمة
١٩٨٩	٢٢٦٣	١٥ر٦
١٩٩٠	١٥٦١	١٠ر٤
١٩٩١	٥٧٩٢	٣٧ر٣
١٩٩٢	٤٥٣٤	٢٨ر٢
١٩٩٣	٣٧٨٩	٢٢ر٨
١٩٩٤	٣٠٧٤	١٧ر٨
١٩٩٦	٦٨٧	٢٤ر٨

جدول رقم (٣)

حالات الاصابة الجديدة بالهيضة والحمى التيفوئيدية في العراق

السنة	حالات الاصابة بالتيفوئيد لكل مئة الف نسمة	العدد	حالات الاصابة بالهيضة لكل مائة الف نسمة	العدد
١٩٨٩	١١ر٦	١٦٨٦	صفر	صفر
١٩٩٠	١١ر٣	١٦٩١	صفر	صفر
١٩٩١	١١٢ر٨	١٧٥٢٤	٧ر٨	١٢١٧
١٩٩٢	١١٩ر٩	١٩٢٧٦	٦ر١	٩٧٦
١٩٩٣	١١٢ر٥	١٨٧٢٤	٥	٨٢٥
١٩٩٤	١٤٢ر١	٢٤٤٧٤	٧ر٨	١٣٤٤
١٩٩٦	٨١ر٦	١٥٣٣٨	٠ر٠٩	١٨

جدول رقم (٤)

واقع الفحوصات المختبرية السريرية في اثناء الحصار

نوع الفحص	ك ٢	شباط	آذار	نيسان	ايار	حزيران	تموز	آب	ايلول
	١٩٩٧								
فحوصات سريرية	٨٨٢٣٠	٩٣٨٩٤	٩٤٧٨١	٨٩٦٠٨	١٠٤٨٢٠	١١٠١١٠	١١٢٤٧٨	١١٤٤٢٠	١٠١٦٧٧
بكتريولوجي	١٥٧٩٤	١٦٨٨٩	١٧٠٤٨	١٦٩٠٩	١٨٨٥٣	١٩٩١٧	٢٠٢٣١	٢٠٥٧٩	١٨٢٨٨
امراض الدم	١٤٧٨٥١	١٥٧٣٥٥	١٤٩٨٨٨	١٥٦٦١٠	١٧٥٦٥٢	١٨٣٤٩٢	١٨٥٨٧٨	١٨١٧٣٦	١٧٠٣٨٥
فحوصات مصرف الدم	٤٥٣٢٥	٤٤٨٩٧	٤٦٦٧٩	٥٠٠٠٥	٥٣٨٤٧	٥٦٨٦٥	٥٧٧٨١	٥٨٧٧٩	٥٢١٨١
السيرولوجي	١٢٤٧٨	١٣٢٦٤	١٣٥٠٥	١٤٠٢١	١٤٨٢٤	١٥٦٧٩	١٥٩٠٧	١٦١٨٧	١٤٣٩٠
السايتولوجي	٢٨١٠	٣٠٠	٣١٥	٣٠٧	٣٣١	٣٦٦	٤٠١	٤٠٥	٣٢٠
مقاطع نسيجية	٩٩٧	١٠٥٢	١٠٧٨	١٠٠٦	١١١٢	١١٦٠	١٢٨	١٣٢٠	١١٥٧
المتفرقة	١٢٦٠١٠	١٤٠١٠٠	١٤٨٢٣٦	١٤١٢٠٣	١٥٢٦٨٧	١٦٤٢٩٤	١٦٥٤١٨	١٦٧٨٨٢	١٤٨٠٢٩
المجموع	٤٣٩٤٩٥	٤٦٧٧٥١	٤٧١٥٣٠	٤٦٩٦٦٩	٥٢٢١٢٦	٥٥١٨٨٣	٥٥٨٢٢٢	٥٧١٣٠٢	٥٠٦٤٢٧
النسبة المئوية للانخفاض	٧٠و٥٨ــ	٦٨ر٧ــ	٦٨ر٤ــ	٦٨ر٦ــ	٦٥ر٠٥ــ	٦٣ر١ــ	٦٢ر٦ــ	٦١ر٧٦ــ	٦٦ر١ــ

المعدل الشهري ١٩٨٩ ١٤٩٤٠٥٠

المصـــادر

١ ـ الحافظ ، وحسين السعدي ، ١٩٩٣ ، تأثير العدوان والقصف على البيئـة والواقع الغذائي في العراق ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد .

٢ ـ الحافظ ، وحسين السعدي ، ١٩٩٤ ، التأثيرات البيئية للعدوان والقصف على مواقع الافات الزراعية في العراق ، الندوة العلمية الدولية ، المشاكل البيئية بعد الحرب في العراق ، بغداد .

٣ ـ السعدي ، حسين ، ١٩٩٤ ، تأثير العدوان والحصار على البيئة والصحـة العامة في العراق ، مجلة كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد .

٤ ـ تقرير العراق الى مؤتمر قمة الارض ، ١٩٩٢ ، وقائع مؤتمر قمة الارض ، ريودي جانيرو ، ١ـ١٣/٦/١٩٩٢ المنشور في جريدة الثورة ١١/٦/١٩٩٢، بغداد .

٥ ـ جمعية رعاية الطفولة ، ١٩٩٢ ، واقع الطفولة في العراق خلال الحصـار . وقائع المؤتمر العلمي لجمعية رعاية الطفولة ، ١٥/٨/١٩٩٢ ، بغداد .

٦ ـ عماش ، هدى صالح ، وحسين السعدي وانيس الراوي ، ١٩٩٧ ، التلوث الكهرومغناطيسي والكيمياوي والجرثومي الناتج عن الحرب والحصـار وتأثيره في البيئة والصحة العامة ، مجلة المجمع العلمي ، الجـزء الاول ، المجلد الرابع والاربعون . ١٠٧ـ١٢٢ ، بغداد .

٧ ـ فريق هارفارد ، ١٩٩٢ ، العدوان على العراق ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغـداد .

٨ ـ مجلس حماية وتحسين البيئة ، ١٩٩٢ ، تقرير جمهورية العراق ، وقائـع مؤتمر الامم المتحدة للبيئة في ريودي جانيرو ، ١ـ١٣/٦/١٩٩٢ ، بغداد .

٩ ـ منظمة الصحة الدولية ، ١٩٩٦ ، الظروف الصحية للسكان في العـراق منذ مأساة الخليج .

١٠ـ وزارة الداخلية ، ١٩٩٢ ، حماية مصادر المياه ، وقائع مؤتمر يوم البيئـة العراقي ، ١٥/١/١٩٩٢ ، بغداد .

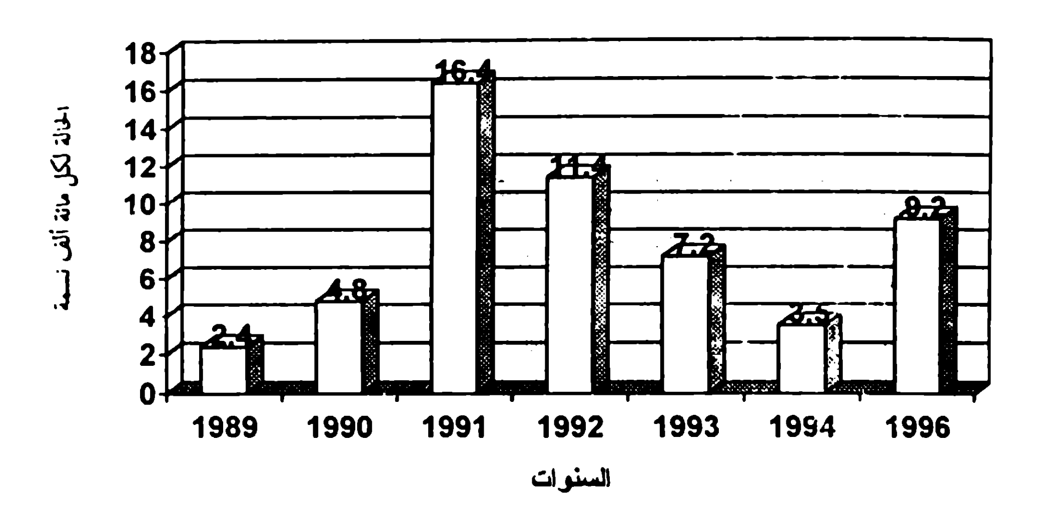
١١ـ وزارة الصحة ، ١٩٩٧ ، قسم الاحصاء الحياتي ، بغداد .

١٢ـ وزارة الصناعة ، ١٩٩٢ ، تقرير وزار الصناعة ، وقائع مؤتمر يوم البيئة العراقي ، ١٥/١/١٩٩٢ ، بغداد .

١٣ـ وزارة النفط ، ١٩٩٢ ، تقرير وزارة النفط ، وقائع مؤتمر البيئة العراقي ١٥/١/١٩٩٢ ، بغداد .

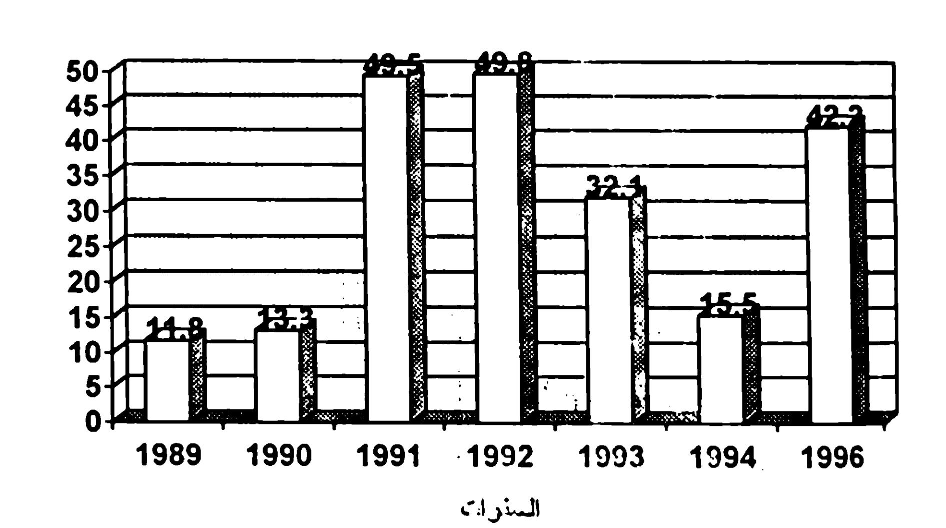
شكل رقم (١)

حالات الإصابة بمرض الخناق في الأطفال تحت سن الخامسة في العراق خلال ١٩٨٩-١٩٩٦



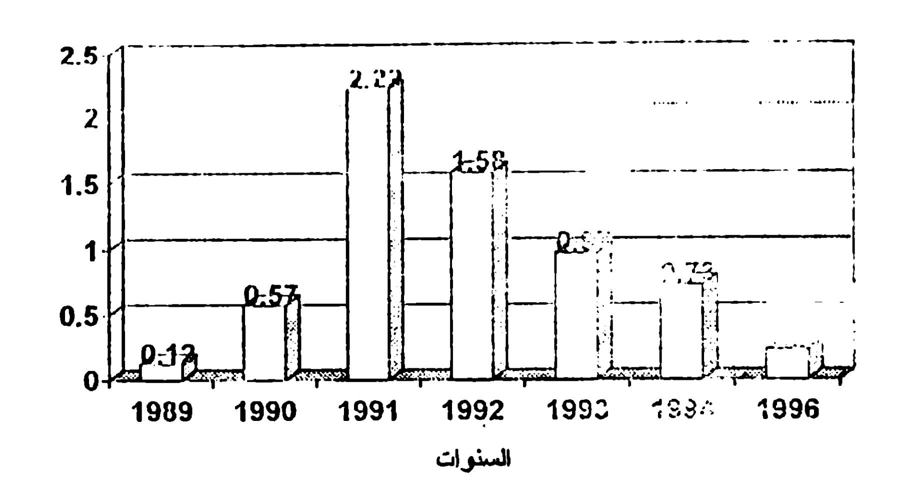
شكل رقم (٢)

حالات الاصابة بمرض السعال الديكي في الاطفال تحت سن الخامسة



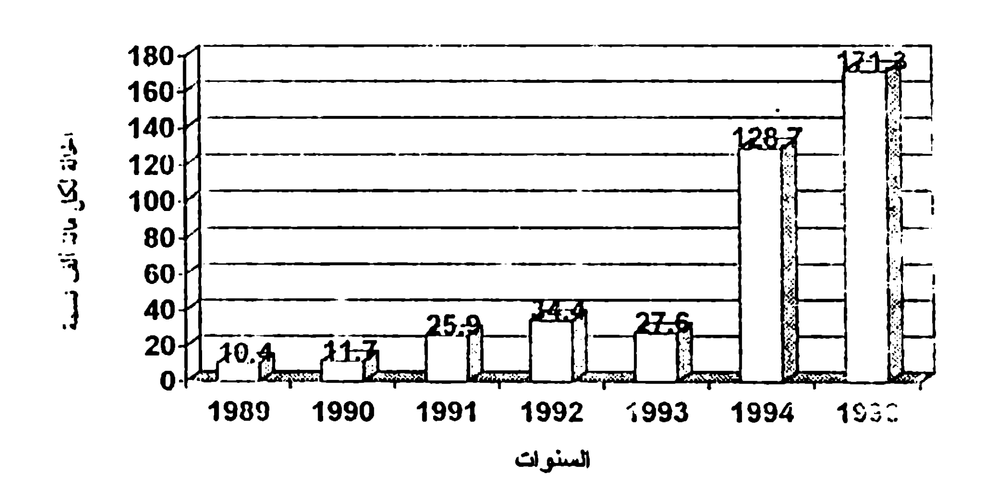
شكل رقم (٥)

حالات الإصابة الجديدة بمرض شلل الأطفال في الأطفال تحت سن الخامسة عشرة في العراق خلال الأعوام ١٩٨٩_١٩٩٦



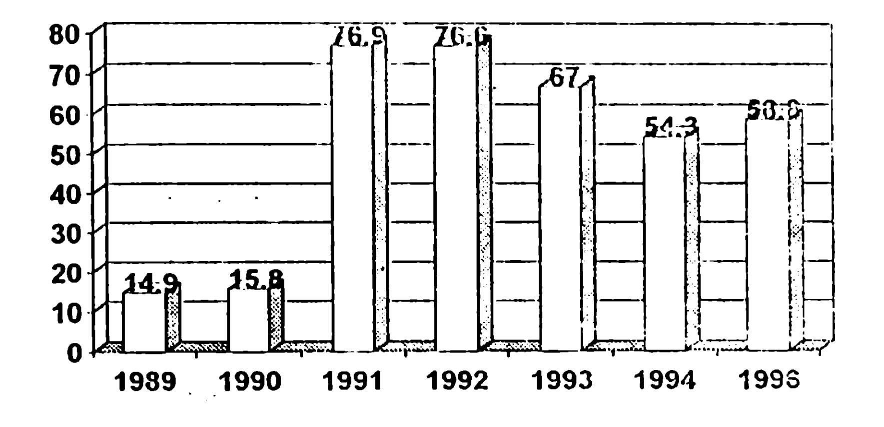
شكل رقم (٦)

حالات الإصابة بمرض الملاريا في العراق خلال الاعوام ١٩٨٩_١٩٩٦



شكل رقم (٧)

حالات الاصابة الجديدة بمرض حبة بغداد في العراق



الاستاذ محمد بهجة الاثري

الدكتور يوسف عز الدين

من هـو الاثـري ؟

محمد بهجة بن محمود بن الحاج عبدالقادر بن الحاج احمد بن محمد أغا .. أصله من ديار بكر هاجر جده الاعلى الى اربيل ثم انتقل الى بغداد واصبح من تجارها المعروفين وتزوج الحاج احمد من اسرة بغدادية من قيس .. وامتد نفوذ الاسرة التجاري الى الهند في تجارة الخيل .[1]

وقد عاش والده منغص العيش ولم يعسر ولما توفيت زوجته الشابة تركت له خمسة بنين صغارا كان الاثري هو الاكبر ومات ثلاثة من ابنائه فحزن عليهم حزنا شديدا حتى اصيب بالفالج وبقي سنتين طريح الفراش محبوس اللسان وتوفى سنة ١٩٣٠م وهو في السابعة والخمسين[2] فأثر موته في الاثري اثرا كبيرا فنظم قصيدة منها :

يا بنفسي ابي الكريم وروحي ... ليت انا كنا على ميعاد
أتراني أذوقُ بعدك طعما ... لحياتي ، وانت عني غادي
يبتغي لي الرفاق سلوى وسلوا ... ي ضريح في جنب قبرك بادي

وامه زينب تركية الاصل من كركوك . وكانت شديدة الحب لابنها البكر ومنها اخذ التركية .. ولما ماتت تزوج والده وخلف من زوجه الثانية اربع بنات حمل الاثري اعباء تربيتهن .. وتعليمهن .

---

(١) لقاء الاثري مع الدكتور محمود المشهداني في محمد بهجة الاثري ص ٢٧٦-٢٧٨ .
(٢) المصدر السابق .

لماذا سمي بالاثري ؟

يقول الدكتور عبدالعزيز البسام ما ملخصه إن الاثري كان يدرس على استاذه علي علاء الدين الالوسي (مراقي الفلاح) فاعترض على شارح الكتاب ولم يعجبه الشرح ورفضه ورجاه ان يعفيه من قراءة هذا الكتاب وشرحه فقال له ما تريد ان تقرأ قال اريد ان اتعرف على الفقه الاسلامي الحقيقي ، فقال له استاذه : فأنت اثري اذن • فسأله ما تعني هذه الكلمة ؟ قال له الاثري هو الذي يتبع اثر الرسول عليه الصلاة والسلام قولا وفعلا وراقته الكلمة وتسمى بها •[٣]

ثقافته ودراسته :

تعلم قراءة القرآن الكريم والكتابة في كتاتيب حيّه في الرصافة واتم قراءة القرآن وهو في السادسة ثم درس في مدرسة البارودية الابتدائية وكانت ثلاث سنوات وتعلم الفرنسية بصورة خاصة ولكن اللغة التركية بقيت مصاحبة له ولم اسمعه مرة واحدة يذكرها او يتحدث بها ودرس في الرشدية العسكرية وتركها لمرض ألم به ثم دخل المدرسة السلطانية حتى احتل الانكليز بغداد ١٩١٧ فأغلقوا المدارس فدخل مدرسة الاليانس اليهودية حتى لا يبقى بدون دراسة ولانها الوحيدة التي سمح الانكليز بفتحها ومعه سبعة عشر طالبا اختلفوا مع الطلاب اليهود فتركوها بعد اعتداء اليهود عليهم[٤] •

المصادفة المفيدة :

ومن المصادفات المفيدة ان والده طلب منه قراءة جريدة عربية وهو في السابعة عشرة من عمره فلم يحسن قراءتها[٥] وكانت بداية تحول في حياة

(٣) العبارة اذا عجن الحنفي عجينا وتبين له بعد ان ماءه كان نجسا فاما يبيعه لشافعي (لان لنجاسة الماء عند الشافعي غير شرطه في فقه ابي حنيفة) او ان يطرحه لكلب لاحظ ص ٤٤ و٢٢٣ و٢٧٥ محمد بهجة الاثري

(٤) شعراء العراق في القرن العشرين ص ١٥١ ومحمد بهجة الاثري ٢٨٢ .

(٥) محمد بهجة الاثري ص ٢٨٢ و٢٨٣ .

الاثري اذ وجهه الى دراسة اللغة العربية فدرسها على الشيخ محمود بن علي نحوا وصرفا وفقها ثم درس على الشيخ عبدالمحسن الطائي المدرس في النعمانية ولكن التحول المهم كان دراسته على الشيخ علي علاء الدين الالوسي[٦] وكانت هذه الفترة بداية التحول الذي نقله من اللغة التركية الى اللغة العربية والعلوم الاسلامية فقد استعذب اللغة وتذوقها والتذ بحلاوة جرسها وحلو الفاظها وطلاوة كلماتها وسحر بيانها وجميل بلاغتها[٧] وكان للاستاذ الالوسي اعمق الاثر في هذا الاتجاه عندما بدأ يدرس عليه الادب العربي مع النحو والصرف والفقه والحديث الشريف ، فقد درس عليه مقامات الالوسي ورحلته غرائب الاغتراب وهي رحلة ابي الثناء الالوسي الى الاستانة كتبها باسلوب جميل وسجع لطيف وكان يصف كل يوم طلوع الشمس بوصف لا يكرره في الايام التالية ٠

فتح الشيخ قريحته الادبية فنظم فيه اول قرزمته الشعرية ٠ وقد درس عليه ستة اشهر بقي يذكرها بالاعجاب والتقدير لانها اثرت في حياته تأثيرا واضحا ثم اصيب استاذه بالفالج وتوفي سنة ١٣٢٠هـ ٠

الاثر الكبير :

ويظهر اثر العالم الكبير الاستاذ محمود شكري الالوسي في ثقافته وتعليمه فقد لازمه هذا الاثر طوال حياته وقد كان الالوسي من اعلام عصره فدرس عليه اكثر العلوم العربية كالنحو والصرف والبيان والبديع والعروض والفرائض والحديث والتاريخ وادب البحث والمناظرة كما تعلم عليه تحقيق المخطوطات فقد كان ينسخ له بعض الكتب ويهديها استاذه لاعلام العصر فقد نسخ له

---

(٦) المصدر السابق ٣٤ ٠

(٧) كان علي علاء الدين شاعرا واديبا وكان عضوا في مجلس النواب العثماني (المبعوثان) ثم قاضيا بعد الاحتلال البريطاني وكان رئيس المدرسين في مدرسة جامع مرجان ٠

كتاب الخيل لابي عبيدة فأرسله الى احمد زكي باشا ومن كتب استاذه التي درسها عليه وحققها (الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر) وطلب منه نسخ (مثالب العرب) للكلبي والرد عليه . فكانت اسسه في التحقيق قوية حتى غلب التحقيق على التأليف وقد كان الالوسي مصابا في المثانة واستفحل فيه المرض وتوفي سنة ١٣٤٢هـ فرثاه بقصيدة منها :

ما أنس لا أنْسَ أياماً بصحبته	حَلَت فمرت وساءت بعد احوالا
صحبت شكري من الاعوام اربعة	حتى بلغت به في العلم آمالا
لولاه لولاه لم ادرك بلوغ منى	والبدر لولا ضياء الشمس ما لالا
إني لابكيه ما ناحت مرزأة	ثكلى ترن مدى الايام اعوالا

وكانت هذه التلمذة سبيلا لتعارف الاثري على اصدقاء الالوسي ومحبيه في الاقطار العربية فقد لازمت شهرة الالوسي الاستاذ الاثري واخلص له كل الاخلاص فقد عيّن بعد موت استاذه عضوا مراسلا في مجمع دمشق واستمر في تحقيق كتب استاذه ولما مات وجدوا بعض هذه الكتب المحققة لم تطبع مثل (العقد الثمين في مباحث التضمين) وشرح ارجوزة الالوان وحقق المسك الاذفر . وهو كتاب تراجم علماء القرنين الثالث عشر والرابع عشر .

وبعد موت محمود شكري الالوسي استقل بنفسه واعتمد على ما تعلم من العلم ودخل الحياة العملية في التدريس والوظائف وقد لخص الدكتور البسام مؤهلات الاثري بقوله :

(كانت له ثروة علمية وادبية وافرة في علوم العربية وآدابها وفي العلوم الاسلامية تفوق المعهود فيمن يتصدر للتدريس في المدارس الثانوية وتجاوز الى إمكان الاضطلاع بمثل هذه المهمات في التعليم العالي)[٨] .

---

(٨) محمد بهجة الاثري ص ٦٣ــ٦٤ .

وظائفه واعماله الادارية :

بدأ حياته العلمية سنة ١٩٢٤ مدرسا في مدرسة التفيض الاهلية ثم عمل في وزارة المعارف سنة ١٩٢٦ في الثانوية في بغداد لتدريس اللغة العربية وكانت الثانوية الوحيدة في العراق اذ ان التعليم في العهد العثماني كان محدودا بالمدارس الدينية التي في المساجد والجوامع مع بعض الكتاتيب لتدريس الطلاب[٩] .

ولما احتل الانكليز العراق لم تكن في جميع انحاء العراق غير (١٠٣) مدارس من ضمنها الكتاتيب والمدارس الاهلية ومدرستان واحدة للحقوق والاخرى السلطانية ولم يكن يتجاوز عدد الطلاب في جميع انحاء العراق[١٠] ٨١٠١٣ طالبا . ثم عين مديرا لاوقاف منطقة بغداد سنة ١٩٣٦م ثم عين مفتشا اختصاصيا في وزارة المعارف سنة ١٩٣٧م وشارك في سنة ١٩٤١ في حركة رشيد عالي الكيلاني بقصيدة واعتقل بعدها ..[١١] وبقي في التعليم حتى عينه ياسين الهاشمي في الاوقاف بعد ان اوفده مع بعثة كبيرة ضمت عددا من النواب والطلاب لتوثيق الصلات بين العراق ومصر واوكل اليه مهمة دراسة سير الاوقاف والمدارس الدينية المصرية ولاسيما الازهر الشريف ومعاهده وقد سافر هذا الوفد الى مصر وفلسطين ولبنان وسورية يحلم بهدف بعيد الطموح كان يريد الهاشمي تحقيقه هو الوحدة العربية .. وكتب الاثري تقريرا مفصلا عن هذه الزيارة وذكر مقابلته لشيخ الازهر مصطفى المراغي وانه رحب به ولقي منه الترحيب والتقدير وان الصحف ذكرت مقابلاته واعماله[١٢] .

لكن اعداء الفكر العربي في العراق من غير العرب خافوا من طموح الهاشمي والوحدة التي قد لايجدون لهم مكانا فيها فتم التآمر عليه بانقلاب

---

(٩) شعراء العراق في القرن العشرين ص ١٥١ .
(١٠) الحركة الفكرية في العراق ص ١٦ و١٧ .
(١١) شعراء العراق في القرن العشرين ص ١٥١ .
(١٢) محمد بهجة الاثري ص ٣٠٦ .

قادة بكر صدقي في سنة ١٩٣٦ واخرج الهاشمي من الوزارة ، الى دمشق ومات كمدا ولم يسمح بدفنه في العراق فدفن الى جوار صلاح الدين الايوبي .. وكان الاثري في دمشق فعاد بعد قتل قائد الانقلاب فعين في وزارة المعارف. وفي سنة ١٩٤١ اعتقل لانه شارك بقصيدة القاها من الاذاعة منها :

غمزوا إباءك فاضطرمت إباءا وحشدت جوك والثرى والماءا
راموك للذل المقيم وقد مضى دهر تسام به الشعوب سباءا

وبقي في المعتقل ثلاث سنوات ولما افرج عنه مع من افرج عنهم من الشعراء والساسة والادباء بقي يعيش على راتبه التقاعدي وموارده المالية الخاصة حتى ١٩٤٧ فألفت لجنة التأليف والنشر والترجمة التي حولت الى المجمع العلمي العراقي في السنة نفسها فدخل المجمع مع الاعضاء الاخرين وكان عددهم عشرة اعضاء ، وفي وزارة السيد محمد الصدر اعادت هذه الوزارة كل المفصولين وانصفتهم فاعيد الى المعارف مع ترقيته درجتين في التفتيش الاختصاصي الذي بقي فيه عشرين سنة . والحق انه كان موجها تربويا ولم يكن مفتشا اختصاصيا فما جرح احساس مدرس ولا آذى احدا إنما كان يعين المدرسين ويناقشهم على انفراد فقد ذكر الدكتور احمد مطلوب انه كان في ثانوية كركوك سنة ١٩٥٧م ولما قابله بعد الدرس قال له إنه تألم لابعاده عن بغداد وارساله الى كركوك وسأله إن كان يحب العودة الى بغداد فرد عليه بالايجاب وبالفعل نقله الى بغداد .

وقد اسهم في التدريس في كلية الشرطة ودار المعلمين العالية وبعد ١٤ تموز عين مديرا عاما للاوقاف في ٢١ تموز مرتبطا برئيس الوزراء عبدالكريم قاسم ولما قضي على الزعيم احيل على التقاعد في ١٠/٢/١٩٦٣ .

وجاءت حكومة عبدالسلام عارف وكان رئيس الوزارة احمد حسن البكر فشنت حربا على كل من تعاون مع عبدالكريم قاسم وكان هو عضوا في المجمع وكنت امينا له وشاءت الظروف ان يموت رئيس المجمع الدكتور ناجي الاصيل في الايام الاولى وكانت الدولة تريد الاصلاحات في كل نواحي

الحياة العامة فوضعت قانونا جديدا للمجمع عوضا عن النظام الذي اصدرته وزارة المعارف سنة ١٩٤٧م وسع فيه صلاحيات المجمع واعطاه القانون الجديد شخصية حكمية مستقلة وزاد عدد الاعضاء الى عشرين واصبح المجمع متصلا برئيس الوزراء بعد ان كان تابعا لوزير المعارف ولما اختير الاعضاء لم يدخل اسمه معهم .

الحزن في حياته :

الحوادث والآلام تقوي صلب الرجال وتبني ارادتهم على قاعدة متينة من الثبات والقوة عندما تتحول الى اللاشعور الانساني وتتراكم في الوجدان الداخلي .. وتؤثر في سلوك الانسان القوي فيصبح جادا في عمله حساسا في تصرفاته وقد اثرت في الاثري الفواجع فقد ماتت امه ثم ابوه واخوته ومات استاذه علي علاء الدين بعد ستة اشهر من الدراسة عليه واتصل بمحمود شكري وكان مريضا ونقل من عمله في الاوقاف فأثرت الآلام في روحه الحساسة وآذته الحوادث من بداية عمر المراهقة التي تركت آثارها طوال حياته فاصبح جادا شديد الحساسية يغضب اذا شعر بكلمة تمس مشاعره وكرامته ولو كانت عفو الخاطر وبحسن نية . وقد قال عنه محمود المعروف وهو من اوائل من كتب عنه سنة ١٩٤٧[١٣] :

« لقد رأيته مرة والشرر يقدح من عينيه والعرق يتصبب من جبينه ، وهو ينتفض كما ينتفض السبع ريع عرينه فهب يحميه واذا هو في منعة العزة والاباء وقد ثار لان احد كبار موظفي الدولة حاول ان يمس كرامته في تكليفه كتابة موضوع معين غفل من التوقيع »[١٤] .

وعمل الاثري مدرسا ومديرا للاوقاف ومفتشا اختصاصيا فكانت له دائما الكلمة الاولى فخلق عمله فيه اعتدادا بالنفس وتمسكا بالرأي .

---

(١٣) محمد بهجة الاثري ص ٣٠١ عن مجلة السهول العراقية ٢٥ شباط ١٩٤٧.
(١٤) محمد بهجة الاثري ١٥١ و٣٠٣ .

الرجـل الموثـق :

كان الاثري شديد العناية بما كتب عنه حتى وان كانت سفرة الى البصرة او الاشراف على طبع كتبه المدرسية في دمشق ويذكر الدعوات التي لباهـا والتي اعتذر عنها او رفضها ويحتفظ بالجرائد والمجلات التي تذكره وهـذا التوثيق ساعد الذين كتبوا عنه وكان يقرأ ما كتب عنه قبل النشر ويدخل على البحث ما يلائمه ويحذف مالا يراه مناسبا فقد قال الدكتور احمد مطلـوب في الدراسة التي قدمها في حفل تكريمه بانه قرأ البحث واضاف اليه تعليقـات ذكرها الدكتور احمد مطلوب في الدراسة[١٥] .

وهو الذي كتب لي ترجمة حياته ونشرتها في كتابـي (شعراء العراق في القرن العشرين) وذكر لي بانه من مواليد سنة ١٩٠٤ لانه كان في العمل ولكنه لما تقاعد زاد سنتين على عمره ومن الوثائق التي احتفظ بها ما سجله الدكتور عدنان الخطيب في ذكرياته بانه تمكن من دعوة الاستاذ الاثري لحضور الاحتفال باحمد شوقي وانه قابله وقال إنه لفت بأدبه وروايته قلب امير الشعراء فقربـه منه وجعله موضع رعايته مماترك اعظم الاثر في نفسه وكان من اثر هذا اللقاء ان رثاه سنة ١٩٣٢ بعد موته وقال :

ألا ، لست انسى منك مجلس حكمة	على بـردى قـد مـرّ مذ سنوات
خيالا كلـذات السرور على الهوى	وخفقـا كلمـح الثغر والوجنـات
اخذت هوى نفسي ببشرك طافحـا	وآنسـتني باللطف والبسمات[١٦]

وذكر في وثائقه الاماكن التي سافر اليها ومن حضر في المؤتمرات ولاسيما الاسماء الكبيرة والاقطار العربية التي مثلوها ويذكر القابهم ووظائفهم واعمالهم ومن دعاه منهم والمكان الذي القى فيها قصيدته وانه القى قصيدته في المؤتمر الاسلامي سنة ١٩٣١م تحت قبة المسجد الاقصى في ١٧ رجب ١٣٥٠هـ وانـه كان اصغر الاعضاء سنا وتناقلت الصحف القصيدة ومطلعها :

لمن الوفود تسيل سيل الوادي	مَـليءُ الحمى منها وغص النادي

(١٥) المصدر السابق ١٥١ و٣٠١ .
(١٦) المصدر نفسه ص ٣٠٣ .

ولولا وثائقه ما قدر باحث على الحصول على جرائد ومجلات الوطن العربي التي مضى عليها ستون سنة ذكرها الدكتور المشهداني في بحثه ـ بله ـ الجرائد والمجلات العراقية الصادرة سنة ١٩٣٤ـ١٩٣٦ .

وكان يؤرخ لكل انتداب ويصفه فقد ذكر حفل حصوله على جائزة الملك فيصل سنة ١٩٨٦ بان الحفل كان فخما رأسه سمو ولي العهد وقد انشد فيها قصيدة حارة العواطف استبدت باعجاب السامعين من علية القوم والادباء ورجال الصحافة[١٧] .

وقد كنت اتمنى ان يذكر مؤرخو حياته الجو العام الذي كان يعيش فيه في تقلبات الحياة فقد عاش في الدولة العثمانية والدولة العراقية واحداث العراق منذ الملك فيصل الاول وابنه غازي والوصي على العرش و (١٤ تموز) وحكم عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف وعبدالرحمن عارف واحمد حسن البكر والوقت الحاضر . فلم يذكر مؤرخو حياته لماذا ارسل الهاشمي الوفد الى البلاد العربية وما عمل هذا الوفد الضخم ومن هم هؤلاء الاعلام الذي سافروا معه وما الطموحات العربية للهاشمي وتقلب الاحداث في العراق لان الاثري كان جزءا لا يمكن بتره واستلاله من البيئة الفكرية والسياسية والاقتصادية كما صنع الذين كتبوا عنه .

مطبوعاته :

من تتبع المطبوعات التي ظهرت باسمه يظهر لنا ان الاثري كان محققا اكثر منه مؤلفا فقد حقق كتب استاذه التي درسها عليه مثل (بلوغ الارب في معرفة احوال العرب) ثلاثة اجزاء و (تاريخ نجد) و (تاريخ مساجد بغداد) وهو اول كتاب حققه واضاف اليه (والضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر) و (الماء وما ورد عن شربه) و (النحت وبيان حقيقته) وثلاثة كتب لم تطبع .

---

(١٧) محمد بهجة الاثري ص ٢٩٤ و٢٩٥ ينظر الهامش ص ٣١٨ .

كما حقق كتبا اخرى منها (ادب الكاتب) للصولي و (خريدة القصـــر وجريدة العصر) لعماد الدين الاصفهاني و (مناقب بغداد) لابن الجـــوزي وكتاب (النغم) ليحيى المنجم و (صورة الارض) للادريسي وهي خارطـــة الشريف الادريسي •

الكتب المدرســية :

وقد انصرف الى ناحية تربوية مهمة هي تأليف الكتب المدرسية فقد غطى بمؤلفاته التعليم الابتدائي منفردا باكثرها بداية من الصف الثالث الابتدائـي الى الصف السادس ومرحلة المتوســطة واعـداد المعلمين • او مشــاركا بعض المختصين في التربية وجميعها في اللغة العربية قراءة وتاريخ ادب •

التأليــف :

ألف عددا من الكتب منها : (اعلام العراق) وهو اول كتاب له عن الاسرة الالوسية وعلاقته بها لاسيما اساتذته منهم سنة ١٩٢٦ و(محمو شكري الالوسي وآرؤه اللغوية) وجمع مقالات كتبها سنة ١٩٣٠ في جريدة البلاد في الرد على الاستاذ احمد حسن الزيات عن (مأساة الشاعر وضاح) وعلاقته بأم البنـين طبعت سنة ١٩٣٥ وكتاب عبدالمحسن الكاظمي القاه في معهد الدراســـات والبحوث العربية ولا ادري لِمَ لم يطبع مع ان المعهد يطبع المحاضرات بعـــد إلقائها مباشرة فقد طبع لي ستة كتب بعد القائها محاضرات فيه •

الترجمــة :

ترجم مع الاستاذ عزيز سامي من التركية (الخطـاط البغدادي علي بـن هلال) المعروف بابن البواب تأليف الكاتب التركي سهيل انور وله عليـــه تعليقات وتحقيقات طبعت بعد ذلك •

المخطوطـــات :

وله عدد من المخطوطات التي لم تطبع منها ثلاثة كتب لاستاذه محمـود شكري الالوسي و (نزهة المشتاق في اختراق الافاق) بلغت ثلاثة عشر كتابـا وبذلك فالاستاذ الاثري محقق اكثر منه مؤلفا •

كما اسهم في كتابة المقالات في الجرائد والمجلات التي تعني بالقضايـا الدينية بالدرجة الاولى ونشرت في العراق وخارجه •

كيف عرفتـه :

كنت درست كتابه (المدخل الى الادب العربي) وانا طالب في المتوسـطة فأعجبت بأسلوبه وجمال عبارته فاحتفظت بالكتاب وجاءني مفتشا اختصاصـيا وانا ادرس اللغة العربية في دار المعلمين (بعقوبة) فوجدته رجلا يحتـرم المدرسين ويقدر العاملين ثم لما حضّرت للماجستير اهداني كتابه (اعـلام العراق) وهو خاص بالاسرة الالوسية وفيه ثناء واعجاب بمن درسّه منهـم وذكرياته معهم فكنت اذكره في كل مناسبة ادبية وفكرية وقلما يخلو كتاب من كتبي من اسمه وكان اسمه يتردد في الجرائد والمجلات التي كنت اعود اليهـا فقد اسهم في الحركة الفكرية الادبية في ما بين ١٩٢٠ـ١٩٣٠ وكان الادب في العراق يتأثر بالادب في مصر ويقرأ الادباء الجرائد والمجلات التي تردهم منها وكانت حركةالديوان قد اثرت أثرها فيالجو الادبيفيالعراق وورد ذكر المازني وشكري والعقاد في الصحف والمجلات وقد انقسم الادب الى مؤيد ومحـافظ ومحايد ، ولما نشر قاسم امين كتابه (تحرير المرأة) كان صداه في العـراق واضحا فانتصر بعضهم للسفور وبعضهم للحجاب وساقوا الحجج والبراهـين وجرت معارك قلمية في الصحف وكان من المؤيدين للسفور جميل صـدقي الزهاوي ومعروف الرصافي •• وقد هاجم الاثري الرصافي بعنف وشـدة بمقال ، لان الرصافي نظم عدة قصائد في هذا الصدد ومنها قصيدة عينية يدعو فيها الى انصاف المرأة والى سفورها لانها إنسان رقيق جميل ومن القصـيدة قولـه :

واكبر ما اشكو من القوم انهم ‏ يعدون تشديد الحجاب من الشرع
أفي الشرع إعدام الحمامة ريشها ‏ وإسكاتها فوق الغصون عن السجع
وقد اطلق الخلاق منها جناحها ‏ وعلمها كيف الوقوع على الزرع

ويظهر لي بان الرصافي اثار الاثري في هذا المقطع :

يقولون لي ان النساء نواقص ‏ ويدلون فيما هم يقولون بالسجع
فأنكرت ما قالوه والعقل شاهدي ‏ وما انا في إنكار ذلك بالبدع
والله ما ان ضقت ذرعاً بقولهم ‏ ولكنما قد ضاق في قولهم ذرعي
افرق دعواهم اذا ما طعنتها ‏ ولو انها كانت من الدين في درع

فقال عنه انه طالب خلاعة وانه جاهل ثم رماه بالكفر والضلال والمروق ، والطريف ان ينشر الرصافي رده في جريدته (الامل) ورد عليه بلطف وعلل هذا القول باندفاع الشباب وحماسته وبالفعل نظم الاثري بعدها قصيدتين في تأييد حق المرأة وهاجم في احداها الانسان الذي يسود وجهه اذا قيل له جاءته انثى قال :

عجبت للمرء وكم ‏ داعية للعجب
ان بشروه بابنة ‏ يبت صريح الغضب[18]

واستفدت منه لانه يحتفظ بقصائد ووثائق متعددة لم ارها عند غيره فعندما اردت ان اكتب عن بوادر الفكرة العربية والقومية في القرن التاسع عشر احتجت لبعض النصوص فزودني قصيدتين لرائد في هذه الدعوة من آل الشاوي[19] .

---

(١٨) الشعر العراقي الحديث . لاحظ موضوع السفور والحجاب .

(١٩) الاسرة البغدادية العريقة وهي حميرية من العبيد لها مواقف معروفة في التاريخ في العهد العثماني التي دافعت عن بغداد لما حاصرها نادرشاه سنة ١٧٢٢ وثار سليمان الشاوي ايام المماليك في العراق لتأسيس دولة عربية وبرز منهم شعراء تغنوا بالعروبة والقومية منهم عبدالحميد الشاوي .

شـــعره :

يمتاز شعره بالجزالة وقوة الاسلوب ووضوح المعاني وسموها الخلقي والالتزام بالمثل الاسلامية ، نابع من جذور الثقافة العربية متمسك بعمـــود الشعر بكل حدوده الفنية ولم تؤثر فيه التيارات المعاصرة فنجد في شعره اثر العصر الاموي بوضوح مع نفحات من جو الشاعر شوقي الفني واســـلوبه الشعري ، ونظم في موضوعات متعددة جديدة فقد قال في القمر الصناعــي قصيدة سماها معجزة العلم خاطب فيها العلم :

واليت في البـدء الاعاجيب الكبـر ... فكيف لـو جاوزت اطوار الصـغر

فكـن على الخلق سـلاماً ونـدى ... ولا تكـن شـراً ولا آلـة شـر

يـا فـالـق الـذرة باقتـــداره ... ووردهـا منـك بـاذن والصـدر

يـا علـم لـو جـازك غير طامـع ... لكنـت كالرحمة رفقـا وأبـر[٢٠]

وبقى اثر شوقي في شعره حتى آخر حياته لانه كان معجبا اشد الاعجاب فيه ففي قصيدته التي نظمها يشكر الحاضرين على الاحتفال الذي اقامه لـــه المجمع قـال :

بنا مـن العشق للعلياء والقيم ... ما بالشمائل من صفو ومن كرم

انه جو قصيدة شوقي :

ريم على القاع بين البان والعلم ... أحلّ سفك دمي في الاشهر الحرم

وفي قصيدته :

غمزوا إباءك فاضطرمت إبـاءا ... وحشـدت جوك والثرى والماء

نجد الجو الفني والادبي والحكم والموعظة واضحة ومتأثرة بقصيدة شوقي :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء ... يستنهض الوادي صباح مساء

---

(٢٠) شعراء العراق في القرن العشرين ؛ فيه فصل كامل عن الاستاذ الاثري .

وبقي على جزالة الشعر وقوة النسج ومتانة العبارة واستعمال الكلمات التي تحتاج الى شرح بالنسبة للجيل المعاصر لصعوبة الفهم ولم يخرج عن عمود الشعر إلا في قصائد محدودة كانت اقرب الى الموشحات لانه لم يلتزم قافية واحدة ونظم في عديد من البحور ويظهر اثر القرآن الكريم بوضوح في شعره وعمق اسلامه وتعلقه بالله تعالى فقال :

قلبي بغيرك لم يرق شغافه
يا رب فاجنب حبي الاخطارا
عن كل وجه قد صرفت عبادتي
وعبدت وجهك وحده مختارا

اغراض شعره

الاسلام في شعره :

ابرز ظاهرة في شعره التيار الاسلامي فهو الذي اسس جمعية الشبان المسلمين اقتداء بمصر لذلك كان سامي المثل واضح المنهج فقد القى قصيدة في الجمعية الاسلامية سنة ١٣٥٠هـ وذكر تمزق الامة الاسلامية • وتأخرها عن ركب العالم فقال :

ايـن منـي وثوبها حرر الخلـ ـق وسلطانها اذل المظالم
ما ارى اليوم ؟ موطناً مستباحاً ورعايا تسام سوم السوائم

وفي قصيدة القاها في (جمعية الشبان المسلمين) يظهر تمسكه بالرسول الكريم فيقول في ذكراه :

خلت العصور وانت انت الاوحد ذكرى مقدسة ومجد سرمد
تتضاءل العظماء عندك والسما وتحط شاهقة ويصغر سؤدد

حرصه على اللغة العربية :

قال يمدحها :

تنزل قرآن بها ما تلوته صحوت على معنى اعز عظيم
تملأ منه بالرواء محمد وآتى به الدنيا اريج شميم

الوحـدة العربيـة :

وقد كان من اوائل الدعاة الى الوحدة العربية على ان تكون قاعدتها اسلامية قال :

ألا فاسلكوها وحـدة عربيـة لها من هدى الاسلام روح ومظهـر

لان العروبة والاسلام لا يمكن فصل احدهما عن الاخر •

إن العروبـة والاسـلام مـا فتئـا هنـا بواديـك في عـزٍ وتمكـين

ولم يكن الشرقي يفرق بين العروبة والاسلام والشرق في بداية عصـر النهضة فقد قال شوقي :

إن العروبـة لفـظ ان نطقـت بـه فالشـرق معنـاه والاسلام والضاد

وعندما مات ياسين الهاشمي داعي الوحدة العربية قال :

يا ناشـد الوحدة الكبرى ليبعثهـا حلمـاً لخلـق واقطـاراً لاقطـار

وكان احساسه موزعا بين البلاد العربية في فلسطين ولبنان وسـورية والاردن والشام والمغرب ومصر والاقطار التي كانت ترسف تحـت الاستعمار الاجنبي فنظم عددا من القصائد في قضاياها وبقى محافظا حتى اخر قصـيدة نظمها في تكريمه على نسجه القوي وجزالة عبارته الشعرية وحافظ على رأيـه باستمرار بان :

الشعر ما روى النفوس معينه وجرت برقراق الشـعور عيونه

ووصف الشاعر بانه هو الذي يعاني التجربة والاحساس الصادق بقوله :

الشـعر من وهـج الشـعور ونـار اشـواق الضمـير
نغـم وايقـاع وعاطفـة تمـوج فـي الصـدور

وبقي محافظا محافظة كبيرة في شعره ولم يخرج على عروض الخليـل او يتأثر بالتيارات الجديـدة والحياة المعاصرة كمـا تأثر بها معروف الرصـافي والزهاوي والشبيبي والكاظمي فقد لزم القافية الموحدة وان نظم بعض القصائد التي اختلفت قوافيها مثل شعراء النهضة الجديدة لكنه لم نجـد فيه التطـور العصري الذي يلائم حركات النهضة الحديثة لذلك لم يألفه الجيل الذي جـاء

بعده ولم يعكف عليه احد الشعراء والنقاد لدراسته وابراز محاسنه الكثيرة ولم يرق شعره حتى في غزله الذي لا يهز قوله قلوب العشاق إنما يرضى العقل ويتحدث عن الحب وكأنه ظاهرة من الظواهر الخارجية فقد نظم بفتاة اندلسية لعلها دليلة الاثار قال :

حسناء تزهو مثل رأد الضحى ... ما اضوأ الحسن بها ما اتم
انسانة قد لامست ناظري ... انسيت غزلان الفلا والعجم
في غرف الحمراء طافت معي ... وسحرها ينقلني لا القدم
تذكي بي الشجو ولولا النهى ... تمسكني ذاب الفؤاد سدم
اودعت ، اذ ودعتها خافقي ... فوق ثراها وافياً بالذمم
شطر لحسناء رعت ذمة ... حباً وشطر للتراث الاشم

لقد ابتعد النقاد والمؤرخون عن الاثري ولم يكتب عنه غير عدد محدود من المؤرخين يعدون على الاصابع وقد عده الجيل شاعرا بعيدا عن التأثر بالاراء الجديدة التي كانت تنتشر في الهلال والمقتطف والمقطم وغيرها من الجرائد المصرية ثم ان الاثري اهتم بالامور التربوية وانصرف اليها انصرافا كبيرا وكان شعره كما قال الدكتور البسام مصدرا غنيا للتربية بمعناها المحدود او معناها الواسع لاهتمام الشاعر بقضايا الاخلاق وتوثيق الصلات بين الاسلام والامة العربية .

مواقفه السياسية :

ونظم في قضايا العرب وضد الاستعمار في كل الاوطان العربية وشارك في سنة ١٩٤١ بقصيدة يؤيد فيها رشيد عالي الكيلاني مطلعها :

غمزوا إباءك فاضطرمت إباء ... وحشدت جوك والثرى والماءا

وبقى الشاعر بعيدا عن الحياة العامة بعد احالته على التقاعد سنة ١٩٦٣ حتى الحرب الايرانية العراقية التي اعادت اليه مساهمته الشعرية الكبيرة خلال اعوامها وقد اشار مؤرخو حياته بنشاطه خلالها وادهشتهم حركته الواسعة

وهو في الشيخوخة قال الدكتور عدنان الدوري (وقوفه ثمانية أعوام يجاهد الحرب الايرانية الباغية مع امته شاعرا يشيد ببسالة الجيش العراقي ورسول إعلام الى الاقطار العربية في قارة افريقيا ومصر والسودان وتونس والمغرب) وقال (حين بدأت الحرب في ايلول ١٩٨٠ ، بادر الاستاذ الاثري فأنشد اولى قصائده الجهادية من دار الاذاعة ثم والى نظم القصائد. ورحل وهو تحت وطأة الشيخوخة ووهن العظم ثلاث رحلات إعلامية الى الاقطار العربية الافريقية في السنوات ١٩٨٣ ، ١٩٨٥ ، ١٩٨٧)[٢١] واكد الدكتور محمود الجادر ذلك والدكتور احمد مطلوب بان قصائده كانت تتدفق كتدفق القذائف على الاعداء واذيعت قصيدته القادسية الجديدة من دار الاذاعة ولعلها كانت اسبق قصائد الشعراء وفي ديوانه خمس قصائد في الحرب العراقية الايرانية منها قوله :

لا يأفكنكم الافكاك حسبكم
ما خيلتوه فاغواكم وما رجموا
ان الاعاريب والقرآن شاهدهم
إخوان صدق لاخوان الصفا سلم
فيم الشناءة تغلي في نفوسكم
عليهم ولم الشحناء والنقم
أمن سواهم رسول الله منتجب
وآله والامام المرتضى العلم
من غيرهم ادخل الاسلام ارضكم ؟
فكان بينكما آل وملتأم

الثمالة :

وبقي الاثري وقاد الذهن ثر القريحة حتى اواخر عمره فقد القى بعد ان جاوز التسعين ١٩٩٣ قصيدة في حفل تكريمه سماها (طاقات وفاء وتقدير)

---

(٢١) محمد بهجة الاثري ص ٣٣٦ و٣٣٧ .

بدأها بالنثر وقال عن هذا الحفل بانه (فذ في صورته وصيغته الاجماعيــة لا تعرف له سابقة في تاريخ العراق) •

دلت القصيدة على قدرته على العطاء فقد قاربت التسعين بيتا منها :

بنـــا مـــن العشـــق للعليـــــاء والقيـم
مـــا بالشــــمائل مـــن صـــفو ومـــن كـــرم
نهـــوى الجـــلال ونصـــفيه الهـــوى نـــزهـــا
والنبـــل في الصـــنع والاخـــلاص في الذمـــم
ونكتســـي العـــــز احســـابـــا مكـــرمـــة
قـــد مـــا جـــدت بزكـــاء البـــــذل في الازم
كـــــذا جبلنـــــا ولـــــم نفقـــد ســـجيتنا
في غـــابـــــر النـــاس او في حـــاضـــر الامــــم

ووصى ان يكون الانسان معتمدا على نفسه وقدرته وان يكون عصاميا ولا ينسى فضل قومه عليه او امته :

كـــن في الحيـــــاة عصـــاميـــا وكـــن ابـــدا
حليـــف قـــــومـــك لا تبعـــــد ولا تـــــرم

وافتخر بالعرب قومه الذي صنعوا التاريخ فقال :

قومي هم صنعوا التاريخ اذ ملكـــوا — اعفـــة عظمـــاء النفـــس والهمــــم
مشـــوا الى جنبات الارض في يدهم — فرقـــان ربي بهـــدي الخلق للسـلم
دعـــوا الى اللـــه فانقاد الانام لهـــم — شوقاً الى اللـــه والتوحيد والقيـــم

وقد نال ما لم ينل احد سواه من اعضاء المجمع او المفكرين او العلمــاء فقد كرمته الدولة العراقية لبلوغه التسعين اذ اقترح الدكتور منذر الشــاوي احد وزراء التعليم العالي في ١١ تشرين الاول ١٩٩٢ في احدى جلسات المجمع تكريمه كما خطط لهذا التكريم باقتراح تشكيل لجنة حدد لها مجالات العمل شاعرا وناثرا واوصى بان يدرس حياته الباحثون وسبب هذا التكريم بـــان

الدول الاخرى تكرم العلماء والادباء وطلب ان يسجل ما يدور في حفل التكريم في كتاب وتوفير الوسائل الكافية له وان تسمى قاعة باسمه ، ونفذ المجمع الاقتراح بحذافيره خلال اربعين يوما واقيم له حفل التكريم في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٩٣ وساهم اعضاء المجمع الدكاترة صالح احمد العلي ونوري القيسي — وعبدالعزيز البسام واحمد مطلوب والقيت قصيدتان للدكتور مصطفى نعمان البدري والشاعر نعمان الكنعاني واسهم من خارج المجمع الدكتور محمود الجادر والدكتور حسام النعيمي وقدمت له هدايا من ممثل رئيس الجمهورية ومن المجمع العلمي العراقي ووزارة الاوقاف وجامعة بغداد واهتمت وسائل الاعلام بالحفل وكان قد منح جائزة الرئيس صدام حسين سنة ١٩٨٩م للانتاج الادبي ودرجة الدكتوراه الفخرية من جامعة بغداد سنة ١٩٨٢م •

واخيرا حاولت رسم صورة قريبة للاستاذ الاثري معتمدا على المصادر التي كتبت عنه واهمها كتاب تكريمه وكتابي (شعراء العراق في القرن العشرين) ومجلة (الفيصل) وعلى معرفتي الشخصية له مدرسا ومفتشا اختصاصيا وزميلا في المجمع العلمي العراقي واتمنى ان اكون قد وفقت •

وهو بحاجة الى دراسة موسعة متأنية لا يكفي بحث واحد لانسان اسهم ثمانين سنة في حقول التربية والتحقيق والشعر والتأليف •

الابعاد السياسية والاقتصادية للعولمة وتأثيراتها على العالم العربي

الدكتور غازي ربابعة
قسم العلوم السياسية
الجامعة الاردنية ــ عمان

الملخص

تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على الابعاد السياسية والاقتصادية والثقافية لظاهرة العولمة ومدى الاثار السلبية والايجابية لتطبيقاتها في النظام الدولي المعاصر ، واستعراض الاراء المعارضة والمؤيدة وصولا الى تحديد تصور امثل لآلية التعامل مع المتغيرات الدولية التي تسعى العولمة المرتبطة بالغرب فرضها ، مستفيدة من ثورة الاتصالات المتمثلة في الفضائيات وشبكات الحاسوب الدولية وسعى رأس المال الغربي للمنافسة من خلال اتفاقيات التجارة العالمية ، وعبر المؤسسات الدولية متمثلة بصندوق النقد الدولي في عالم ما يربحه طرف يخسره الطرف الاخر في إطار معادلة عدم التكافؤ بين الدول الرأسمالية الغنية في العالم الغربي وبين دول العالم الثالث ؛ يتوجب على عالمنا العربي والاسلامي الفهم السليم والدقيق لظاهرة العولمة المتسارعة ووضع اطر المواجهة بما يخدم المصالح العليا للامة في عالم التحديات المتسارع.

المقـدمـة

إن ظاهرة العولمة (التقارب الكوني) Globalization هي قديمة حديثة .
فلم يعد الحديث عن العولمة ترفا فكريا ومتعة ثقافية مجردة ، بل اصبح حقيقة واقعة تتطلب عملا وخطة محكمة لمواجهة اثر الابعاد التي تحاول ان تفرضها الدول الغربية على دول العالم الثالث ، او ما تسمى اليوم بدول الجنوب الذي يشكل الاردن وبقية الدول العربية جزءا منه . وتأتي هذه المحاولات من الدول الغربية لخدمة مصالحها الاقتصاديةوالحضارية والاجتماعيةوالعنصرية[1]
ومن المعلوم ان كثيرا من بلدان العالم الثالث اليوم تنظر الى العولمة باعتبارها شكلا من اشكال الانتهاك للسيادة الوطنية والقومية وتجاوزا للانظمة والقوانين المحلية لهذه الدول . فالعولمة التي تعني في جانب من اهم جوانبها ، تسارع النشاطات الاقتصادية والسياسية عبر الحدود الوطنية او الاقليمية ، عن طريق الشركات متعددة الجنسيات تترك آثارا سلبية مباشرة على اقتصاديات دول العالم الثالث . ويلاحظ ان ظاهرة العولمة التي فرضت نفسها وتفرضها ليجري الحديث عنها على نطاق واسع ، ادت الى تعدد الاراء والاجتهادات حولها ما بين مدافع يستبشر بها وبما تعني به ومهاجم يرى فيها مظهرا من مظاهر الهيمنة الامريكية والاوربية[2] .

---

(١) من كلمة الافتتاح للسيد م. كابانا من مؤتمر حول العولمة في الشرق الاوسط وشمال افريقيا المنعقد في ١٤ آذار ١٩٩٧ .

(٢) احمد ، محمد سيد ، ١٩٩٧ ، عالمنا العربي والعولمة ، الاهرام ، القاهرة ١٩٩٧/٣/٢٧ .
ظهر مفهوم النظام الدولي الجديد في الادبيات العلمية والاجتماعية في كتابات عدد من المنظرين الاجتماعيين المعروفين من امثال سمير امين وفرانك اندرو ووالتر شتاين (نظرية نظام العالم) ، على النقيض من ذلك، ظهر مفهوم العولمة في وسائل الاعلام والسياسة حيث لعب التقدم الهائل في مجال الالكترونيات ونظام الاتصالات الهاتفية والاجهزة الفضائية (Satellite) وانظمة الحاسوب التي ارتبطت مع بعضها البعض معظم ارجاء العالم عبر الانترنت ، ولعل اكثر التعابير شيوعا لوصف هذا التقدم هو مفهوم (العالم قرية) .

اهميـــة الدراســـة

تنبع اهمية الدراسة من الحاجة الى القاء الضوء على ظاهرة العولمة مـــن حيث المفاهيم والتحديات الرئيسة واشكالها وابعادها الاقتصادية والسياســية والثقافية والحضارية • كما تهدف هذه الدراسة الى وضع تحليل نوعي مقارن لايجابيات العولمة وسلبياتها وتأثيراتها الدولية وانعكاساتها على دول العالـــم الثالث ولاسيما على الوطن العربي • وتختتم الدراسة بمحاولة لرسم او اقتراح عدد من الخطوط العامة الاساسية التي قد تساعد على وضع استراتيجية عربية متكاملة لمواجهة تأثيرات العولمة ومحاولة الاستفادة ، مما تلوح به من مزايـا وسمات ايجابية من دون ان يضطر الوطن العربي الى اتخاذ مواقف ســـلبية متشنجة او ايجابية سهلة تؤدي به الى الضياع في آفاقها المفتوحة •

لقد اصبحت ظاهرة العولمة من الظواهر المهمة في تاريخ المجتمعات البشرية المعاصرة ، بفضل تطور وسائل الاتصال الحديثة من فضائيـــات وشـــبكات المعلومات (الانترنيت) وتحول العالم الى قرية صغيرة وزيادة الاعتمـــــاد المتبادل ، ليس بين الدول فحسب ، بل بين القطاع الخاص ـ مثلا الشركـات متعددة الجنسيات ، ـ واتفاقية التجارة الحرة التي تلزم الدول الموقعة عليهـا بتسهيل حركة البضائع والاشخاص والمعلومات بلا عوائق مما يرتب تغيـيرات جذرية في العلاقات بين الدول والشعوب التي تنعكس آثارها على حضـارات الامم وثقافاتها •

وتأتي اهمية هذه الدراسة في تركيزها على إبراز اهم التطورات التـــي اثرت في ظاهرة العولمة من حيـث حدودهـا وابعادهـا السياسـية والثقافية والاقتصادية وتأثيراتها على العالم العربي في عالم صغير تتلاحق فيه الاحـداث بسرعة كبيرة •

اهـداف الدراسـة

تهدف هذه الدراسة الى :

١ ـ تمكين القارىء من الاطلاع على الادبيات العلمية في مجال العولمة لتزويده بأرضية واسعة .

٢ ـ التعريف بمفهوم العولمة .

٣ ـ التطور التاريخي لظاهرة العولمة .

٤ ـ حدود العولمة من النواحي الجغرافية من جهة والسياسية والثقافية والاقتصادية من جهة اخرى .

٥ ـ الابعاد السياسية والاقتصادية لظاهرة العولمة .

٦ ـ تأثيرات العولمة على العالم العربي .

٧ ـ محاولة وضع خطوط عامة اساسية لسبل مواجهة النتائج السلبية للعولمة في العالم العربي .

قبل الدخول في محاور البحث ، لابد من الاشارة الى ان العولمة لم تحظ بالاهتمام الكافي على صعيد الدوريات العلمية المتخصصة الامر الذي تظهره حقيقة شحة الدراسات والمقالات العلمية المنشورة ، في هذا المجال في معظم الدوريات العربية .

فرضـية الدراسـة

تدور فرضية الدراسة حول فكرة رئيسة تقول ان للعولمة تجليات اقتصادية وسياسية مختلفة ، إذ تلعب دورا مهما ومؤثرا على الصعيدين الاقليمي والدولي ، سلبا وايجابا .

وتحاول هذه الدراسة البحث في هذه الظاهرة والاجابة عنها .

حـدود الدراسـة

يقتصر هذا البحث على التعريف بالعولمة وآثارها السياسية والاقتصادية وآلية التعامل معها للوصول الى قرار رشيد يعظم المنافع ويقلـل الاخطـار ويكون خالي من السلبيات .

إشـكالية الدراسـة

تدور إشكالية الدراسة حول الاجابة عن عدد من التساؤلات اهمهـا . ما هي العولمة ؟ وما هي إيجابياتها ؟ وما هي سلبياتها ؟ وما هي طرق تفاديهـا ؟ وهناك إشكاليات اخرى نتطرق اليها من خلال الدراسة على وفق مقتضـيات البحـث .

منهجيـة الدراسـة

يعتمد المنهج المتبع على اسلوب التحليل التاريخي ، انطلاقا من وجهـة نظر العلوم السياسية في هذا المجال ، وذلك باستخدام البيانات والافكار التي تم الاطلاع عليها واستخدامها من مختلف الدراسات والبحوث واوراق العمل الوطنية والدولية . ولعل احد اهم المسوغات لذلك حداثة الموضوع ، وعـدم توفر دراسات ميدانية موثقة مما يستدعي الحاجة لمزيد من الدراسة والتحليـل النظري ريثما تتوفر ادلة قوية يمكن ان تشجع على المضي في وضع دراسـات اكثر دقة وشمولية في تقييم آثار العولمة عموما ، وآثار العولمة في العالم العربي بوجه خاص .

وقد توخت الدراسة لهذا الغرض ، مراجعة المصادر والدوريات واعمـال المؤتمرات الدولية وعدد لا يستهان به من المقالات العلمية المنشورة في دوريات متخصصة عربية واجنبية فضلا عن الكتب المتوفرة في هذا المجال . كما تـم استخدام شبكة المعلومات (الانترنت) في الحصول على المعلومات من اجـل الوصول الى احدث المعلومات من الاوراق العلميـة المتخصصة المقدمـة في الندوات والمؤتمرات ذات الصلة بالموضوع .

ونأمل ان يكون لهذه الدراسة دور مهم في تسليط الضوء على الظاهرة ودراستها وتقصي احتمالات تأثيراتها المستقبلية .

١ ـ مفهوم التقارب الكوني (العولمة)

على الرغم من شيوع مفهوم العولمة في الادبيات العربية ولاسيما الجماهيرية كالصحف اليومية والمجلات وعدد محدود من المطبوعات ، فانه لا يوجد اتفاق على وضع تعريف عام وشامل لمفهوم العولمة . فلا يزال الغموض يكتنف هذا المفهوم مما يوضح مشقة الوصول الى مثل هذا التعريف .

ولعل المشكلة الاساسية التي تعتري مفهوم العولمة هي ارتباط المفهوم بعدد من التحيزات السياسية الايديولوجية التي غالبا ما تنعكس في التعريفات المتعددة التي يطلقها الكتاب والمهتمون في هذا المجال .

من هنا وهناك نلاحظ ان ثمة إجماعا بين المراقبين والمهتمين بالوضع الدولي على ان للعمليات السياسية والاحداث والانشطة في عالم اليوم بعدا كونيا دوليا متزايدا يشجع على احتدام المنافسة بين القوى العظمى لمراكز الابتكار الثقافي والتكنولوجي وانتشار العولمة على صعيد التبادل التجاري والانتاج والتحديث لمختلف انواع السلع والخدمات(٣) .

وهناك من يرى(٤) ان وضع تعريف شامل للعولمة يتطلب النظر الى ثلاثة مستويات يرتبط اولها بانتشار المعلومات على مدى واسع بحيث تصبح متاحة للجميع . اما المستوى الثاني فيرتبط بظاهرة إذابة الحدود فيما بين البلدان القطرية . ويرتبط المستوى الثالث بزيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات . ويمكن ان تؤدي هذه المستويات ادوارا متباينة تتراوح ما بين السلبية لبعضها والايجابية لبعضها الاخر .

---

(٣) ياسين ، السيد ، ١٩٩٨ ، « في مفهوم العولمة » ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٢٨ ، شباط ١٩٩٨ الكويت ص (٦) .

(٤) نايف ، علي عبيد ، ١٩٩٧/٥/١٢ « العولمة والعرب » الشرق الاوسط ، عدد ٦٧٤٠ في ١٩٩٧/٥/١٢ ، ص (٦٧) .

يلاحظ ان هناك تداخلا بين مفهومين متقاربين او في الاقل ، مفهومين كانا قد ظهرا في فترات متقاربة ، هما مفهوم النظام الدولي الجديد من جهة ، ومفهوم العولمة من جهة اخرى . في هذا المجال يلاحظ ان مفهوم النظام الدولي الجديد يعني او يشجع على التعاون بين دولة واخرى ضمن إطار نظام دولي متجانس ، فيما يركز مفهوم العولمة على مسألة التعاون فيما بين المؤسسات والجماعات متجاوزا الحدود الجغرافية والاقليمية للبلدان ذات العلاقة[٥] .

وكان مفهوم العولمة قد بدأ بالشيوع منذ الثمانينات ليحل محل مفاهيم اخرى مثل العالمية Internationalization وعبر القوميات Trannationalization . ويشير هذا الاخير الى شبكة التفاعلات المكثفة عبر الحدود في كل مجالات النشاط الانساني والاجتماعي والسياسي والحضاري والمالي والاقتصادي . كما يستدل من هذا ، فان المفهوم يغطي مجالات واسعة يندرج تحتها عدد كبير من العناصر والاطراف التي لم تتضح هويتها بعد[٦] . ويتعرف بعضها الاخر[٧] على ان للعولمة ابعادا اخرى غير البعد الاقتصادي ، منها البعد السياسي للعولمة مما انعكس على مسرح السياسة الدولية واثره على الوحدة الحضارية الكونية مما ارتبط بما سمي بمسألة الوعي الكوني او العالمي Global Consciousness كما يحدد مفهوم العولمة في انه زيادة في كثافة العلاقات الاجتماعية عبر العالم التي تربط المراكز المحلية

---

(5) Hooggelt Ankie, 1997, " Globalization Exclusion, and the Politics of Resistance " United Kingdom, Victoria University of Wellington, PP. 1-17.

(6) Davies, Scott and Neil Guppy, 1997, " Focus on English-Speaking Democracies Globalization and Educational, Reforms in Anglo-American Democracies, in Comparative Education Review, Vol., 41, 4, PP. 435-459.

(٧) العطية ، عبدالحسين وادي ، ١٩٩٨ ، « الخصخصة privatization في البلدان النامية : ايجابياتها وسلبياتها » ، المجلة الاردنية ، عمان ، مجلد ٢٥ ، العلوم الادارية ، العدد ١ ، ص (٧٨-٩٢) .

المتباعدة ، بطريقة تجعل الاحداث المحلية مطبوعة باحداث ظهرت في اماكن تقع على بعد اميال عديدة منها والعكس صحيح • على سبيل المثال ، فان التغير في افضليات الاستهلاك في اوربا وامريكا الشمالية غالبا ما تؤثر على افضليات الاستهلاك في بلدان الشرق الاوسط والشرق الاقصى • كما تؤثر العمليات الصناعية للنمو في بلد معين على الاوضاع الايكولوجية البيئية للبلدان المجاورة[٨] •

ويحدد « الماز آكيوز » (عن مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية) مفهوم العولمة باعتباره العملية التي تعمل على توحيد الاسواق القومية او الوطنية •

يستطيع تجار كينيون ، على سبيل المثال تسويق منتجاتهم في سوق اوغندية والعكس صحيح • ويرى « إكيوز » انه عندما بدأت مناقشات مفهوم التحررية Liberalization في منتصف الثمانينات عدت الحكومات ذلك وسيلة جيدة لكل الامم لتحقيق قدر اعظم من المساواة ، اذ تهدف عملية التحرر تحقيق اهداف في المجالات الثلاثة ، التجارة ، تبادل او تدفق رأس المال والاستثمار •

وقد قدر بعضهم ان من شأن التحرر ان يؤدي الى فتح اسواق التجارة والمال بين دول الجنوب ودول الشمال ، الامر الذي يمكن ان يساعد اقتصاديات الدول الفقيرة او النامية مثل دول افريقيا التي تعتمد بدرجة عالية على استيراد السلع ، فضلا عن ذلك ان تحرير او إطلاق حرية رأس مال الاسواق ، سيكون ممكنا بتحقيق التبادل في العملات الاجنبية التي ستتوفر في اسواق البلدان النامية ، مما يقلل من حاجتها للاستفادة او الاستدانة ، فضلا عن ذلك سيكون بامكان الدول النامية العمل على استقرار عملاتها المحلية •

---

(8) Feather Stone, 1990, " Global Cultural nationalization and Modernity " , in culture and Society, special Issues (London , Sage Publications, PP. 15-30.

وضمن مفهوم (الخصخصة) تحدد العولمة على انها ظاهرة اقتصادية مهمة ظهرت في القرن العشرين وانها ظاهرة لا سبيل الى مقاومتها تمليها قناعات وطنية او مفروضة • وتعد الخصخصة الاسلوب الامثل للتحول من الاقتصاد الشمولي الى الاقتصاد الحر •

٢ ـ الجذور التاريخية للعولمة

تعود الجذور التاريخية للعولمة • الى ظهور الدولة القومية الموحدة باعتبارها نقطة البداية او البداية الفاصلة في تاريخ المجتمعات المعاصرة • وكان ظهور المجتمع القومي منذ نحو منتصف القرن الثامن عشر قد سجل ظاهرة تاريخية فريدة ، وكانت الدولة القومية قد تميزت بالتجانس ولاسيما من النواحي الثقافية والفكرية ، وسرعان ما تطورت هذه الدولة لتنتمي الى القرن العشرين • وهذا ما يصل بنا الى نتيجة مهمة وهي ان المجتمعات القومية او الدول القومية امتدت حتى القرن العشرين إنما هي فعل من افعال العولمة • وكانت الفترة منذ بداية القرن الخامس عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر قد شهدت نمو المجتمعات القومية او ظهور الدول القومية في اوربا • وكانت فكرة المفاهيم الخاصة في العلاقات الدولية قد بدأت بالتطور منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتى عام ١٩٨٧ • اعقبها موضوع الاهتمام بالقوى القومية والعالمية منذ مطلع العشرينات من القرن العشرين وحتى يومنا هذا[٩] •

تتمثل العولمة اليوم من النواحي الفنية في ظاهرة اختراع الحاسوب الالكتروني والاقمار الصناعية وظهور شبكة المعلومات (الانترنت)[١٠]•

---

(9) During, Simon, 1997, " The History of Colonialism in the era of Globalization ". (Early Draft only), University of Melbourne, PP. 1-16.

(10) Dari, Radrik, 1997, " Sense and Nonsense in the Globalization Debate in Foreign Policy ", PP. 19-36.

يرتبط مفهوم العولمة بالتحليل التاريخي والحضاري للتغلغل الغربي في إطار الظاهرة الاستعمارية • وكانت هذه الظاهرة قد تمثلت بغزو البيض لعدد واسع من البلدان مما عرضها لمختلف انواع المقاومة من قبل السكان الاصليين، إلا انه لم ينته القرن العشرين حتى ظهر مفهوم العولمة ليحل محل التغييرات التي ظهرت في المجتمع الدولي(١١) •

٣ ـ العولمة بعد الحرب الثانية

يصف المحللون السياسيون الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية والتي شهدت إنشاء حلف الناتو ومعاهدة الامن بين الولايات المتحدة واليابان ، بكونها الفترة الذهبية • وكانت هذه الفترة قد حفلت بولادة عدد من المؤسسات الاقتصادية الناجحة مثل صندوق النقد الدولي ، البنك الدولي واتفاقية التجارة الدولية (الجات GAT) • وذلك بهدف تحقيق الازدهار والتنمية على المدى البعيد من خلال المساعدة على الوصول الى معدلات مستقرة للتبادل في مختلف انحاء العالم • إلا ان هذه المؤسسات سرعان ما تعرضت للانتقاد بسبب قيامها بفرض مواقف سياسية واقتصادية غير مرغوب بها في البلدان التي تتلقى المساعدة منها ، كما حدث في المكسيك عام ١٩٩٥ وجنوب شرق آسيا عام ١٩٩٨ • وكانت الولايات المتحدة قد دعت الى تشكيل منطقة للتجارة الدولية عام ١٩٩٥ كامتداد لسياستها على الساحة الدولية في اعقاب الحرب العالمية الثانية • وسرعان ما اتضحت حقائق اخرى مهمة •

وكانت السياسة الرسمية الامريكية على وجه الخصوص قد لعبت دورا مهما لتقليل الحواجز امام حركة البضائع والسلع ورأس المال عبر الحدود ، ونتيجة لذلك حدث تفاعل اقتصادي للاسواق الرأسمالية في العالم ادى الى خفض معدلات التبادل بين عدد كبير من الدول وتنامي في السلع والخدمات خارج سيطرة الحكومة ، وهو ما اطلق عليه ظاهرة العولمة الحكومية •

(١١) السياسة الدولية ، ١٩٩٥ « الكونية والاصولية وما بعد الحداثة » القاهرة ، ص (٢٤) •

٤ ـ حدود العولمة

على النقيض من الاعتقاد الشائع في ان العولمة حطمت الحواجز وهدت التضاريس فيما بين البلدان القومية في العالم من خلال الدخول في مرحلة الاقتصاد الواحد او الاقتصاد الموحد عبر العولمة ، فان الحقيقة الموثقة تشير الى غير ذلك . على الرغم من الثورة العارمة التي شملت شبكة الاتصالات والمواصلات الدولية ، وعلى الرغم من التقدم الكبير الذي تحقق في ميدان التجارة العالمية خلال العقود الثلاثة الماضية ، فان عددا من الاقتصاديات الوطنية لايزل بعضها معزولا عن بعضها الاخر الى درجة كبيرة . بل إن عددا كبيرا من الحكومات الوطنية تتمتع بدرجة عالية من الاستقلال والذاتية في ترتيب شؤونها التي تختلف عن نظيراتها من الدول . وهناك الكثير من الادلة على ان الاقتصاديات المحلية لم تغرق بعد في سوق عالمية موحدة عديمة الملامح.

وكما يرى بعضهم الاخر فان اقتصاد العالم اليوم ليس اكثر توحدا مما كان عليه في الماضي حتى ضمن العلاقة ما بين البلدان الصناعية المتقدمة نفسها . فالعلاقات الاقتصادية بين الولايات المتحدة واوربا اليوم اقل انفتاحا عما كانت عليه في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة ، اي في مطلع الخمسينات ، كما ان نسبة صادرات اليابان بالمقارنة مع دخلها القومي هي اقل بكثير مما كانت عليه في فترة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية .

مع الاخذ بهذه الملاحظات ، وفيما يتعلق بالحدود الهلامية للعولمة ، فان العولمة جديرة بالاهتمام ، فقد كان على الدول المختلفة خلال العقود الثلاثة المنصرمة ضمان القدرة على المنافسة العالمية التي أصابت البلدان الصناعية المتقدمة اكثر من غيرها . تبحث المانيا اليوم على سبيل المثال عن منافسين لحل مشكلات ارتفاع معدل البطالة في الوقت الذي تغرق فيه المانيا بعدد كبير من الراغبين في ممارسة اعمال يأنف منها الالمان . وفي اليابان تخلى عدد كبير من الشركات الصناعية الكبرى عن احدى اهم مزاياها وتقاليدها المصممة لضمان العمل للمشتغلين لديها مدى الحياة . وفي فرنسا وبلجيكا وغيرها من الدول

الاوربية قامت التظاهرات ضد محاولة الحكومات لخفض الانفاق على المعاشات • وفي كوريا الجنوبية قادت نقابات العمال مظاهرات صاخبة في الشوارع الرئيسة للاحتجاج على تخفيف الاجراءات القانونية التي تمنع ارباب العمل من فصل العاملين فيها • وفي امريكا اللاتينية تتنافس الدول النامية في اتخاذ الاجراءات لتحرير التجارة وإعادة هيكلة اقتصادياتها والمضي قدما في خصخصة المنشآت والشركات التي تملكها الدولة • كل ذلك من اجل المحافظة على القدرة التنافسية والتفوق في الاقتصاد المعولم •

بالتأكيد ، فان المسألة لا ترتبط بالعمالة المنخفضة • اذ لو صح ذلك لاحتلت بنغلادش ودول افريقية اخرى موقع الصدارة في قائمة الاقتصاديات المصدرة • وقد يوجد في المكسيك وماليزيا عدد من المصانع المصدرة التي تعدت إنتاجية العمل فيها المستوى الامريكي في الانتاج •

معروف ان مصانع من هذا النوع تدفع اجورا منخفضة جدا بالقياس الى نظيرتها في الولايات المتحدة ، بالتأكيد ، فان ما يصدق على عدد ضئيل من المنشآت الصناعية لا ينسحب على اقتصاديات دول اخرى كثيرة • ومن ثم فلن يكون لها سوى آثار ضئيلة جدا على مجموعة التجارة العالمية • كما ان التجارة والاستثمار في الخارج يؤديان الى زيادة مفرطة لفائض الانتاج العالمي[(١٢)] •

لقد ارتبطت العولمة بعدد من الظواهر منها سقوط الشمولية والسلطوية والنزوع الى الديمقراطية والتعددية السياسية واحترام حقوق الانسان • من النواحي الاقتصادية فان العولمة تسعى الى تنمية الاعتماد المتبادل بين الدول وتعميقه وتسعى الى إنشاء منظمة عالمية للتجارة وعدد من التكتلات الاقتصادية

(١٢) احمد ، عزت السيد ، ١٩٩٨ ، « العولمة واعادة هيكلة الاقتصاد العالمي » مجلة المعرفة ، العدد ٤١٦ ، ايار ١٩٩٨ ، دمشق ، ص (٧٨-٩٤) •

التي تعمل على مستوى العالم[١٣] • كما يمكن النظر الى العولمة باعتبارها شكلا من اشكال إعادة هيكلة الاقتصاد العالمي ممثلا في المنافسة الامريكية الاوربية اليابانية من جهة والمنافسة بين الشركات متعددة الجنسيات من جهة اخرى[١٤] •

وثمة أسباب اخرى وجيهة تدعو الى القلق بشأن مستوى الجدل الدائر حول العولمة والذي يمكن وصفه بحوار الطرشان ، فالمجندون للتوحد العالمي يقفون ضد خصوم العولمة من دعاة رفع الضرائب على الواردات لحماية الانتاج المحلي ، فيما يعمد منتقدو العولمة الى اتهام الاقتصاديين وخبراء التجارة في انهم مولعون بالافكار التي يبتدعونها ولا يتعاملون مع المتغيرات الاقتصادية الحقيقية في عالم اليوم ، ومهما يكن من امر ، فان التوترات التي خلقتها العولمة إنما هي توترات حقيقية ، وان المصطلحات المتداولة للتعايش معها لا تساعد على فهمها ، الامر الذي يتطلب طريقة افضل للفهم تستند الى المزيد من البحث والدراسة[١٥] •

وتوضح مناقشة مفهوم (الزمان والمكان) ومفهوم العالم باعتباره (مكانا اجتماعيا واحدا) مدى قدرة الافراد والجماعات ولاسيما الحكومات القومية او الوطنية على التطابق مع المقاييس الدولية للعصر والنوعية •

لقد شهدت الثورة المالية للثمانينات من القرن العشرين انفجارا لتقليل القيود على حركة المال ، رافقها تقدم هائل في مجال الاتصالات الهاتفية والمعلومات الخاصة بالتقنيات •

لقد ادى كل ذلك الى حراك دولي هائل في رأس المال الذي كان متخلفا بصورة نوعية عن الدولية وحركة المال عبر القوميات المتعددة للفترة السابقة •

---

(13) Dani Rodrik, Sense and Nonsense in the globalization Debate ' Foreign Policy, summer 1997, number 107, PP. 19-36.

(14) Hoogvelt, Ankie, Op. cit, PP. 1-2.

(15) Sutheland, Peter, 1998, " Expand the Debate on Globalization ", Time, Vol. 151, No. 5, P. 1.

وقد فاق النمو في الثمانينات في مجال الاستثمار في البلدان النامية بمعدل سبع مرات ، واذا ما اخذنا بعض التقديرات المحافظة حول المجموع الكلي السنوي لقيمة المبادلات المالية في اسواق المال فانها اليوم تقدر بضعف القيمة الفعلية لانتاج العالم ، ومن المؤكد ان المال صنع من خلال دائرية الحركة التي يقوم بها بغض النظر عن القيود التقليدية للزمان والمكان . فالمال يتحول الى وسائل نقل . على سبيل المثال عندما تستثمر مال ، كان اصلا في الولايات المتحدة او اوربا ، في بلد مثل هونغ كونغ عام ١٩٩٣ التي شهد معدل الارباح فيها نسبة ٣٠٠٪ فان اصحاب هذا المال ، اذا كانوا من الذكاء ، يمكنهم استثماره في اماكن اخرى تدر عليهم ارباحا اكثر دون الاضطرار الى انتظار ما سيحدث ، لان المال يصنع ربحيته بمحض القدرة على الانتقال والحركة(١٦) .

٥ ـ تأثيرات ظاهرة العولمة في النظم المعاصرة

العولمة شأنها شأن اية ظاهرة لها سلبياتها وايجابياتها(١٧) . ومن التأثيرات الايجابية للعولمة كما يرى المحللون . فهناك العديد من المشاكل التي لا تستطيع الدولة حلها من منظور السيادة الوطنية المطلقة للدولة بسبب الاعتماد المتبادل بين الدول في عالم اليوم الذي اصبح قرية صغيرة ، ومن هذه المشاكل التي تساهم العولمة في حلها :

١ ـ انتشار اسلحة الدمار الشامل وزيادة عدد الدول التي تمتلكها ، وكان آخرها ما حصل في باكستان والهند عام ١٩٩٨ ، يضاف الى ذلك الاسلحة الكيماوية والجرثومية وسهولة الحصول عليها .

٢ ـ البيئة .

٣ ـ تطور الاوبئة والامراض .

---

(16) Gaass Richards N. And Robert Litan, " Globalization and its Discontents ; Navigating the Dangers of a Tangled World ", In Foreign Affairs, June 1998, Vol. 77, No. 3, PP. 2-12.

(17) Gaass Richardson N. & Robert Litan. Op. cit. P. 457.

٤ ـ انتقال الايدي العاملة من منطقة الى اخرى والهجرات التي تحصل بسبب الحروب ، مثل تدفق اللاجئين في البوسنة وكوسوفو والشيشان وفلسطين بعد حرب الخليج الثانية .

٥ ـ انتشار الجريمة والمخدرات .

٦ ـ المشكلات والازمات الاقتصادية وهبوط العملات كما حصل في ماليزيا وبعض الدول الاسيوية ومشكلات اليابان الاقتصادية .

اما التأثيرات السلبية للعولمة فمنها :ـ

١ ـ التخوف من ذوبان الدولة القومية بحيث تفقد سيادتها المطلقة خصوصا الدول الضعيفة .

٢ ـ انهيار التوازنات الدولية السابقة ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية .

٣ ـ تضاعف فرص المجموعات الاقوى (القوى التي تسيطر بالاصل على عناصر القوة الاقتصادية والعسكرية والعلمية والتقنية) .

٤ ـ تعمق التناقضات بين المجموعات البشرية مما يشكل ضررا على هذه التجمعات .

٥ ـ زيادة غنى الدول الغنية بينما تزداد الدول الفقيرة فقرا[١٨] .

لقد شهد العقد الاخير عددا من السياسات الاصلاحية في مجال التعليم في عدد من البلدان الانجلوامريكية . مثل كندا والولايات المتحدة الامريكية واستراليا والمملكة المتحدة ونيوزيلندا . وكانت هذه السياسات قد صممت بما ينسجم مع التغيرات التي حدثت وتحدث في مجال اقتصاد السوق والاتجاه نحو العولمة . اذ لوحظ في هذا المجال ان من بين التأثيرات التي جلبتها العولمة نقل السلطة والقرار من المستويات الوسطى في مجال التعليم ، من تربويين محترفين الى السكان المحليين والمستفيدين المباشرين من طلبة وافراد . وهذا

---

(١٨) الجابري ، محمد عابد ١٩٩٨ ، « العولمة والهوية الثقافية » / المستقبل العربي ، العدد ٢٢٨ شباط ١٩٩٨ ص (١٤) .

ما تطلب إحداث تغييرات شملت المناهـج والامتحانات وإدارة المدرسـة ؛ وفي ضوء المصلحة المشتركة لعدد من البلدان النامية من مواجهة آثار العولمة التي يعتقد انها تهدد الهوية الوطنية والقومية لهذه البلدان ، وصار التركيز علـى ضرورة إيلاء مناهج التاريخ اهتماما خاصا للحيلولة دون ذوبان الشـخصية القومية والوطنية لهذه البلدان في بوتقة العالم الواسع ذي الحضارات المتعددة .

٦ ـ المشكلات المرتبطة باقتصاديات العولمة وسبل مواجهتها

ما هو الخطأ في العولمة ؟ ولماذا ينبغي علينا مقاومتها ؟

المتفائلون بالعولمة يذهبون الى حد الاعتقاد ان المعلومات تشكل مصدرا للقيمة . وما يوجد من نقد لهذا الاعتقاد هو ان هناك نقطتين مهمتين تسلطان الضوء على سلبيات العولمة[١٩] .

١ ـ إن نتيجة المعلومات لا يمكن ان تكون بديلا للرأسمالية كشكل مـن اشكال الانتاج بكل ما تنطوي عليه من تناقضات وطبيعة استغلالية . فمثـلا عن الفجوة بين الغني والفقير فقد وصل تكدس الثروة حدا لافتا للنظـر ، اذ يعتقد ان (٣٥٨) فردا يمتلكون ما يقدر بنصف ثروة العالم . ويعني ذلـك تحول مصدر السلطة الى هؤلاء الافراد بعيدا عن سلطة الدول ، في هذا المجال يمكن ملاحظة ان سلطة الدولة مثلت الارادة الجمعية للسكان في حين انها في ظل العولمة تبقى بيد عدد محدود من الافراد الذين لا يجمعهم الا عامل الثروة، للتحكم بنوعية حياة الناس .

٢ ـ يرى دعاة العولمة انه سيكون بامكان المستهلكين شراء كل مـا يحتاجونه من اي مكان في العالم . اذ سيكون بمقدور المستهلك شراء احسن المنتجات بأرخص الاثمان ولكن هذا الحساب الاقتصادي بغض النظر عـن كلفة الاضرار البيئية والمخاطر الصحية المرتبطة بها ، التي تزيد على مليـار

---

(19) Khouri, Rami, 1996, " A view from the Middle East, Counting Brands of Shampoo and Types of Colonialism ". P. 17.

جنيه استرليني اليوم • وعلى الرغم من ان العولمة ساعدت بعضهم على تحسين مستوى معيشته ، إلا انها جعلت ذلك صعبا على بعضهم الاخر في مناطق نائية او بعيدة ، لسبب من الاسباب ، كما هو الحال في افريقيا • وعلى الرغم من ان العولمة ساعدت بعض البلدان في آسيا بمثل ما حصل في الازمة الاسيوية عام ١٩٩٨ فان من الصعب ادارة الظهر للعولمة لان الاثار السلبية لذلك قد تكون اكبر مما يسببه انعدام الاستقرار الذي تتسبب به العولمة • إن التحدي الاخر الذي تشكله العولمة هو انتشار الشعور بالقلق في البلاد المتقدمة من ان العولمة مسؤولة عن انخفاض مستوى المعيشة ، وهذا هو السبب الذي يقف خلف ركود الرواتب والاجور في امريكا وارتفاع البطالة في اوربا[٢٠] •

وثمة مشكلات ترتبط بظاهرة العولمة • فالعولمة كانت في مواجهة المشكلات التي حدثت في المكسيك والبلدان الاسيوية ، ففي الولايات المتحدة تنتقد العولمة لفقدان الكثير من الفرص الاقتصادية وركود الاجواء الحقيقية وتدهورها ، فالعولمة اصبحت هدفا بحد ذاته مما يوجب انتقادها ، وعليه فان الولايات المتحدة ستجبر على التراجع •

ومع ان الولايات المتحدة اقل (عولمة) من البلدان الاوربية الاخرى فان ملايين فرص العمل الامريكية ومليارات الدولارات ترتبط ببرامج التنمية الاقتصادية في البلدان الاخرى[٢١] •

وإن البناء الوسطي للعولمة هو الخصخصة ، وتتوسع قاعدة القطاع الخاص على حساب القطاع العام ، مما يخلق في رأينا مشكلات ، منها زيادة حدة البطالة في الدول النامية وعدم القدرة على المنافسة الدولية ، وتقليل فرص الحماية للصناعات الوطنية ، والاضعاف من سيطرة الدولة لحساب القوى الخارجية •

---

(20) Davies, Scott and Neil Guppy. Op cit. P. 203.

(21) Gaass Richards N. And Robert Litan, Op. cit. P. 457.

يلاحظ « إكيوز » ان القطاع الوحيد الذي تم اجتذاب النمو فيه هو مجال تبادل رأس المال ، إلا ان هذا ايضا اسفر عن عدد من المشكلات .

فقد ادت الحركة المالية المتزايدة الى احداث حالة عدم استقرار مالي في اسواق البلدان النامية او دول الجنوب مما ساهم بزيادة او شيوع ظاهرة العمل في ضوء تأملات غير دقيقة . وهذا ما يفسر حقيقة ان كثير من المصارف التجارية في معظم البلدان لديها معدلات فائدة غير مستقرة مما جعل المواطن يفقد الثقة في هذه المصارف ، او في الاقل وضعه امام شعور بالمجازفة والمخاطرة عند اخذه قروضا مالية منها . وهناك مشكلة ذات صلة هي ان التحرر اثر على الاسواق المحلية مما جعلها حساسة ومرهقة امام التغيرات او الهزات المالية على الصعيد العالمي . فقد كان لتأثير بعض المصارف في اليابان والولايات المتحدة تأثير على اسواق المال في مختلف ارجاء العالم .

وبالاستناد الى تجارب كوريا الجنوبية ، تايوان وماليزيا فان رفع التعرفة الجمركية امام المستثمرين الاجانب يمكن ان يوفر فرصا افضل لهؤلاء للاستثمار في البلدان النامية التي ستوفر عائدا افضل من العملة الاجنبية ، الا ان بعضهم لاحظ ان ما حدث في آسيا لم يحدث في افريقيا التي اقتصرت على توفير العمالة الرخيصة للصناعيين الاجانب الامر الذي لم يؤد الى تحريك مستوى الفقر باتجاه العمل على تقليصه .

ولم تزد اسواق المنتجات الافريقية بصورة واضحة في المجال . الذي تحظى به دول الجنوب بالمزية مقابل قيام دول الشمال بحماية اسواقها من المنتجات الاجنبية ، اضف الى ذلك انه بينما تستطيع الدول المتقدمة الاستفادة من اسعار بضائعها في اسواق الدول النامية بوضع هامش ربح عال فان دول الجنوب او البلدان النامية لا تستطيع القيام بالشيء نفسه في اسواق الدول المتقدمة او دول الشمال .

المشكلة الاخرى انه على الرغم من ان لتجارة المال عوائد مالية مربحة إلا انها لا تتطلب القيام باستثمارات تحتية في البلدان النامية . وهناك من يعتقد

انه اذا ما اريد للعولمة ان تنضج وتستمر من دون تهديد امن وحياة النـــاس فلابد من العمل على تشجيع الناس في المجتمعات المحلية على سد حاجاتهـــم اليومية الاساسية بلا تدخل الاطر التشريعية على الصعيد القومي ، حـين ذاك يكون باستطاعة الناس ان يعيشوا او يتعايشوا مع العولمة بسلام(٢٢) .

فاذا كانت العولمة الاقتصادية تؤشر لنهاية الهيمنة الامبريالية والاستعمارية القديمة ، التي بدأت في القرن التاسع عشر ، واذا كان هدفها فتح الطــــريق لاقامة روابط اقتصادية مفيدة وعادلة لكل الاطراف ، فان علينا الترحيب بها . ولكن من الواضح ان العولمة تستبدل الهيمنة الاقتصادية بالاستعمار السياسي والجغرافي للقرن الماضي ، والهيمنة الامبريالية الحضارية لهذا القرن ، لذلــك علينا ان نقيم اندفاعنا الى سوق العمل العالمية ، وان نحلل الاسباب والنتائــج المترتبة على هذا الغزو الاقتصادي الجديد(٢٣) .

وتبرز ثلاث مشكلات رئيسة ترتبط باقتصاديات العولمة هي :ـ

١ ـ لا بد من العمل على التخلص من الدور الذي يقوم به البنك الدولي او صندوق النقد الدولي الذي لا يؤدي تدخلهما إلا الى المزيد من الازمـات ، وبالتحديد فان الحكومات التي توافق على خطط صندوق النقد الدولي يتوجب عليها الموافقة على اجراء تغييرات تمس مواقفها وسياساتها في الصميم ، ممـا يصعب على الكثير منها تحمله . تبعا لذلك فقد اصيب المستثمرون في المكسيك وآسيا بصدمة نتيجة تكدس منتجاتهم المحلية وانخفاض اسعارها ، فضلا عــن انخفاض سعر العملة المحلية .

فالاطراف الوحيدة التي ظهرت غير متضررة هم حملة الاسهم من ديون الحكومة المكسيكية خلال الازمة الاقتصــادية في المكسيك ، والمصــارف في

---

(22) Chibani, Mohsen, 1997, " The Challenge of Globalization in the Arab Countries : What should the trade union doing ? " in Economist ICFTU on line International Confederation of free trade Unions (ICFTU) PP. 1-2.

(23) SutherLand Peter, op. cit, PP. 2-3.

الازمة الاسيوية الاخيرة . لا يتمثل الحل في هذه الحالة بحل صندوق النقد الدولي وإنما عن طريق تحذير المصارف وحملة الاسهم من انهم سيعانون نتيجة ذلك في اثناء حصول ازمة في المستقبل . فخلال الكساد الاقتصادي الذي اصاب الولايات المتحدة في عام ١٩٢٩ تعلم الأمريكان اهمية الحاجة الى صندوق من هذا النوع ، يمكن ان يقدم حلولا في اللحظة الاخيرة . اذ ان إحدى مشكلاتهم هي عدم توفر السيولة النقدية المناسبة ، فضلا عن ذلك ، فالولايات المتحدة غير قادرة على التضحية ببلدان تهم اقتصادها السياسي القومي[٢٤] .

٢ ـ التحكم بالعولمة :ـ

نقترح في هذا المجال تأسيس او إنشاء مؤسسات جديدة لايجاد بناء وتوجه للسوق العالمية لمساعدة صندوق النقد الدولي في الجوانب الايجابية منه ، على سبيل المثال هناك من يرى ان حركة رأس المال الدولية تحتاج الى ان يتم الاشراف عليها وان يصار الى التحكم في حركة الاسهم مما قد يستدعي تأسيس مؤسسة شبيهة بالمؤسسة الامريكية التي تضمن الحصول على صكوك الرهن للاقامة مقابل رسوم . يدعو « سورو » الى تأسيس او انشاء شركة تأمين دولية يمكن ان تضمن تقديم قروض الى القطاع الخاص الى حد معين مقابل رسوم بسيطة ، في حين تستلزم من بلدان المستفيدين تقديم صورة كاملة عن الوضع المالي لمعرفة ما اذا كانت هذه البلدان مؤهلة لذلك .

وهناك من يدعو الى انشاء هيئة لاسواق ومؤسسات دولية رئيسة فيما وراء البحار يمكن ان تعين الحد الادنى لمستلزمات رأس المال لكل المؤسسات ووضع مقاييس موحدة للحساب والاقراض فضلا عن ادارة مستوى الاداء[٢٥].

ويمكن لهذه الهيئة ان تحاسب او تعاقب اولئك الذين لا يلتزمون بهذه المقاييس من خلال تحديد قدرة اولئك الذين يبقون خارج النظام .

---

(24) Mwangi, Wagaki, 1995, "Who Gains and Loses from Globalization of the Economy", in Econews from Africa, Vol. 4, No. 20. PP. 1-2

(25) Hoogvelt, Ankie, op. cit, PP. 13-14

من المؤكد ان الحكومات تقاوم الهيئات الدولية التي تتحدى سيادتها ، ولا ينطبق ذلك على الازمات الاقتصادية والمالية حيث تكون مساعدته صندوق النقد الدولي مطلوبة .. ومن الصعوبة بمكان ان تفهم كيف يحدد الموظفون الدوليون كمية الاسهم التي لابد من تحقيقها بدلا من ان تقوم السوق بذلك .

٣ ــ القيام بعدد من الاصلاحات الضرورية لبناء العمليات المالية وتهذيبها والتبادل التجاري ، هذه الطريقة شبيهة بالطريقة التي عالجت فيها الامم المتحدة ازمة الثمانينات التي اثرت على التوفير والقروض المصرفية ، وكانت الولايات المتحدة قد قامت آنذاك بوضع عدد من القوانين التي الزمت حملة الاسهم بالمحافظة على ولائهم للمصارف وجعلت من الصعب عليهم سحب كميات كبيرة من المال .

ولعل التحدي الذي يواجه الاسرة الدولية هو القيام بتقديم اصلاحات مساوية للاصلاحات الامريكية على الصعيد القومي او العالمي .

لقد قام صندوق النقد الدولي بمثل هذه الاصلاحات التي تتضمن تحسين الاشراف على المؤسسات المالية ، إنشاء او إقامة ممارسات حسابية ذات طراز غريب في المصارف والمؤسسات وفتح الاسواق للاستثمار الاجنبي لضمان قيام هذ المؤسسات بعملها . فان على المصارف الدولية وربما التنظيمات غير الحكومية ان تصدر تقريرا دوريا حول التقدم الذي اخذته هذه البلدان كلاً على انفراد . فضلا عن ذلك فان على صندوق النقد الدولي الضغط على كل البلدان لكي تعطي معلومات دقيقة حول البيانات المالية المهمة بضمنها المكانة القائمة للبلد من النواحي المالية واحتياطي التبادل الاجنبي ، الديون قصيرة الامد لجهات اجنبية . في هذا الشأن تقوم المصارف والمستثمرون بتفضيل البلدان التي تتمتع بمكانة او معدل إيجابي وثقافي او اقتصادي للتعامل مع البلدان التي لا تتمتع بمثل ذلك ، عندها تقوم الحكومات والمؤسسات بتقديم الاصلاحات المرغوب بها .

تظهر الازمة الاسيوية الحاجة لوضع آليات اكثر رسمية لمعالجة حالات الانكسار التجاري والمالي لمساعدة مؤسسات العمل على موازنة حساباتها بدلا من إغلاقها كليا[٢٦] .

لقد اظهرت الازمة المالية الاخيرة في آسيا انه لابد من توسيع النقاش حول العولمة . فالعولمة قد تساعد اكثر البلدان فقرا على النمو والتطور ولكنها قد تقلب ذلك بين عشية وضحاها[٢٧] .

لقد تسببت العولمة في منافسة شديدة بين الشركات الاجنبية والشركات المحلية الوطنية ، مما يتطلب اعادة النظر في عقود الشركات الاجنبية .

٧ ـ اثر العولمة على البلدان العربية

ناقش عدد من الاتحادات التجارية الفلسطينية والاردنية والمصرية اثر العولمة على البلدان العربية وعلى سوق العمل العالمي ، وذلك في إطار اجتماع للاتحاد الدولي للتجارة الحرة (ICFTU) ، عقد في القاهرة ضمن الجهود المبذولة لوضع إطار خطة لتعزيز اتحادات التجارة العربية وتقويتها ، وقد توصل المجتمعون الى ان عولمة الاقتصاد قد اصبحت واقعة يومية بالنسبة لاتحادات التجارة في العالم العربي . والتحدي الاكبر الذي يواجهه العالم العربي يتمثل في ان تشريعات العمل وحقوق اتحاد التجارة والمكاسب الاجتماعية لحركة اتحاد التجارة العربي تكون مهددة من قبل الاقتصاد العالمي الذي يضع القواعد الخاصة بالسياسات الاقتصادية المتبناة من قبل دول المنطقة.

إن الدولة بدأت تنسحب تدريجيا من دورها التنظيمي لتعطي حرية كاملة لقواعد السوق . إن الاصلاحات الاقتصادية التي تطبقها الان كل من مصر والاردن وذلك كجزء من برنامج التعديلات الهيكلية والمدعوم من قبل المؤسسات المالية الدولية تعطي دورا اكبر للقطاع الخاص مع تحويل الملكية من الدولة الى القطاع الخاص .

---

(26) Chibani, Mohsen, op. cit, P. 2.
(27) Ibid, P. 2.

ويؤدي القطاع الخاص في مصر دورا ديناميكيا ، كما ان المشاريع المتفق عليها مع المستثمرين الاجانب ، في القمة الثالثة لدول الشرق الاوسط وشمال افريقيا التي عقدت في القاهرة في تشرين الثاني ١٩٩٦ ، بدأ تنفيذها بالاضافة الى معظم المشاريع المأخوذة من قبل الدولة في مصر العليا وشبه جزيرة سيناء .

إن عملية الخصخصة في عدد من القطاعات الاقتصادية بدأت تهدد الالاف من فرص العمل ، مما يضيف عبئا جديدا على المستوى العالمي للبطالة ، (نحو ١٣٪ في مصر والاردن) .

وهناك من يعتقد ان العولمة تشكل خطرا على البلدان النامية الصغيرة مثل الاردن على سبيل المثال بسبب الوقوع في شرك الاعتقاد بان الاردن اصبح بلدا معاصرا وحديثا ومنتجا وآمنا ، ولكن المسألة لا تعدو ان تكون سوقا لمنتجات الشركات العالمية مثل شركات الايس كريم والبيتزا ... الخ .

إن الاصلاحات الاردنية والمتناسقة مع المؤسسات الدولية لها تأثير مباشر على سوق العمل الدولي . فالحكومة الاردنية التي اصدرت قانونا لمنع غير الاردنيين من الحصول على عمل في خمسة عشر قطاعا من قطاعات العمل والمهن التي يقدر عدد القادمين اليها بنحو خمسين الف شخص سنويا (من مصر نصف مليون شخص) تطبق سياسات مالية محافظة . وقد قدر التضخم في عام ١٩٩٦ بـ ٦٪ بارتفاع ٢ر٣٪ عن عام ١٩٩٥ .

ويعود هذا بالدرجة الاساس الى الدعم الذي تقدمه الحكومة الاردنية الى القمح والماء والكهرباء . وقد ادت توصيات المؤسسات الدولية في آب ١٩٩٦ والخاصة بسحب هذا الدعم من السلع الاساسية بارتفاع كبير في اسعار الخبز في الاردن .

ويعدّ قطاع غزة والضفة الغربية من اكثر المناطق التي تعاني من البطالة في المنطقة، فتشكل البطالة نحو ٢٨٪ من نسبة السكان المؤهلين للعمل وهذا يعود بالدرجة الاساسية الى القرار الاسرائيلي بغلق الحدود وتدهور الوضع

السياسي الذي لم يشجع المستثمرين الاجانب على الاستمرار والتأخر في تنفيذ معظم المشاريع الرئيسة ، والنتيجة الرئيسة لهذا الوضع تمثلت في الانخفاض الحاد للقوة الشرائية للفلسطينيين •

إن اتحادات التجارة الفلسطينية والاردنية والمصرية قلقة بشأن التأثيرات الاجتماعية لهذه الاصلاحات الاقتصادية • ويتنافى هذا الشعور بالقلق كلما تزايد حضور الشركات متعددة الجنسيات في هذه البلدان التي تميزت لفترة طويلة بقدراتها في التأثير على القطاع العام •

ولمواجهة هذه التحديات الجديدة فان المشاركين دعوا الى استراتيجية جديدة لاتحاد التجارة تكون مستندة الى تعزيز وجودها في القطاع الخاص وابتداءا من خلال احترام ادوات منظمة العمل الدولية •

وتدعو اتحادات التجارة الى إقامة الصلة والترابط بين نمو التجارة ووسائل منظمة العمل الدولي ومقترحاته وذلك لوضع نهاية لعمل الاطفال كظاهرة واسعة الانتشار ، وتشجيع المساواة في توفير فرص العمل • كما دعا المؤتمر الى وضع مقاييس لمساعدة العاطلين عن العمل من خريجي الجامعات والكليات • وكذلك القيام باصلاح نظام التعليم وإنشاء مراكز للتدريب المهني الذي يمكن العمال من استخدام مهاراتهم في المتطلبات الجديدة لسوق العمل ، فضلا عن وضع سياسات تنسيقية لمعالجة المشاكل التي تقوم الشركات متعددة الجنسيات بخلقها في المنطقة والتي تتهم بعدم احترام قوانين منظمة العمل الدولية او عدم احترامها لاتحاد التجارة بالاضافة الى تدميرها للبيئة •

وتؤكد جميع هذه الاجراءات على ان اتحادات التجارة تصبح اكثر فعالية عندما تكون هناك ديمقراطية واستقرار اجتماعي ، كما ان تحقيق سلام دائم وعادل في المنطقة ، يسهم في تشجيع الاستثمارات ، وان تعثر العملية السلمية انعكس سلبا على فرص الاستثمار •

وفي العالم العربي نجد ان الموقف تجاه العولمة إنما ينقسم الى قسمين، يقف في القسم الاول عدد كبير من المثقفين والقوى التقليدية وبعض الشرائح البيروقراطية التي تحرص على التعبير عن مواقف مناهضة للعولمة ، اذ ترى فيها هدرا ، بل اعتداء على السيادة الوطنية والقومية للدولة مما يعرض المواطن لان يكون نهبا لمختلف التدخلات الخارجية المصممة لزعزعة الاستقرار النفسي والاجتماعي فضلا عما لذلك من مساس بالشعور الذاتي للانتماء وتسويغ الهجرة الى الخارج . اما القسم الاخر فيضم فئة ما يمكن ان تسمى بانصار العولمة الذين يرون ان هناك حاجة ملحة الى تأكيد العولمة وتشجيع الخصخصة والحد من سلطة الدولة بأمل اللحاق بركب العالم المتقدم واستخدام لغة العصر . في هذه الفئة نرى عددا من رجال الاعمال واصحاب مشروعات الخصخصة من تجار وصناعيين[٢٨] الى جانب هاتين الفئتين نجد جناحا من المفكرين ودعاة المواقف الايديولوجية للعولمة ممن ينادون بضرورة إذكاء الشعور بالانتماء للاسلام كوسيلة من وسائل مواجهة الاثار الثقافية والحضارية وبالتالي السياسية للعولمة . وبقدر ما يتعلق الامر بالموقف من الصراع العربي ـ الاسرائيلي ويرى ان هناك جناحين اولهما يدعو الى اخضاع متطلبات العولمة والثاني يطالب باتخاذ مواقف عدائية ترى ان هناك تهديدا استراتيجيا يتطلب وقفة صارمة بوجه العولمة المتخصصة[٢٩] .

الاستنتاجات والتوصيات

ا ـ الاستنتاجات

في ضوء دراسة ظاهرة العولمة بابعادها المختلفة يمكن القول ان العولمة ظاهرة قديمة بدأت مع السيطرة الغربية الاستعمارية ، ثم اخذت بالظهور خلال

(٢٨) ياسين السيد ، ١٩٩٧ « العولمة وتسوية الصراع العربي الاسرائيلي » الاهرام العدد ٤٠٤٧٠ بتاريخ ١٩٩٧/٩/٢٥ ، القاهرة .

(29) MicGrew, Anthony. G. & Paul P. Lewis, 1992, Global Politics " Globalization and the nation states ", Cambridge, Blackwell Publishers, PP. 1-30.

العقود القليلة الماضية منذ مطلع الثمانينات وتزايد الاهتمام بها بعد انهيار النظم الشمولية وانفراد العالم الغربي والاوربي بالساحة الدولية ، وقد اسهمت ثورة الاتصالات الحديثة في التسرع بظاهرة العولمة وتجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية .

فالنظام الدولي الذي نجح في الماضي في تجزئة القوميات في العالم يجد في العولمة طريقا من اجل السيطرة باستخدام قنوات الاتصال ، سواء عن طريق شبكة المعلومات المتقدمة او عن طريق الشركات متعددة الجنسيات او عن طريق اختراق ثقافات هذه الدول .

لقد اضحت العولمة حقيقة وليس اختبارا ، وينطبق عليها مقولة « تستطيع ان تجري راكضا ولكنك لاتستطيع ان تختفي عن الانظار » . فأولئك الذين يقاومون العولمة إنما يقاومون الافضل والارخص . والاختبار الحقيقي للحكومات هو ليس كيف تقاتل هذه الحكومات العولمة وإنما كيف تديرها ، الامر الذي يتطلب سياسات مبدعة على الصعيد القومي والدولي(٣٠) .

والسؤال الذي يطرح ، ما هو الموقف العربي المطلوب في التعامل مع ظاهرة العولمة ؟

يرى بعضهم ان الانغلاق موقف سلبي غير فاعل لان محاربة الاختراق الثقافي لا تنال الاختراق ولا تمسه ، بل ان فعله يكون موجها الى الذات بقصد تحصينها ، والتحصن إنما يكون مفيدا عندما يكون المتحاربان على نسبة معقولة من تكافؤ القوى والقدرات . اما عندما يكون الامر متعلقا بظاهرة عالمية تدخل جميع البيوت ويفرضها اصحابها فرضا بتخطيط واستراتيجية ، فان الانغلاق في هذه الحالة ينقلب الى موت بطيء قد تتخلله بعض البطولات ، ولكن صاحبه محكوم عليه بالاخفاق .

---

(٣٠) الجابري ، محمد العابد ، مصدر سابق ، ص (٩) .

والموقف الثاني مثله مثل الانغلاق سلبي وذلك لان ثقافة الاختراق ، او ايديولوجيا الارتماء في احضان العولمة والاندماج بها هي ثقافة تنطلق من فراغ ، اي من اللاهوية وبالتالي فهي لا تستطيع ان تبني هوية ولا كيانا .

ويقول اصحاب هذا الموقف انه لا فائدة من المقاومة ولا في الالتجاء الى التراث بل الانخراط في العولمة والاندماج من دون تردد ومن دون حدود ، لانها ظاهرة حضارية عالمية لا يمكن الوقوف ضدها ولا يتحقق التقدم خارجها، إن الامر يتعلق بقطار يجب ان نركبه ، وهو ماض معنا او من دوننا[٣١] .

ولكن المحذور الذي يجدر الانتباه اليه في حالة السير بلا تحفظ بركب العولمة هو ان الثقافة العربية تعاني منذ اكثر من قرنين وضعا متوترا نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية بتقنياتها وعلومها وقيمها الحضارية ، التي هي نتيجة تطور خاص قوامه التحديث والحداثة . تطور لم تعشه الثقافة العربية بل بقيت معزولة عنه ، تجتر وضعا قديما توقف عن النمو منذ قرون ، مما يوجب وضع خصوصية العلاقة بين العولمة والهوية الثقافية عندما يتعلق الامر بالوطن العربي .

ب ـ التوصيات

إن المطلوب في مواجهة العولمة وتحقيق التقدم هو :ـ

١ ـ إنشاء منطقة تجارة حرة عربية وسوق عربية مشتركة .

٢ ـ التريث في انضمام الدول العربية الى اتفاقية التجارة العالمية .

٣ ـ توفير الجو السليم والديمقراطية الحقة على طريق السماح لسكانه بالتعبير وابداء الرأي وطرح وجهات النظر المختلفة بعيدا عن العنف والقمع .

٤ ـ مقاومة شروط البنك الدولي وتدخلاته .

٥ ـ التحول الى الخصخصة لا يتم ببيع الشركات الناجحة .

---

(٣١) مجلة الحياة التجارية ، ١٩٩٨ ، « قطاع المقاولات يواجه تحديات العولمة » غرفة تجارة وصناعة البحرين ، ص (٢٥ـ٣٠) .

٦ ـ الاهتمام بتوعية المواطن وتثقيف العمال وتوفير وسائل اتصالات حديثة تنشر المعلومات وتبين مخاطر العولمة وآثارها السلبية من جميع النواحي •

٧ ـ إنشاء سوق شرق اوسطية إسلامية بدلا من سوق اوسطية عربية ـ اسرائيلية •

٨ ـ السماح للقيم الدينية والاخلاقية بالنمو والرعاية بدلا من محاربتها •

٩ ـ تعزيز القيم الروحية وبرامج البث الوطنية في نفوس الاجيال من خلال مناهج التعلم والمؤسسات التربوية •

١٠ـ استخدام الفكر والاعلام وإقامة الندوات الفكرية لخلق رأي عام عربي يشكل ضغط على النخبة السياسية •

١١ـ حماية الصناعات الوطنية ورفع مستواها لترقى الى مستوى الصناعات الاجنبية باستخدام الطرق العلمية الحديثة •

١٢ـ خلق روح الوعي لدى الشعوب للتعامل مع السلطات الوطنية العربية بدلا من السلطات الخارجية •

١٣ـ مقاومة التطبيع وإضعاف معاهدة السلام العربية الاسرائيلية للتخفيف من حدة العولمة •

١٤ـ الاهتمام بمنظمة العمل العربية لتكون اكثر وضوحا واعمق نهجا في ظل المتغيرات المطروحة ، حيث ان مسائل البحث والتدريب والتشريع وعقد الندوات يجب ان تكون اكثر ملاءمة للتعامل مع المتغيرات وبشكل اكثر جدية •

١٥ـ توسيع المشاركة في العمل النقابي وزيادة حجم المشاركة العضوية والسماح للنقابات العمالية بالمشاركة ـ وبالوسائل الديمقراطية ـ في المسائل التي تتعلق بمصير الحركة العمالية والاصلاحات الاقتصادية •

١٦ـ دعم الشركات الوطنية التي اثبتت كفاءتها وهذا يتطلب :ـ

أ ــ الدعوة لتشكيل اتحاد وطني يضم جميع المقاولين في كل بلد عــربي وتأسيس اتحاد عام للمقاولين •

ب ــ عدم السماح للشركات الاجنبية بتنفيذ المشاريع إلا بعد التأكــد من عدم وجود شركات محلية تستطيع القيام بها •

ج ــ تجزئة المشروعات العملاقة بحيث يمكن للمقاولين الوطنيين المشاركة فيها مع الاستفادة من إمكاناتها التقنية •

د ــ إلغاء او تخفيض الكفالات التي تلزم المقاول من الدخول في العطــاء او تخفيضها •

هـ ــ العمل على وضع مواصفات بناء موحدة وتسهيل عملية التوســع في استخدام الموارد المحلية •

و ــ إنشاء مركز قومي للمعلومات او مركز معلومات وطني يشمل على معلومات موثقة عن المشاريع وطريقة العمل •

ز ــ تشجيع الشركات المساهمة او اندماج الشركات الصغيرة ضــــمن الشركات الكبيرة للتغلب على فجوة الموارد والصعوبات الاخرى •

وفي ضوء ما سبق من استعراض لظاهرة العولمة وتجلياتها السياســـية والاقتصادية والاجتماعية بسلبياتها وايجابياتها فان الذي يمكن تأكيده هنــا هو ان ظاهرة العولمة بدأت تفرض نفسها في عالم متغير مما يتطلب من الدول العربية والاسلامية إقامة التكتلات الاقليمية من خلال إقامة سوق شــرق اوسطية إسلامية بدلا من سوق شرق اوسطية تسيطر عليه اسرائيل والــدول الغربية برعاية الولايات المتحدة •

السجع النوئي
ودلالته على الازمنة عند العرب

د. محمد نايف الدليمي
اختصاصي تربوي / تربية نينوى

بسم الله الرحمن الرحيم

يُعَدُّ النوء من الامور المهمة في حياة العربي في مجتمع ما قبل الاسلام وبعده ، فهو حالة يومية ملازمة له في كل وقت ، وحيثما حَلَّ وارتحل ، فبه يعرف مواسمه ، ومن خلاله يعرف الاوقات التي تحمد في الامطار ، وعن طريقه يتحرك الى هذا الوطن او ذاك في اثناء نضوب المياه وقلة الكلأ ليبحث له عن موطن آخر مخصب يعينه على رعي ماله وما يملك من نَعَم ، ومن نظرة واحدة الى السماء يعرف سنيّ الجدب والقحط ، وما الى ذلك من الحالات اليومية التي يتعايش معها ليلا ونهارا ، وهو صاحب إبل وغنم وغير ذلك ، مما يحتاج الى رعي وماء ، فليس غريبا عليه ان يتعلق بالنوء هذا التعلق حفاظا على نفسه وماله وولده وأهله ، ولذلك ظهرت في الادب العربي طائفة من الاخبار تتحدث عن الروّاد والمنتجعات ، وضُربت لها الامثال كقولهم : إنّ الرّائدَ لا يَكْذِبُ أهْلَهُ ، لانه اذا كذب هلك وهلكوا معه ، وكقولهم : مَن أجْدَبَ انتَجَعَ .

واذا رجعنا الى اخبارهم واشعارهم وما اورده نَقَلَةُ الاخبار عنهم وقفنا على كمٍّ كبير من الاخبار والاشعار والنقولات التي تتحدث عن النوء ، وقد لا اغالي اذا قلت : إنّ أيّ ديوان من دواوين الشعراء لا يخلو من ذكر

للنوء وما يتعلق به من حر وبرد ورياح وسحاب وامطار وحركات كواكب ونجوم وما الى ذلك مما يتعلق بالسماء ، والسماء هي تقويم العرب الذي لا تختلف فيه الايام ولا الشهور ولا السنون .

ومن جانب آخر فإنّ العرب ينظرون الى حركات الكواكب والنجوم نظرة وظيفية ، وقد جاءت نصوص القرآن الكريم على وفق هذا السياق ايضا ، اذ قد جعل لحركات الكواكب والنجوم ثلاث وظائف ، الاولى زينة ، وذلك قوله عزّ وجل : « إنّا زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بزينةِ الكَواكِبِ »[1] وقوله تعالى : « ولَقَدْ زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنْيا بمَصابيحَ »[2] والثانية علامات هداية يهتدي بها الناس في البر والبحر ، وذلك قوله سبحانه : « هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بها في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ »[3] ، وقوله تبارك وتعالى : « وعَلاماتٍ وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ »[4] ، والثالثة رمي مسترق السمع ، في قوله تعالى : « إلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فأتْبَعَهُ شهابٌ مُبينٌ »[5] ، وقوله تعالى : « فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآن يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً »[6] ، وروي عن قتادة : خلق الله النجوم لثلاث ، زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يُهتَدى بها ، فمن تأوّل فيها غير ذلك فقد تكلّف مالا عِلْمَ له به .[7]

---

(١) الآية/٦ سورة الصافات .

(٢) الآية/٥ سورة الملك . ولقد وردت لفظة زينة بهذا المعنى في القرآن الكريم خمسة مرات .

(٣) الآية/٩٧ سورة الأنعام .

(٤) الآية/١٦ سورة النحل .

(٥) الآية/١٨ سورة الحجر .

(٦) الآية/٩ سورة الجن .

(٧) تفسير النسفي ٤/٢٧٤ .

إنّ المسألة العلمية والفيزياوية لحركات الكواكب والنجوم ، او ما اكتشف منها او ما قالوه عنها وعن ابعادها واحجامها وغير ذلك في المعاصرة هي مسألة لم يهتم لها العربي في ذلك العصر[8] مع اننا لا ينبغي ان نلغي معرفته الدقيقة بمواقعها ومسمياتها وحركاتها واوقات طلوعها وغروبها وسقوطها ، وما ينتج عن هذا السقوط والطلوع من تأثير على حياتهم اليومية على الارض ، فعلى سبيل المثال نورد قول العرب : ما طلعت الثريا ولا ناءت إلاّ بعاهة في الناس والابل ، وغَرَبُها أعْيَهُ من شرقها ، وقول طبيب العرب : اضمَنوا لي ما بين سقوط الثريا وطلوعها اضمن لكم سائر السنة ، وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : إذَا طَلَعَ النجم ، لم يَبْقَ في الارض من العاهة شيء إلاّ رُفع » .[9] يريد عاهة الثمار ، وعلى وفق ما سنبسط فيه القول عند حديثنا عن السجع النوئي .

معنى النوء في اللغة والمصطلح :

لقد جعل اللغويون والانوائيون ومن كتب في هذا الضرب من العلوم معنيين للنوء ، احدهما لغوي والاخر اصطلاحي ، وان لم يصرحوا بذلك ـ اعني قولهم لغة واصطلاحا ـ ففي مادة / نوء من المعجمات العربية نقرأ : نَاءَ الرَّجُل بحمِله يَنُوءُ نَوْءاً وتَنْواءً ، اذا نهض به بجهد ومشقة ، او اثقل فسقط ، فهو من الاضداد ،[10] ونقرأ في التنزيل العزيز : « إنّ قَارُون كانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهم وآتَيْناه مِنَ الكُنُوز

(٨) الكلام هاهنا يختص بعصر ما قبل الاسلام والى نهاية عصر الاستشهاد حصراً .

(٩) ينظر : الانواء في مواسم العرب /٣٤ـ٣٥ .

(١٠) الاضداد في اللغة /١٤٤ ، ولسان العرب / نوء ١/١٦٩ .

مَا إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولي القُوَّةِ » ،[11] وفي الشعر قول حسان بن ثابت :[12]

وَقَامَتْ تُرَائِيكَ مُغْدَودِنَاً إذا مَا تَنُوءُ بِهِ آدَهَا

وقول ذي الرُّمَّة :[13]

تَنُوءُ بأُخْرَاهَا فَلأْياً قِيَامُها وتَمْشي الهُوَيْنَى عَنْ قَرِيب فَتَبْهَرُ

والشواهد على هذا المعنى كثيرة •

وفي المصطلح : سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر ، وطلوع رقيبه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق في كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما ، وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ، ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما ، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة ، وإنما سُمِّي نَوْءاً لانه إذا سقط الغارب ناء الطالع •[14] ونوؤه ان يطلع بثقل وبطء ، وهذا التعريف يختص بمنازل القمر حسب •

والسقوط[15] نوعان ، سقوط يختص بمنازل القمر ، وهو الذي يسمونه السقوط الذي له النوء ، ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة ، ينزل القمر كل يوم في منزلة منها ، ثم يغادرها الى المنزلة التي تليها في اليوم التالي له ،

---

(١١) الآية /٧٦ سورة القصص .

(١٢) ديوانه /٨٤ ، يصف شعر فتاة ، والمغدودن ، الشعر الكثيف ، وتنوء به ؛ تنهض به ، وآدها ؛ أثقلها .

(١٣) ديوانه ٢/٦٢٤ . يصف في البيت عجيزة امراة ، وانها تثقلها الى الارض لفخامتها .

(١٤) الانواء في مواسم العرب / ١٠–١١ ، والانواء والازمنة ومعرفة اعيان الكواكب في النجوم /٢٩–٣٠ ، والازمنة والامكنة ١/١٨٠ .

(١٥) السقوط هنا لا يعني التحطم والتلاشي ، وانما هو مصطلح نوئي يعني الاختفاء ، واختفاؤه على ما ارى كونه تحت الارض ، ويظهر ذلك واضحاً في الشمس والقمر اثناء الطلوع والغروب .

وهي على وفق تسلسلها الشَّرَطَان ، البُطَيْن ، الثُّرَيّا ، الدَّبَران ، الهَقْعَة ، الهَنْعَة ، الذِّرَاع ، النَّثْرَة ، الطَّرْف ، الجَبْهَة ، الزُّبْرَة ، الصَّرْفَة ، العَوَّاء ، السماك ، وهذه هي المنازل الغربية التي تسميها العرب الشامية ، وهم يبدأون بها ، ثم رقائبها وهي الغَفْر ، الزّباني ، الإكليل ، القلب ، الشَّوْلَة ، النَّعَائم ، البَلْدَة ، سعد الذابح ، سَعْدُ بَلَع ، سعد السّعود ، سعد الاخبية ، الفرغ المقدّم ، الفَرغ المُؤَخَّر ، البطن • ورقيب كل منزلة من المنازل هي المنزلة الخامسة عشرة من تسلسل المنازل التي ذكرناها ، فرقيب الشَّرَطَين مثلا هو الغَفْر ، فاذا سقط الشَّرَطان طلع ، وكذلك العكس اذا سقط الغفر طلع الشرطان ، وهذا هو دأب المنازل كلها ، وهذه الرقائب يسميها العرب المنازل اليمانية • وعلى وفق هذا فأن اربع عشرة منزلة منها ساقطة واربع عشرة منزلة منها طالعة ، ولذلك يقول الانوائيون العرب : انت لا ترى من السماء إلاّ نصفها •[16]

وهذه المنازل الثماني والعشرون تتوزع على اثني عشر برجا ، فتكون حصة البرج الواحد منها منزلتين وثلث المنزلة ، وتسلسلها هو الحَمَل ، الثور ، الجوزاء ، السَّرَطان ، الاسد ، العذراء ، وهي التي يسمونها البروج الشامية (الغربية) ، ثم البروج اليمانية (الشرقية) وهي الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدي ، الدلو ، الحوت •[17] ولكل برج من البروج الشامية رقيب من البروج اليمانية ، وعادة يكون السابع من تسلسل البروج ، فرقيب الحمل الميزان ، فاذا سقط الحمل طلع الميزان ، وكذلك العكس ، وهذا يعني ان الطالع من البروج ستة ، والساقط ستة •

---

(١٦) ينظر : الانواء والازمنة /٢٧ .

(١٧) لبعض هذه البروج تسميات اخرى ، فيسمون الحملَ الكبش ، والجوزاء التوامين والجبار ، والعذراء السنبلة ، والعقرب الصورة ، والقوس الرامي ، والحوت السمكة والرشاء .

ومن خلال هذه المنازل والبروج في حالتي طلوعها وسقوطها تتحدد الازمنة عند العرب ، وهي الفصول ، فلكل ثلاثة بروج فصل ، وهي سبعة منازل ، البروج للشمس ، والمنازل للقمر ، وذكر العرب للمنازل اكثر ، واهتمامهم بها أزيد ، فهم يقولون : لابد لسقوط منزلة او طلوعها من ان يكون معها حر او برد ، او رياح او سحاب او مطر ، وهذا هو السقوط الذي له النوء .

والنوع الآخر من السقوط يطلق عليه اهل الانواء سقوط الافول ، وهذا السقوط ليس لمنازل القمر ، وإنّما لغيرها من الكواكب والنجوم ، ويكون عادة في اول الليل ، ويسمى ايضا سقوط الاستسرار ، اذ ان النجم الساقط بالغداة في افق المغرب يُرى في اليوم التالي متأخر السقوط عن الوقت الذي سقط فيه قبل يوم ، ولايزال يتأخر سقوطه في الليل الى ان يسقط في اول الليل في المغرب ، ثم يستسرّ فلا يُرى تسعا وثلاثين ليلة ، ثم يُرى بالغداة طالعا بالمشرق خَفيّاً ،[18] وسقوط الافول او الاستسرار هذا لا نوء له ، وإنما النوء يكون لسقوط منازل القمر وطلوعها ، ولذلك وضعوا الاسجاع التي نحن بصدد الحديث عنها على تسميات المنازل أو ما يرتبط طلوعه بطلوعها.

إنّ حلول الشمس ببرج الحَمَل هو اول كل سنة من سِنِيّ العرب ، والفصل الذي تحل فيه الشمس ببرج الحمل يسميه العرب فصل الربيع ، وهم يبدأون به ، وبرج الحمل يأخذ من المنازل الشَرَطين والبطين وثلث الثريا[19] وذلك اعتدال الزمان عندهم واستواء الليل والنهار ، لان حلول الشمس بالحمل يكون في العشرين من آذار من كل سنة ، وفي هذا المعنى يقول ابو نواس :[20]

---

(١٨) الانواء في مواسم العرب /١٦ ، والانواء والازمنة /٣٣ .

(١٩) يقول ابن منظور : وهذه المنازل والبروج قد انتقلت ، والحَمَلْ في عصرنا هذا اوله من اثناء الفَرع المؤخر . لسان العرب/حمل ١٩٢/١٣ .

(٢٠) ديوانه /٦٣ .

أَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ حَلَّتِ الحَمَلا   وقَامَ وَزْنُ الزَّمَانِ واعتَدَلا
وغَنَّتِ الطَيرُ بَعْدَ عُجْمَتِها   واستَوفَتِ الخَمْرُ حَوْلَها كَمَلا

والذي تجدر الاشارة اليه ان السَّجْع النوئي وضع للمنازل ، ولم يوضع للبروج ، وقد يكون ذلك لان النوء يكون للمنازل ، وليس للبروج يؤيد ذلك مقولات العرب التي ذكرنا بعضها قبل ، وما سنذكره من سجع في اثناء البحث .

وقبل البدء بالحديث عن السجع لابد ان اشير الى مسألة اراها مهمة جدا ، وقد كثر الكلام فيها في حياتنا المعاصرة ، واتخذت ابعادا شتى وقال فيها المتقولون وذهبوا بها كل مذهب ، ويمكن ان نضعها ضمن سؤال يقول : هل للكواكب والنجوم تأثير على الارض ، وعلى حياتنا بصورة عامة ؟

وللجواب عن هذا السؤال لابد من رجعة الى الوراء ، والى عصر ما قبل الاسلام وما بعده الى نهاية العصر الاموي ، فانني ومن خلال بحثي عن هذه المسألة عند نقلة الاخبار ، ومَنْ كَتَبَ في الانواء ، والمعجمات العربية لم اجد ذكر لهذه المسألة او ما يتعلق بها من تأثير على الارض وعلى حياة الانسان بأي شكل من الاشكال ، وإنما هنالك شيء آخر ، وهو تعلق العربي بالانواء واعتقاده بان طلوع الكوكب وسقوطه مجلبة للامطار التي هي اعتماد حياتهم ، فكانوا يقولون : مطرنا بنوء الكوكب لكواكب معلومة كالثريا والجبهة والفرغين وغير ذلك ، حتى قالوا : لولا نوء الجبهة ما كان للعرب إبل .

إنّ مبدأ التسخير لم يكن حالة من الحالات الماثلة امام العربي وغيره من غير العرب ، وكان الاعتقاد سائدا بأن الكواكب والنجوم هي التي تأتي بالامطار والرياح والسحاب والحر والبر والجدبة والقحط ، ولم يكونوا ليعرفوا بأن كل ما في السماء والارض مسخر حتى نزل القرآن الكريم ليعرف الانسان في خمس وعشرين آية بأن الكواكب والنجوم لا فعل لها ، وإنما

الفعل لله سبحانه وتعالى ، وهو وحده الذي سخر هذا الكون بما فيه من شمس وقمر وكواكب ونجوم لخدمة هذا الانسان ، وليس لها من الامر شيء ، والامر والفعل كله لله تعالى ، وجاء قوله تعالى بعد تقديم الشيء من فعله سبحانه : « أَفَبِهَذَا الحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ »[٢١] فسميت هذه الآية بآية الانواء ، أي تجعلون بدل الشكر على ما انعمت عليكم من نعمة المطر ان تنسبوا الافعال الى الكواكب ! وجاءت احاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم لتنفي نسبة الفعل الى الكوكب وان الله سبحانه وتعالى وحده الذي ينزل الغيث ، وانه ليس هناك ثمّ فعل للكوكب ، فقد نقل اصحاب الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلّى صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء (أي مطر) كانت من الليل ، فلما انصرف اقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربّكم ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم ، قال : قال الله : اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب ، واما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب » .[٢٢] وقال مرة : « لو ان الله حبس القطر عن الناس سبع سنين ثم ارسله ، اصبحت به طائفة كافرين ، يقولون : مُطِرنا بنوء المجدح » .[٢٣] والحديث عنها يطول جدا ، وصفوة القول فيها هو الآتي :

إن للكواكب والنجوم مواقع ، ولها طلوع وغروب ، وان طلوعها وغروبها مرتبط بزمن ، وهذا الزمن هو الذي يحدد طلوع الكوكب وغروبه ، وقد تحدثنا قبل عن نوعين من السقوط ، هما السقوط الذي له النوء ، وسقوط

---

(٢١) الآيتان /٨١و٨٢ سورة الواقعة .

(٢٢) صحيح البخاري ١٥٦/١٠ ، وصحيح مسلم ٨٣/١ ، وسنن ابي داؤد ، كتاب الطب ، باب في النجوم ٣٢/٢٧ .

(٢٣) مسند احمد بن حنبل ٧/٣ .

الافول او الاستسرار ، وان لهج العرب بنوء الثريا او الجبهة او الفرغين او غير ذلك إنما هو ارتباط بزمن تطلع فيه هذه الكواكب او تسقط ، وفي حالة طلوعها او سقوطها مجلبة للمطر ، ولذلك اختلف الانوائيون العرب في ذي النوء ، فقال جماعة النوء للطالع ، وقال آخرون : النوء للساقط وكل منهم اورد شواهد من اشعار العرب يعزز به ما ذهب اليه ، وليس هناك اي تأثير لهذا الكوكب او ذاك على الارض ، بقدر ما هو عَلَم" لزمن ، فالشمس تحل بالبرج في وقت معلوم لا تحيد عنه ، والقمر يحل بالمنزلة في وقت معلوم لا يحيد عنه ، وذلك تقدير العزيز العليم ، وان التسخير قانون ثابت من قوانين السماء ، وان الله سبحانه وتعالى هو المسخِّر ، وهو العالم بما خلق ، وأن فيزياء الفلك المعاصرة اقرت وسلمت بمبدأ التسخير حديثا . وان السجع النوئي الذي سنتحدث عنه سيوضح لنا هذا الزمن الذي ارتبط به طلوع الكوكب .

ذكرنا سابقا ان حلول الشمس ببرج الحمل يعني انقضاء سنة للعالم ، وبداية سنة جديدة ، وان للحمل منزلتين وثلثا من منازل القمر ، هي الشَّرَطان ، والبُطَين وثلث الثريا ، ولذلك فأن السجع النوئي ابتدأ بالشَّرَطَين ، لانه اول منزلة تحل فيها الشمس في اول كل سنة ، وان تحل الشمس ببرج الحمل في العشرين من آذار من كل سنة ، وعندئذ فان المنزلة التي حلت بها الشمس من برج الحمل هي الشَّرَطان ، إلاّ أن الشرطين لا يطلع إلا بعد ستة وعشرين يوما من حلولها به ، وذلك لان الشمس اذا حلت في منزلة من المنازل سترتها وسترت ما قبلها ، وعليه فان الشَّرَطين يطلع في السادس عشر من نيسان عند حلول الشمس في الثريا ، والشَّرَطان هما قَرْنا الحمل ، ويسميان النطح ، كوكبان احدهما في ناحية الشمال ، والاخر في ناحية الجنوب ، اذا صارا في كبد السماء اقتربا فكانا في رأي العين

قاب قوس او قدر ذراع ، والى جانب الشمالي كوكب صغير يعدّ معهما احيانا فيقال الاشراط ، وموقعهما بين الحوت والثريا .[٢٤]

والشَّرَط في اللغة العلامة ، وحلول الشمس بالشرطين في العشرين من آذار علامة لاستواء الليل والنهار ليوم واحد وليلة واحدة ، ثم يأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان ، الى الثاني والعشرين من حزيران ، وفي هذا الوقت يعتدل الزمان ايضا ، ولذلك يقول ساجع العرب :

● إذا طَلَعَ الشَّرَطَان ، استَوَى الزَّمَان ، وحَضِرَتِ الاوْطَان ، وتَهَادَت الجِيرَان ، وَبَاتَ الفَقِيرُ بِكُلِّ مَكَان .[٢٥]

إنّ للعرب نظاما يندرجون تحته ، يطلق عليه نظام التَّبَدّي ، وذلك انهم يتركون محاضرهم ويخرجون الى البوادي طلبا للكلأ والماء ، وهذا النظام له وقت معلوم يبدأ بطلوع سهيل ، وطلوع سهيل بالحجاز في الرابع عشر من آب ، وطلوعه بالعراق في السادس والعشرين من آب ، في هذا الوقت يبدأ اول الخارجين من المحاضر الى البوادي ، ثم يتابع الناس الخروج الى سقوط الفَرْغ المؤخر ، وسقوطه في الثاني والعشرين من ايلول وفي هذا التبدي في هذا الوقت يقول ذو الرُّمَّة :[٢٦]

إذَا عَارَضَ الشِّعرى سُهَيْلٌ بِجَهْمَةٍ
وجَوْزَاءَها استَغْنَيْنَ عَنْ كُلِّ مَنْهَلِ

---

(٢٤) ينظر : الانواء في مواسم العرب/٢١ ، والانواء والازمنة /٨٠ .

(٢٥) للسجع ينظر : الانواء في مواسم العرب /٢٢ ، والمخصص ١٦/٩ ، والازمنة والامكنة ١٨٤/٢ ، وعجائب المخلوقات /٤٢ ، وقد اختلفت رواية السجع في هذه المصادر بزيادة ونقصان بعض الشيء .

(٢٦) ديوانه ١٤٨٥/٣ .

يريد اذا رئي سُهَيْل ببقية من آخر الليل ، فقد استغنت الابل عن المناهل ، وهي المياه التي كانوا عليها .[27] وقول الطفيل الغنوي :[28]

عَلَى إثْرِ حَيٍّ لا يَرَى النَّجْمَ طَالِعاً
مِنَ اللَّيْلِ إلاَّ وهْوَ قَفْرٌ مَنَازِلُه

يقول : إن من تبدى في هذا الوقت لم يرَ الثريا من اول الليل الا وهي نازل بالقفر ، وقد ترك محضره وتبدّى .

ينتهي هذا التبدّي في منتصف تشرين الاول ، وتكون المدة التي قضوها خارج محاضرهم ثلاثة أزمنة : هي الخريف والشتاء والربيع ، وهي تسعة اشهر لمن تقدم في الخروج وتأخر في الحضور ، فيعودون الى محاضرهم ومياههم عند طلوع الشَّرَطين في السادس عشر من نيسان ، ثم يتابعون العودة ، فتكون عودة آخر الناس عند طلوع الهقعة في التاسع من حزيران ، وفي ذلك يقول ذو الرُّمَّة :[29]

حَتَّى اذا ما استَقَلَّ النَّجْمُ في غَلَسٍ
وأُحْصِدَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ ومَحْصُودُ
ظَلَلْتُ تَخْفُقُ أحْشَائي على كَبِدي
كأنَّني مِنْ حِذَارِ البَيْنِ مَوْرُودُ

فذو الرمة فارق من جاورهم في البادية لرجوعهم الى محاضرهم ، فصار كالمورود وهو المحموم لفرط الوجد والحزن .

---

(٢٧) الانواء في مواسم العرب /١٠١ .
(٢٨) ديوان الطفيل الغنوي /٨٣ .
(٢٩) ديوانه ١٣٦٦/٢ .

هذا هو نظام التبدّي ، وهو قول الساجع في الشَّرَطين وحَضَرَت الاوطان •

إنّ الفترة التي قضاها المبتدون في البوادي ثلاثة ازمنة على ما ذكرنا . وهي تسعة اشهر ، وهذه الفترة الزمنية طويلة ، تأخذ ثلاثة ارباع السنة ، فالاشتياق ولوعة الفراق الى الوطن الاصلي ولقاء الاحبة تكون حالة ماثلة امامهم وهم في النجعة ، والنجعة ليست ارضا معلومة محددة ينتقلون اليها جميعا ، وإنما يحددها لهم الرواد ، فكل يذهب الى جهة ، ولا يلتقون الا عند العودة الى محاضرهم ، وعندئذ يتهادون فيما بينهم •

ثمّ البُطَين ، وهي المنزلة الثانية من منازل القمر ، والبُطَيْنُ مُصَغَّر بطن ، وهو بطن الحَمَل ، ويطلع بعد طلوع الشرطين بثلاثة عشر يوما ، في التاسع والعشرين من نيسان ، وفي طلوعه تكون الارض قد اخضرت بالعشب وازّيّنت ، وان الناس قد عادوا الى مواطنهم واستقروا فيها وتلاقوا وتهادوا ، وقضى كل فرد منهم ما عليه من حقوق للاخرين ، ولما كانت الارض في هذا الوقت قد تزينت بالعشب والخضرة ، فهم في خصب من العيش ، وهم بحاجة الى ما نفد عندهم من الطيب ، والطيب عند العطار ، فهم يُبرونه ويبتاعون منه الطّيب ، وكذلك الى القَيْن وهو الصانع الذي يُصلِحُ لهم ما رَثّ من آلاتهم وامتعتهم ، وذلك قول الساجع :

● إذا طَلَعَ البُطَين ، اقتُضِيَ الدَّيْن ، وظَهَرَ الزَّيْن ، واقتُفِيَ بالعَطّارِ والقَيْن •[٣٠]

ثم الثريا ، المنزلة الثالثة من منازل القمر ، وهي أليَةُ الحمل ، من اشهر المنازل عند العرب ، وذكرهم لها اكثر من ذكرهم لاية منزلة اخرى ، ولهجهم

---

(٣٠) ينظر : الانواء في مواسم العرب / ٢٥ ، والمخصص ٧١/٩ ، والانواء والازمنة / ٨١ ، والازمنة والامكنة ١٨٤/٢ ، وعجائب المخلوقات / ٤٣ .

بها يفوق كل منزلة ، فهم يطلقون عليها النجم ، ولفظة النجم حيثما وردت في كلام العرب واشعارهم مفردة معرّفة بأل غير مضافة فانها تعني الثريا حصرا ، وهو ما عليه المفسرون ايضا في تفسير لفظة النجم من القرآن العظيم ، ففي قوله تعالى : « والنّجْمِ إذا هَوَى » قالوا : الثريا ، وقوله تعالى : « وعَلامَاتٍ وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ » قالوا : الثريا ، ولذلك قُرِئت وبالنُّجُمِ بصيغة الجمع ، لان الاهتداء يكون بالثريا وغيرها .[٣١] وإن كان النجم اسم جنس يشتمل على الثريا وغيرها .

ونَوْء الثريا نوء غزير محمود ذو مطر ، وقَلّ ما يُخْلِف ، فان اخلف فانهم لا يرجون خِصبا ، ولا يطمعون بما بعدها من نوء المنازل إلاّ بالجبهة ، على ما سنبينه لاحقا .

تطلع الثريا في الثالث عشر من أيار ، وتسقط في الثالث عشر من تشرين الثاني ، فهي تأخذ فصل الصيف كله وطلوعها يكون في استقباله ، ولذلك قال الساجع في هذا الوقت :

- طَلَعَ النَّجْمُ غُدَيّة ، ابتغى الرّاعِي شُكَيَّه

فالنجم ، هو الثريا ، وغُدَية ، تصغير غداة وهو الفجر ، وشُكَيَّة تصغير شكوة وهي القربة الصغيرة ، فالراعي في هذا الوقت لا يستغني عن الماء لشدة الحر بعد ان كان مستغنيا عنه قبل طلوع الثريا .

وهنا يأتي حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : « إذا طَلَعَ النَّجْمُ لَمْ يَبْقَ في الارضِ مِنَ العَاهَةِ شيءٌ إلاَّ رُفِعَ » ، وقد فسره ابن قتيبة بعاهة الثمار ، لان الثريا تطلع بالحجاز ، وقد أُزهِيَ البُسْرُ ،

---

(٣١) ينظر : تفسير النسفي ٢/٢٨٣ ، وتفسير البيضاوي ٢/٥٤٠ ، وهكذا هو في بقية التفاسير قبلهما وبعدهما .

وأمِنَت عليه العاهة ، وحلَّ يَنْعُ النَّخْل ،[٣٢] وفي طلوعها في شدة الحر ايضا يقول طبيب العرب :

● إذا طَلَعَ النَّجْم ، اتَّقِيَ اللَّحْم ، وخِيفَ السَّقْم ، وجَرَى السرابُ على الاكْم .[٣٣]

فاللحم يفسد اذا لم يحفظ في مكان بارد ، والوقت وقت حر ، ولذلك فان اكله وهو فاسد مجلبة للسقم ، يقول ابن قتيبة : أمَرَهُم بالحِمْيَة ، واخبرهم ان السراب يجري عند طلوعها ، ولا يجري قبل ذلك .[٣٤]

والزمن الاخر الذي تحتزه الثريا الخريف والى قبيل انتهاء الشتاء ، ففي شدة البرد تتوسط الثريا السماء مع غروب الشمس ، فتصير حِذاء رأس القائم ، ولذلك يقولون : أفْغَرَ النجمُ ، لان مَن نظر اليه فَغَرَ فاه ، اي فتحه ، وعادة المرء اذا نظر الى ما فوق رأسه ان يفتح فاه ، وعن هذا الوقت يقول الساجع :

● إذا رأيت الثُّرَيا قِمَّ الرَّأس ، ففي الاثار فاخنِس ، وعُظْمَاهُنَّ فاحدِس ، وإذا سُئِلتَ فاعِبْس ، ثم اعبِس .[٣٥]

فهذا الساجع قد امر الرجل بالعبوس لمن سأله شيئا ، إبقاءً على نفسه من كَلَب الزَّمان وشِدَّته وقوله : وعُظماهُنّ فاحدس ، يريد عُظمى الابل انحرها ، واحتفظ بلحمها .

---

(٣٢) الانواء في مواسم العرب /٣٥ ، ولسان العرب / نجم ٤٧/١٦ .

(٣٣) الانواء في مواسم العرب/٣٥ ، والمخصص ١٥/٩ ، والازمنة والامكنة ١٨٠/٢ .

(٣٤) الانواء في مواسم العرب /٣٥ .

(٣٥) الانواء في مواسم العرب /٣١ ، المخصص ١٥/٩ ، والانواء والازمنة/٨٥، وقد نسب السجع فيه للقمان بن عاد .

وفي هذا الوقت ايضا ورد قول الساجع : طَلَعَ النَّجْمُ عِشَاءً ، ابتغى الراعي كِساءً .[٣٦] لان الراعي في هذا الوقت بحاجة الى ان يحمي نفسه من البرد . وفي هذا المعنى ورد قول الاعشى :[٣٧]

تَبِيتُونَ في المَشْتَى مِلاءً بُطُونُكُم
وَجَارَاتُكُم غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا

يُراقِبْنَ مِن جُوعٍ خِلاَءَ مَخَافَةٍ
نُجُومَ الثُّرَيا الطَّالِعَاتِ الشَّوَاخِصَا

يريد أنهنّ يعلمن أن الضيق وظلف العيش دائم ما دامت الثّريا طالعة عِشاءً ، فهن يراقبنها ويقدرن لها وينتظرن لين الزمان .[٣٨]

وثمة حالة اخرى من احوال الثريا تتعلق بموقعها من السماء في اول الليل ، فهي إما ان تكون في الربع الشرقي من السماء زائغة عن الوسط ، فان ذلك الوقت وقت لاستقبال البرد والتهيؤ له ، وفي ذلك يقول الساجع :

● إذا أمسى النَّجْمُ بِقَبَل فَشَهْرُ فَتي وشَهْرُ جَمَل ،[٣٩] اي اذا رأيت الثريا اول الليل في الربع الشرقي من السماء ، كان ذلك وقت اعتلام الفتيان وهيجان الابل ، وفسر ابو زياد الكلابي السجع بقوله : احتَدَمَ الفتى حين جاء الشتاء للسفر والعمل والغزو والزواج ، فأراد ان وقت ظهور الثريا قَبَلا في اول الليل وقت لعزمه وحزمه في الاستعداد ، او لما يحتاج اليه لمشتاه .[٤٠] وايضا قول الساجع :

---

(٣٦) الانواء في مواسم العرب /٣١ ، والانواء والازمنة /٨٥ ، والازمنة والامكنة ١٨٠/٢ .
(٣٧) ديوانه /١٤٩ .
(٣٨) الانواء في مواسم العرب /٣١ .
(٣٩) الانواء والازمنة/٨٦ ، والازمنة والامكنة ١٨٠/٢ .
(٤٠) الانواء والازمنة/٨٦ .

● إذا أمسَى النجمُ بِدَبَر ، فَشَهْرُ تناجٍ ومَطَر ، اي اذا رأيتها اول الليل في الربع الغربي من السماء مدبرة للغروب ، فذلك وقت نتاج الغنم ووقت للمطر ، وايضا ● إذا أمسى النجم قِمَّ رأس ، فَلَيْلَةُ فتى ولَيلة فأس ، لان الفتى يحتطب في هذا الوقت ، ولابد له من صِلاء يحميه من البرد.

وقد يشار هنا الى ان الثريا مجموعة من الكواكب لها موقع في السماء ، ووقت طلوع وسقوط واستسرار كبقية الكواكب والنجوم ، وانه لا تأثير لها على الارض من حيث كونها كواكب ، وإنما طلوعها وغروبها واستسرارها ارتبط بزمن ، فبداية طلوعها صيف ، وسقوطها واستسرارها شتاء ، وان لهج العرب بذكرها بهذه الكثرة الكاثرة نتيجة لهذه الازمنة التي تطلع فيها ، ولو كان غير الثريا في موقعها وزمنها لَلَهَجُو به وذكروه ، وقد نقل المرزوقي عن ابي حنيفة الدينوري قوله : وجدتهم بدأوا بالثريا ، وإن كان الشَّرَطان قبلها في نسق المنازل ، ولم اجد العلة في ذلك إلاّ تَعَطّل الانواء ، وانصرام الرُّطَب ، وهجوم الحر ، وقوة البوارح ، فجعلوا الشُّغل بما هم فيه ، وطلوع الثريا هو إمارة قوة الحر عند الجميع لا اختلاف فيه .[41]

والدَّبَران ، بعد الثريا ، ولهذا يسمونه حادي النجم ، وتالي النجم ، وتابع النجم ، إلاّ انه من المنازل التي تذكر بالنحوسة عند العرب ، وبهذه الصفة ذكره الشعراء ، لانه لا نوء له ، قال احد الشعراء يذكر عبيد بن الابرص حين تَعَرَّض للملك النعمان بن المنذر في يوم بؤسه يريد حَيَاهُ فقتله :[42]

غَـدَاةَ تَوَخَّـى المَلْكَ يَلْتَمِسُ الحَيَا

فَصَـادَفَ نَحْسَـاً كَـان كالدَّبَـرانِ

---

(٤١) الازمنة والامكنة ٢/١٨٠ .

(٤٢) الانواء في مواسم العرب/٤٣ .

وقول الاسود بن يعفر :[43]

وُلِدْتُ بِحَادِي النَّجْمِ يَتْلُو قَرِينَهُ
وبالقَلْبِ قَلْبِ العَقْرَبِ المُتَوَقِّدِ

يطلع الدَّبَران في السادس والعشرين من أيار ، في قُبُل الحر ، وهو زمن تبدأ فيه الغدران بالجفاف ، ويتوقَّدُ حَرُّ الارض ،[44] ويسقط في السادس والعشرين من تشرين الثاني في شدة البرد ، ونوؤه ثلاث ليال ، وقيل ليلة ، وهو نوء غير محمود ولا مذكور ، لنوء البُطين ، ولذلك نُقِل عن العرب : ما نَاءَ البُطين والدَّبَران او احدهما وكان لنوئه مطر إلاّ كاد أن يكون ذلك العام جديبا ، لانه يذهب بنوء الثريا ، وهو نوء غزير محمود على ما ذكرناه قبل . يقول الساجع :[45]

● إذا طَلَعَ الدَّبَرَان ، تَوَقَّدَتِ الحِزَّان ، وكَرِهَتِ النِّيرَان ، واسْتَنعَرَت الذِّبَّان ، ويَبِسَت الغُدْران ، ورَمَت بأنفُسِها حيث شاءت الصِّبْيَان . إن هذا الوقت نَكدٌ عليهم ، وقد جاء في امثالهم : أنْكَدُ مِن تَالِي النَّجْم .[46] فهو زمن تضطرب فيه حياتهم ، لقلة الخصب وشحته ، وقلة المياه ، ونضوب الغُدران ، كما ان شدة لَفْح الحرّ تلقي عليهم حالة من التعب وعدم الارتياح وهيجان النفس ، وحالة الاضطراب هذه تجعل الصبيان يرمون بأنفسهم في اي مكان اذ لا برد ولا مطر يمنعهم من الخروج ، ولا تقف حالة الاضطراب هذه عند الانسان ، وإنما تنسحب على

(43) ديوانه / 34 ، وقوله في البيت حادي النجم ، هو من أسماء الدبران ، وقلب العقرب رقيبة ، وكلاهما منزل نحس .
(44) وهذا التوقد يطلق عليه الوغرة الثانية ، وهي وغرة الدبران ، وقبلها كانت وغرة الثريا .
(45) للسجع ينظر : الانواء في مواسم العرب / 43 ، والمخصص 15/9 ، والازمنة والامكنة 181/2 .
(46) مجمع الامثال 254/2 .

الحيوانات والحشرات ايضا ، ولذلك فان السجع في الدبران قد اخذ امتدادا من الكلام اكثر من غيره من المنازل •

ثمَّ الهَقْعَةَ بعد الدَّبَران ، وتطلع في التاسع من حزيران ، وفي طلوعها يعود الى محضره آخر المتبدّين ، على وفق ما ذكرناه في سياق حديثنا عن نظام التبدّي من قبل ، ولذلك جاءت السجعة فيها مُعَرِّفَة بهذه العودة ليس غير ، إذ قال الساجع :[٤٧]

● إذا طَلَعَت الهَقْعَه ، تَقَوَّضَ الناسُ للقَلْعَه ، ورَجَعُوا عن النُّجْعَه وأردَفَتْها الهَنْعَه •

والهَقْعَة ؛ رأس الجوزاء ، البرج المعروف ، وقول الساجع : واردفتها الهَنْعَة ، لان الهقعة والهنعة من الجوزاء ، والهنعة ؛ قوس الجوزاء ، ولذلك فان الساجع لم يضع سجعة للهنعة ، وانما وضعها للجوزاء •

والهَقْعَةُ ؛ الدائرة تكون بجنب بعض الدواب ، فيقال : فرس مهقوع اذا كانت فيه هذه الدائرة • وطلوعها في حِمَارَّة الصيف ، وهي آخر طوالعه ، وتسقط في التاسع من كانون الاول •

ثمَّ الهَنْعَةُ ، بعد الهَقْعَة ، وهي مُرْدِفَتُها ، وهي قوس الجوزاء يرمي به ذراع الاسد ، وتطلع في الثاني والعشرين من حزيران ، وتسقط في الثاني والعشرين من كانون الاول ، وفي بداية طلوعها وقت يشتد فيه وهج الشمس ، وتتوقد من حرها الارض ، وفي هذا يقول الساجع :[٤٨]

● إذا طَلَعَتِ الجوزاء ، توَقَّدت المِعْزاء ، وكَنَسَتِ الظِّبَاء ، وعَرِقَت العِلْبَاء ، وطابَ الخِباء •

---

(٤٧) للسجع ينظر : الانواء في مواسم العرب / ٤٥ ، والمخصص ١٥/٩ ، والازمنة والامكنة ١٨١/٢ ، وعجائب المخلوقات / ٤٥ .

(٤٨) تنظر المصادر السابقة باجزائها وصفحاتها .

وإنّما يعنون بالجوزاء الهقعة والهنعة ، والجَوْزَاء تطلع صباحا في شدة الحر ، فتتوقد الارضين — وهي المعزاء — من قوة الحر ، فتَتَسْتَكِن الظباء في كُنُسِها ، ولا تخرج الا ليلا مع البرد ، او في الصباح ، وعندئذ يسهل عليهم اصطيادها وهي في كُنُسِها ، وفي الحر يتعرق الانسان ، ويظهر هذا التعرق واضحا على العلباوين ، وهما جانبا العنق ، وقد خَصَّهما لانهما مكشوفان ، وقوله طاب الخباء ، لانه يُكِنُّهم ويسترهم من حر الشمس ولَظَاها .

والذِّراع بعد الهَنْعَة ، وهي ذراع الاسد المقبوضة ، لان للاسد ذراعين ، مقبوضة ومبسوطة ، والمقبوضة هي التي ينزل بها القمر ، والمبسوطة ليست من منازله ، كما ان الذراع المقبوضة شاميّة ، والمبسوطة يمانية .

تطلع الذراع في الرابع من تموز ، في شدة الحر ، وتسقط في الرابع من كانون الثاني في شدة البرد ، ونوؤها محمود قلّ ما يخلف ، فاذا لم يكن في السنة مطر لا يُخلف الذراع ولو بِبَغْشَة ، وهي المطرة الخفيفة ، قال ذو الرمّة :(٤٩)

وأردَفَتِ الذِّراعُ لَها بِنَوْءٍ
سَجُومِ المَاءِ فانسَجَلَ انسِجالا

والذراع اول انواء الاسد ، وبطلوعها يطلع الشّعريان ، الغميصاء معه ، والعبور بعده بثلاثة عشر يوما ، والشّعرى الغُمَيصاء ، احدى كواكب الذراع ، وهي مما ينزل بها القمر ، على خلاف العَبُور التي هي ليست من منازله ، إلاّ ان لَهج العرب بها اكثر من لَهجهم بالغميصاء ، وقد وضعوا لها اكثر من سجعة ، وقسموا طلوعها على ثلاثة ازمنة ، ولكل زمان منها حال مخالفة لحال الزمان الاخر ، وكل ذلك منسوب اليها ، فأول ازمنتها زمان

---

(٤٩) ديوانه ٣/١٥٥٢ .

طلوعها بالغداة ، وهو وقت صميم الحر بوغراته ، وبوارحه منسوبة اليهـا . والثاني وقت طلوعها عِشاءً ، وذلك في صميم البرد . واضراره وصبرنـره منسوبة اليها ، والزمان الثالث وقت سقوطها بالغداة ، فغيوثه ودجونه منسوبة اليها ،(٥٠) وبذلك تكون الشعرى قد استغرقت الذراع وغطت عليه ، وإن كنا لا نعدم سجعة قيلـت في الـذراع ووقـت طلوعـه في شـدة الحـر . اذ قال الساجع :(٥١)

● إذا طَلَعَتِ الذِّرَاع ، حَسَرَتِ الشَّمْسُ القِنَاع . وأشْعَلَتْ في الارض الشُّعاع وتَرَقْرَقَ السرابُ بكل قاع •

فالشمس على وفق ما ورد في السجع في اقصى غايات الذكو : واقصـى مبلغ الحر ، وشدة وقع الحر هذا يجعلك تتوهم السراب ماءً •

والذي تجدر الاشارة اليه هنا ان اية منزلة من المنازل بين طلوعهـا وسقوطها ستة اشهر ، فهي تستغرق زمانين ، او تشترك في ثلاثة ازمنة ، ولذلك نجد ان طلوع منزلة من المنازل في زمن الصيف توصف بالنوء المحمود . لان المدة بين الطلوع والسقوط يأخذ من الشتاء ووقت المطر قسطا ، اذ انهـم سمّوا المطر بمسميات الازمنة فقالوا : الوَسمي ، والوَليّ ، والدَّفَـيء للذي ينزل والوقت فيه شيء من حر ، والشَّتَوي ، والرَّمَضِيّ ، والربيع ، والخَرْفِي ، ومطر الصيف • فلا نجد اية غرابة في منزلة تطلع في اول الصيف وتوصف بالنوء المحمود ، لان الفترة التي تستغرقها هذه المنزلة تكـون ذات مطر في اواخرها ، فهذه الذراع ومعها الشعريان ، تطلع في تموز وفي معمعان الحر ، الا انها وصفت بالنوء الغزير المحمود ، وكذلك الثريا ، وغير ذلـك من المنازل التي وصفت بغزارة النوء •

---

(٥٠) الانواء والازمنة / ٩٤ .

(٥١) الانواء في مواسـم العرب / ٥٣ ، والانـواء والازمنـة / ٩٣ ، والازمنـة والامكنة ١٨١/٢ ، وعجائب المخلوقات / ٤٤ .

ولما كانت الشعرى تأخذ ثلاثة أزمنة ، فان الساجع لم يغفلها ، ووضع لكل زمان زمان من ازمنتها سجعة تتلاءم والوقت الذي تطلع فيه ، ففي طلوعها في الحر قال :(٥٢)

● إذا طَلَعَتِ الشعرى ، نَشَفَ الثَّرى ، وأجَنَ الصَّرَى ، وجعل صاحب النخل يرى .

فان اراد الساجع الشعرى العبور او الغميصاء ، فالامر سيان ، لان الشعر يبين كليهما تطلعان في تموز ، وقوله أجَنَ الصَّرى ، اي تغير الماء المجتمع في الغدران والمناقع لشدة الحر ، وانقطاع المرار عنه ، يقال : أجَنَ الماءُ يأجِنُ أجْناً وأُجُوناً ، اذا تغير ، فاذا جاوز الأجون فهو آسن . وقوله : وجعل صاحب النخل يرى ، يعني يتبين صاحب النخل ثمرة نخله ، لانه حينئذ يكبر .(٥٣)

وفي طلوعها سَفَرا في البرد قال الساجع :(٥٤)

● إذا طَلَعَتِ الشِّعرى سَفَرا ، ولَمْ تَرَ مَطَرا ، فلا تَغْذُوَنَ إمَّرة ولا إمَّرا ، وارسِلِ العُراضَاتِ أثرا ، يَبْغِينَك في الارض مَعْمَرا .

فالاسفار يكون لاول الليل ، ويكون للصبح ، وكلاهما لطلوع الشعرى الا ان طلوعها في اول الليل بَرد ، وطلوعها صُبْحا في الحر . والساجع يريد البرد ، لانه ذكر المطر ، والامَّرُ ، الخَروف ، والعُراضَات ، آثار الابل على الارض ، لانها تكون عريضة . والساجع هنا يخبر بأن طلوعها بلا مطر حالة تستوجب التبدّي . وارسال الرواد لانتقاء منتجع آخر يرتادونه لرعي اموالهم .

---

(٥٢) للسجع ينظر : الانواء في مواسم العرب / ٥٣ ، والانواء والازمنة/٩٤ ، والازمنة والامكنة ١٨١/٢ ، وعجائب المخلوقات / ٤٤ ، والمزهر للسيوطي ٥٤٢/٢ .

(٥٣) الانواء والازمنة /٩٤ .

(٥٤) الانواء في مواسم العرب / ٥٣ ، والمخصص ١٥/٩ ، والانواء والازمنة ١٨١/٢ ، والازمنة والامكنة ١٨١/٢ .

فالشعرى العبور هي الاخرى تَحْتَزّ زمنين كما هو الحال في المنازل ، وغزارة نوئها يجعلها موضع ذكر ، فقد وردت فيها مقولات للعرب في حالتي طلوعها في الحر والبرد ، وكأنهم ارادوا ان يعطوا حالة معرفية وتنبيهية لغيرهم فقالوا : اذا رأيت الشعريين يحوزهما الليل ، فهناك لا يجد القرّ مزيدا ، واذا رأيتهما يحوزهما النهار ، فهناك لا يجد الحر مزيدا ، فضلا عن انهم ربطوا طلوعها زمن البرد بسقي الابل فقالوا : اذا طلعت الشعرى نُقِعَت الاجواف ، وتسيّتت الاظماء ، وادّت الارض بعض النّدى ، اذ في هذا الوقت يؤخرون سقي الابل عن الربع الى الخمس ، او من الخمس الى السدس ، او عن الورد الى الغب[55] ، لان الابل عند طلوع الشعرى في هذا الوقت اقوى على العطش ، واصبر عن الماء ، وقولهم هذا كناية عن انكسار الحر .[56]

وبعد الذراع النثرة ، وهي انف الاسد ، ونَوء الاسد كله غزير محمود ، وإنما سُميت نثرة لانها كأنها من سحابة قد نُثِر .

تطلع النثرة في السابع عشر من تموز ، وتسقط في السابع عشر من كانون الثاني ، وفي وقت طلوعها يشتد الحَر ، وفي وقت سقوطها يشتد البرد ، وطلوعها في وقت تنضج فيه الثمار ، ويحل فيه ينع النخل ، وهو ايضا وقت لفصال الاولاد عن الامهات فيما يملكون من المال ، وعندئذ يستنفضون ما في الضروع من اللبن ، ولا يبقون فيها شيئا ، لكي لا يرضع الاولاد هذا المتبقي، وتنال من العشب ، وتسلو عن الامهات ، وذلك قول الساجع :[57]

---

(55) الانواء والازمنة / ٥٧ ، وقد يذكر هنا ان للعرب في سقي الابل أوقات ، فالربع ان تحبس الابل عن الماء اربعا ، ثم ترد الخامس ، وكذلك الخمس ، والسدس ، والغِبّ ؛ ان تشرب الابل يوما وتترك يوما . ينظر : لسان العرب / ربع ٩/٤٥٦ ، وغبب ٢/٨٢٦ .

(56) الانواء في مواسم العرب / ٥٧ ــ ٥٨ ، والانواء والازمنة / ٩٥ .

(57) الانـواء في مواسم العـرب / ٥٩ ، والمخصص ٩/١٥ ، الانواء والازمنة ٢/١٦٨ ، وعجائب المخلوقات / ٤٥ .

● إذا طَلَعَتِ النثره ، قَنَأَت البُسْرَه ، وجُنِيَ النَّخْل بُكْرَه ، وأوتِ المواشي حُجْرَه ، ولم يَبْقَ في ذات دَرٍّ قَطره .

قول الساجع : قنأت البسرة ، اي اشتدت حمرتها حتى تكاد تَسْوَدُّ ، وذلك وقت الصرام ، فيجنون النخل مبكرين فرارا من الحر ، لانه في ذلك الوقت بارد ببرد الليل ، وقيل ايضا : اذا طلعت النثره ، شَقَحَت البُسْره ، وشقوحها ؛ احمرارها ، من ذلك قولك شَقَحَ البُسْرُ وأشقح ؛ اذا تلوّن بحُمْرَة .(٥٨)

ومن ثم الطرف ، طرف الاسد ، وهي عَيْنه ، وطلوع الطرف في الاول من آب ، وسقوطه لليلة تبقى من كانون الثاني ، في هذا الوقت يبدأ الناس بقطاف الثمر ، والتمر بخاصة ، فتهون عندئذ عليهم كلفة من ينزل بساحتهم من ضيف ، لكثرة الالبان التي يستنفضونها من الضروع ، وكثرة التمر الذي يجنونه من النخل ، وقد اشار الساجع الى ذلك بقوله :(٥٩)

● إذا طَلَعَت الطَّرْفَه ، بَكَرَت الخَرْفَه ، وكَثُرت الطُّرفه ، وهانت للضيف الكلفه . وأنّث الطرف في السجع لان العين مؤنثة ، وليستقيم له السجع .

ويطلع بطلوع الطرف او قريبا من وقت طلوعه في ناحية الجنوب ، اسفل من الشعرى العبور ، ومن كرسي الجوزاء ثلاثة كواكب بيض مختلفة التثليث تسميها العرب عُذرة الجوزاء . ومع طلوعها يشتد الحر كثيرا على ما ورد في قول الساجع :(٦٠)

---

(٥٨) الانواء والازمنة / ٩٦ .

(٥٩) الانواء في مواسم العرب / ٦١ ، والمخصص ١٥/٩ ، والانواء والازمنة / ٩٧ .

(٦٠) للسجع ينظر : الانواء في مواسم العرب / ٥٢ ، والمخصص ١٥/٩ ، وفيه اكثر من رواية لهذا السجع ، والازمنة والامكنة ١٦٩/٢ .

● إذا طَلَعَتِ العذرة ، لم يَبْقَ بِعَمَان بُسْره ، إلاّ رُطَبة أو تَمْرَه .

وعمان في هذا الوقت شديدة الحر ، ومراد الساجع ان البسر في عمان في هذا الوقت ينضج فيصير رُطَباً أو تمراً ، ولذلك قالوا : اذا ابسر النخل في البصرة ، صُرِمَ في عمان . وقول الساجع ايضا :(٦١)

● إذا طَلَعَتِ العُذْرَه ، فَعَكَّة بُكْرَه ، على اهل البصره .

والعكّة بالبصرة ، كَرْب يُصيبهم ايام شدة الحر في وجه الصبح مع ندى يكاد يأخذ بالانفاس ، والعكة ، هجير من غير ريح .(٦٢)

ثم الجبهة ، جبهة الاسد ، بعد الطرف ، وطلوعها في الرابع عشر من آب ، وسقوطها في الثاني عشر من شباط ، ونوء الجبهة غزير محمود ، ولذلك تقول العرب : لولا نوء الجبهة ما كان للعرب إبل ، ويقال ايضا : ما امتلأ وادٍ من نوء الجبهة ماءً إلاّ امتلأ عشبا ، فوقت طلوعها وسقوطها محمود ، إذ في طلوعها انكسار الحر ، وفي سقوطها انكسار البرد ، وما دامت الجبهة طالعة فهم في رفهة من العيش والخصب ، لكثرة اللبن والتمر والعشب ، غير ان هذا الوقت وقت لفصال الاولاد عن الامهات ، وهذا الفصال يودي بحياة الكثير من الاولاد ، فأنت تسمع حنين الامهات ، وبهذا المعنى ورد قول الساجع :(٦٣)

● إذا طلعت الجبهة ، تَحَانَّت الوَلْهَه ، وتنازَت السَّفْهَه ، وقَلَّت في الارض الرَّفْهَه .

---

(٦١) الانواء الازمنة / ٩٨ ، والازمنة والامكنة ٢/١٦٩ .

(٦٢) المخصص ٩/١٨ ، والانواء والازمنة / ٩٨ .

(٦٣) الانواء في مواسم العرب / ٦١ ، والمخصص ٩/١٥ ، والانواء الازمنة / ١٠١ ، والازمنة والامكنة ٢/١٦٨ .

فحنين الام لبعد ولدها عنها ، وكثرة الخصب مجلبة للبطر والاسراف ، وإفساد المال ، فهم يتعهدون اموالهم ويحفظونها من السفهاء ، كي لا تقل الرفاهية فيهم ، ومن ثم خشية الغارة عليهم ، وهي حالة لم يغفلها الساجع في هذا الوقت ..

ومع طلوع الجبهة يطلع من جهة الجنوب قريبا من الافق سُهَيل اليماني. وبطلوعه تكون الوغرة الخامسة من الحر ، وتسمى وغرة سهيل ، وهي آخر الوغرات .(٦٤)

وسُهَيل كوكب منفرد عن الكواكب ، كبير فيه حمرة ، كثير الاضطراب. وهو اكثر طلوعا من غيره ، فمدة ظهوره بالحجاز ثمانية عشر نوءا ، وهي مائتان وخمسة وثلاثون يوما ؛ ومدة مغيبه عشرة انواء ، وهي مائة وثلاثون يوما ، ومدة طلوعه ترتبط عند العرب بأفعال .

فأول طلوعه في الرابع عشر من آب ، هو اول التبدّي والانتجاع ، وترك المحاضر ، وارتياد المواطن التي يكثر فيها الماء والعشب ، وفي هذا المعنى يقول ذو الرمّة :(٦٥)

إذا عارَضَ الشّعْرَى سُهَيْلٌ بِجَهْمَةٍ
وجَوْزَاءَها استغنينَ عن كُلِّ مَنْهَلِ

وعند طلوعه ايضا تفصل الاولاد عن الامهات كما حكيناه في الجبهة ، لان سهيلا يطلع بطلوعها ، اذ ان الفصيل لايزال له حظ من الرضاع حتى يطلع سهيل بالغداة ، فاذا طلع عمد الرجل الى اذُنِ الفصيل ثم استقبل به مطلع

(٦٤) العرب تجعل الوغرات خمسا ، الاولى وغرة النجم ، يعني الثريا ، وفيها ابتداء الحر ، والثانية وغرة الديران ، والثالثة وغرة الجوزاء ، والرابعة وغرة الشعري ، والخامسة وغرة سهيل ، وكلها حرور تشتد عند طلوع هذه الانجم ، واخف هذه الوغرات وغرة الثريا ووغرة سهيل . ينظر : الانواء والازمنة / ٨٧ .

(٦٥) ديوانه ١٤٨٥/٣ .

سهيل يريه إياه ، ويلطمه ثم يحلف انه لا يرضع بعد يومه ذاك قطرة ، وعلى هذا قول الساجع :[٦٦]

● إذا طلع سُهَيل ، بَرَدَ الليل ، وخِيفَ السَّيْل ، وكان لأُمٍّ الحُوَار الويل ، ويروى : وكان للحُوار الويل .

فالام تحنّ الى اولادها ، على الرواية الاولى ، او ان الفساد يسرع الى الضعاف من الفصيل ، فيكثر الهلاك فيها ، وذلك ما ذكرناه في سجعة الجبهة من قول الساجع : تحانّت الولهة ، فولهها حنينها على اولادها ، وإنما جعل الفصال في هذا الوقت لان الاجواف تبرد فيه ، وتكثر الافياء ، ويبرد الليل والماء ، فتتحمل الفطام ، وتقوى عليه ، واذا رجعنا الى سجعة الشعرى التي سبق ذكرها قرأنا : اذا طلعت الشعرى ، نُقِعَت الاجواف ، وتُسُئِت الاظماء ، وأدّت الارض بعض الندى ، لان سهيلا يطلع وقد توسطت الشعرى العبور السماء .

وبطلوع سهيل يبدأ الحر بالانصراف ، ولم يبق منه إلاّ اربعون ليلة ، وهي التي يُطلق عليها معتدلات سهيل ، لانها في النهار حارة ، وفي الليل باردة، ثم ينصرف الحر ، وهو قول الساجع : برد الليل ، وخِيف السَّيْل .

وطلوع سهيل يأخذ من الازمنة زمانين ، الحر والبرد ، وزمن البرد فيه اكثر ، ففي طلوعه زمن الحر تَرِقَ كروش الابل ، وتتجرد من اوبارها ، فاذا تنفس البرد ، ثابت لحومها ، وطلعت اوبارها ، وغلظت كروشها ، فتشتو وهي كاسية ، لانها دخلت في زمن الشتاء ، وعن هذين الزمانين يقول الساجع : اذا طلع سُهيل ، رُفِعَ كيل ، وَوُضِعَ كَيْل .[٦٧] اي ذهب زمان وجاء زمان آخر .

---

(٦٦) الانواء في مواسم العرب / ١٥٩ ، والمخصص ١٥/٩ ، والانواء والازمنة/ ٩٩ ، والازمنة والامكنة ١٦٩/٢ .

(٦٧) الانواء في مواسم العرب / ١٥٩ ، والمخصص ١٥/٩ ، والانواء الازمنة / ١٠٠ ، والازمنة ١٦٩/٢ .

وطلوع سهيل مغرب الشمس وقت آخر ، وهو وقت لاستبدال اسنان الابل ، وهو وقت ايضا للنتاج ، ووقت للقاح ، وفيه ورد قول الشاعر :(٦٨)

إذا سُهَيْلٌ مَغْرِبَ الشَّمْسِ طَلَع

فابنُ اللَّبُونِ الحِقُّ والحِقُّ جَذَع

والزُّبْرَةُ بعد الجبهة ، زُبْرَةُ الاسد ، وهي كاهله وفروع كتفيه ، وتسمى الزبرة الخَرَاتَيْنِ ايضا •

تطلع الزبرة في السابع والعشرين من آب ، وتسقط في الخامس والعشرين من شباط ، ونوؤها غزير محمود ، منسوب الى الاسد ، وفي زمن طلوعها ينضج التمر ، ويطيب اكله ، ولذلك ارتبطت السجعة به ، وجاءت قصيرة ، فقال :

- إذا طلعت الزُّبْرَة ، طَابَتِ التَّمْرَة •

وكذلك ارتبطت التسمية الاخرى للزبرة بالتمر ايضا فقال الساجع :(٦٩)

- إذا طَلَعَتِ الخَرَاتَان ، أُكِلَت أمُّ جُرْدَان •

وأمّ جردان نخلة بالحجاز يتأخر إدراكها • ومع طلوع الزبرة تتبين رؤية سهيل بالعراق •

والصَّرفة بعد الزُّبْرَة ، ومن تسميتها يتبين انصراف الحر عند طلوعها وطلوعها في التاسع من ايلول ، وسقوطها في التاسع من آذار ، وفي سقوطها ينصرف البرد ، وهم يسمونها ناب الدهر ، لانها تَفْتَرُّ عن زمانين ، فالحر ينصرف في طلوعها عند غروب الشمس ، والبرد ينصرف عند سقوطها وقت

---

(٦٨) البيت في الانواء في مواسم العرب / ٨١و١٥٨، والانواء والازمنة/١٠١ •

(٦٩) الانواء والازمنة /١٠٢ •

طلوع الشمس ، وفي سقوطها ايام العجوز ،[٧٠] تقول العرب : اذا فُطِمَ الصَّبيُّ في نوء الصرفة لم يكد يطلب اللبن ، ونَوْؤها محمود مذكور في نوء الاسد ، وهي آخر طوالع فصل الصيف • وفي طلوعها ورد قول الساجع :[٧١]

● إذا طَلَعَتِ الصَّرْفَه ، احْتَال كل ذي حِرْفَه ، وجَفَرَ كل ذي نُطْفَه ، وامِتْيزَ عن المِيَاه زُلْفَه •

إنّ قول الساجع يُنْبِيء عن دخول فصل الشتاء ، وفصل الشتاء يحتاج الى ان يتهيأ له الانسان ، ويصلح حاله وما يلزمه له من جمع حطب ، وحفظ تمر وإصلاح بيت وما الى ذلك ، لاسيما وانه قد خرج من حر الى برد ، والعرب تقول : مَنْ غَلاَ دِمَاغُه في الصيف ، غَلَتْ قِدْرُهُ في الشتاء ، كناية عن شدة وقع الحر قبل طلوعها ، وشدة البرد فيها ، فهم بحاجة الى الدفء ، وقوله : جفر كل ذي نطفة : اي عَدَلَ عن الضراب في هذا الوقت ، لان المخاض فيه ، وهي الحوامل من الابل التي قد ظهر عليها الحَمْل وعَظُمت بطونها ، وعندئذ لا يدنو منها الفحل ، وقوله امتيز عن المِياهِ زلفة ، لانه وقت للتَّبَدِّي ، ومفارقة المواطن التي هم عليها الى مواطن الكلأ والمياه •

والعَوّاءُ بعد الصَّرْفَة ، وهي اول طوالع فصل الخريف ، ويقال لها : عَوّاء البرد ، لان وقت طلوعها وسقوطها برد ، فهي تطلع في الثاني والعشرين

---

(٧٠) اختلف في عدد أيام العجوز ، وهي الايام التي تأتي في عجز البرد ، فقيل : سبعة ايام أولها الخامس والعشرون من شباط ، وآخرها الثالث من آذار ، وقيل : ثلاثة ، وقيل : خمسة ، والذي جعلها ثلاثة او خمسة جعل اول أيامها الأول من آذار ، ومن ثم فقد وضعوا لها تسميات . ينظر : الانواء في مواسم العرب / ١٢٣ ، الانواء والازمنة / ٧٧ .

(٧١) للسجع ينظر : الانواء في مواسم العرب / ٦٤ ، والمخصص ١٥/٩ ، والانواء والازمنة / ١٠٤ ، والازمنة والامكنة ١٨٢/٢ ، وعجائب المخلوقات / ٤٦ .

من ايلول ، وتسقط في الثاني والعشرين من آذار ، وفي وقت طلوعها تضرب الاخبية لتحميهم من البرد ، بعد ان كانوا يبيتون في العراء ، لان البرد في هذا الوقت يؤذي ، وهو ما ذهب اليه الساجع في قوله :(٧٢)

● إذا طَلَعَتِ العَوَّاء ، ضُرِبَ الخِبَاء ، وطابَ الهواء ، وكُرِهَ العَرَاء ، وشُنِّنَ السِّقَاء .

ومن ثم فان حاجتهم الى الماء في هذا الوقت تَقِلّ ، فيستغنون عن الاسقية ويشنّنونها ، اي يُيَبِّسُونها ويحفظونها لوقت الحاجة اليها .

ثم السِّمَاكُ ، بعد العَوَّاء ، وهو السماك الاعزل ، لانه من منازل القمر ، على خلاف السماك الرامح الذي هو ليس من منازل القمر ، والسماك الاعزل عند العرب ساق الاسد ، وهو حَدٌّ بين الكواكب الشامية الغربية ، وبين الكواكب اليمانية ، فما كان اسفل من مطلعه فهو يماني ، وما كان فوق مطلعه فهو شامي ، والسماك قريب من مشرق الاستواء ، وهو آخر المنازل الشامية .

يطلع السماك في الخامس من تشرين الاول ، ويسقط في الرابع من نيسان ، والملاحظ على وقت طلوعه وسقوطه انه ذو نوء غزير محمود ، يذكره العرب ، وقلَّ ما يخلف ، ومطره يصل الخطائط ،(٧٣) الاّ انهم يذمون مطره في اول طلوعه ، لانه ينبت عنه نوع من العشب يسمونه النَّشْر ، إذا رعته الابل مرضت ، وربما ماتت ، قال احد الاعراب يذكر جَمَلا له رعى النشر فَسَهِمَ فمات :(٧٤)

لَيْتَ السِّمَاكَ ونَوْءَهُ لَمْ يُخْلَقَا
ومَشَى الأُوَيْرِقُ في البِلادِ سَلِيمَا

---

(٧٢) للسجع ينظر : الانواء في مواسم العرب / ٦٥ ، والمخصص ١٦/٩ ، والانواء والازمنة / ١٠٥ ، والازمنة والامكنة ١٦٩/٢ ، وعجائب المخلوقات / ٤٦ .
(٧٣) الخطائط ، جمع خطيطة ، وهي ارض غير مطورة بين ارضين ممطورتين .
(٧٤) الانواء في مواسم العرب / ٦٩ .

وطلوع السماك وسقوطه برد كله ، ولذلك يقولون : لا يطلع السماك الا وهو غارز ذَنَبَه في برد ، وقالوا ايضا : لا يطلع السماك إلاّ وهو مَادٌّ عُنُقَه في قوّة ،[75] وفي طلوعه قال الساجع :[76]

● إذا طَلَعَ السماك ، ذهب العَكاك ، واستَفَاهَتِ الاحْنَاك ، وقَلّ على الماءِ اللكاك .

فقوله : ذهب العكاك ، يريد انصرف الحر ، من قولك هذا يوم عَكّ ، اذا كان كثير الحر ، وقوله : استفاهت الاحناك ، فهو طلب الاكل واشتهاؤه ، من قولك : رَجُلٌ فَيْهٌ ، وامرأةٌ فَيْهَةٌ ، اذا كانا جَيِّدي الاكـل ، واللكاك ؛ التزاحم والتدافع ، وكان هذا قبل طلوع السماك لانهم بحاجة الى الماء ، وعند طلوع السماك قَلّ هذا التزاحم ، لان الوقت وقت برد فهـم لا يحتاجون الماء كثيرا . وقالوا ايضا :

● إذا طَلَعَ السِّماك ، ذهب العَكاك ، وبَرَدَ ماءُ الخَرْقَاء .

فالخرقاء من النساء لا تحتاج الى تبريد مائها ، لانه حينئذ يبرد من غير تبريـد .

ذكرنا فيما سبق ان السماك الاعزل هو الحَدُّ بين الكواكب الشامية (الغربية) ، وانه آخر المنازل الشامية ، وكذلك ذكرنا ان لكل منزلة مـن المنازل الشامية ، رقيبا من المنازل اليمانية ، وعادة يكون المنزلة الخامسـة عشرة من تسلسل المنازل .

فالغَفْرُ ، المنزلة الخامسة عشرة من تسلسل المنـازل ، واول المنـازل اليمانية ، والغَفْر ؛ رقيب الشَّرَطين ، فاذا سقط الشَّرَطان طلع .

---

(٧٥) الانواء والازمنة / ١٠٧ .

(٧٦) الانواء في مواسم العرب / ٦٩ ، والمخصص ١٦/٩ ؛ والانواء والازمنة / ١٠٧ ، والازمنة والامكنة ١٦٩/٢ ، وعجائب المخلوقات / ٤٧ .

يطلع الغفر في الثامن عشر من تشرين الاول ، ويسقط في السادس عشر من نيسان ، وهو عند العرب ما انجم السعود ، واذا نزل به القمر كان احسن الاوقات لاستنباط المياه ، ولذلك قالوا : خَيْرُ مَنْزِلَةٍ في الابَد ، ما بين الزباني والاسد ، يعنون الغَفر ، وقالوا : يليه من الاسد مالا يَضُرّ ، الذَّنَبُ يدفع عنه الاظفار والانياب ، ويليه من العقرب مالا يضر ، الزبانى تدفع عنه الحُمَّة .(٧٧)

إنَّ الوقت الذي يطلع فيه الغفر اول ابتداء المطر ، وقبل طلوعه كانت الارض قد يبست والكَلأ والشجر قد ذهبت النضارة منهما ، وهو ما عناه الساجع بقوله :(٧٨)

● إذا طَلَعَ الغَفْر ، اقْشَعَرَّ السَّفْر ، وتَزَيَّلَ النضر ، وحَسُنَ في العَيْنِ الجَمْر . فالزمان زمان برد ، والمسافر يقشعر منه ، فهو بحاجة الى ما يُدْفِؤه ، والميم هو الاخر بحاجة الى الدِّفء ، فالجَمْرُ يحسن في عينيه ، لان النظر اليه دفء وقالوا ايضا : إذا طَلَعَ الغَفْر ، جاء القطر .

ثم الزُّبانى ، زُبَانى العقرب ، وللعقرب زبانيان ، اي قرنان ، وهي رقيب البُطين ، فاذا سقط البُطين طلعت .

تطلع الزبانى في آخر ليلة من تشرين الاول ، وتسقط لليلة تبقى من نيسان ، فطلوعها في زمن تحرك البرد ، وسقوطها في زمن تحرك الحر ، ولذلك تسمَّى زباني الصيف ، ونوء الزبانى نوء غير محمود ، يوصف بهبوب البوارح من الرياح ، وهي الشمال الشديدة الهبوب ، وتكون في الصيف حارة ، وفيها يقول ذو الرُّمَّة :(٧٩)

---

(٧٧) الانواء والازمنة / ١٠٧ .

(٧٨) الانواء في مواسم العرب / ٧١ ، والمخصص ١٦/٩ ، والانواء والازمنة / ١٠٨ ، والازمنة والامكنة ١٦٩/٢ .

(٧٩) ديوانه ١١٤٨/١ ، والهيف ؛ الريح الحارة ، والاصناع ؛ مصانع الماء ، الحبرة ، ارض فيها ماء .

وَزَفْزَفَتْ للزُّبَانى مِنْ بَوَارِحِهَا
هَيْفٌ أنَشَّتْ بِهِ الاصْنَاعَ والخَبَرا!

وقول الكُمَيت :(٨٠)

وَلَمْ يَكُ نَشْوُكَ لِي إذْ نَشَأت
كَنَشْءِ الزُّبانى عَجَاجَاً ومُوْرَا

ولَكِنْ بِنَجْمِكَ سَعْدُ السُّعو
دِ طَبَّقْتَ أرضِيَ غَيْثاً دَرُورا

يقول الساجع في طلوعها :(٨١)

● إذا طَلَعَتِ الزُّبانى ، أحْدَثَت لكل ذي عِيالٍ شَانا ، ولكل ذي ماشية هَوَانَا ، وقالوا : كان وكان ، فاجمع لاهلك ولا تَوَانا •

إنَّ البرد في هذا الوقت قد هجم ، فشغل صاحب العِيَال ، وجعله يضرب في البلاد ليختار لاهله ، وكذلك شغل صاحب الماشية في إعداد الحظائر لها ، والحديث يكثر في هذا الوقت عن البرد وما قبل البرد وعن اي شيء غيره •

والإكليل ، بعد الزُّبانى ، إكليل العقرب ، وهو رأسُها ، والإكليلُ رقيب الثريا ، فاذا سقطت طلع •

يطلع الاكليل في الثالث عشر من تشرين الثاني ، ويسقط في الثالث عشر من أيار ، وبسقوطه تغور مياه الارض ، ولاتزال تغور الى ان يسقط الحوت في الخامس من تشرين الاول • قال الساجع :(٨٢)

---

(٨٠) شعر الكميت بن نيد الأسدي ٢٠٨/١ .
(٨١) الانواء في مواسم العرب / ٧٣ ، والمخصص ١٦/٩ ، والانواء والازمنة / ١٠٨ ، والازمنة والامكنة ١٦٩/٢ ، وعجائب المخلوقات / ٤٧ .
(٨٢) الانواء في مواسم العرب / ٧٤ ، المخصص ١٦/٩ ، والانواء والازمنة / ١١٠ ، والازمنة والامكنة ١٦٩/٢ ، وعجائب المخلوقات / ٤٨ .

● إذا طَلَعَ الإكليل ، هَاجَتِ الفُحُول ، وشَمَّرت الذُّبول ، وتَخَوَّفَت السُّيول .

فالوقت وقت برد ، وهو وقت لاول النتاج ، اذ فيه تهيج الفحول ، وإنما تهيج في وقت الطَّرق ، لانه وقت لاول الضراب ، إلاّ أن ما تنتج في هذا الوقت كان سَيِّء الغذاء لشدة البرد وقلة اللبن والنبت ، وكذلك فان كثرة الامطار في هذا الوقت تكثر معها مسايل الماء ، فيشمّر الرجل عن ذيله لاصلاح ما ينهدم من معاطن الابل او حظائر الغنم .

ثم القَلْب ، قلب العقرب ،[٨٣] بعد الإكليل ، وهو رقيب الدَّبَران ، فاذا سقط الدَّبَران طلع .

يطلع قلب العقرب في السادس والعشرين من تشرين الثاني ، ويسقط في السادس والعشرين من أيار ، ويطلع بطلوعه النسر الواقع ، في شدة البرد ، ولذلك فان قلب العقرب والنسر الواقع يسمَّيان الهَرَّارَيْنِ ، وطلوعهما إيذان" بأول النتاج في البادية ، وقلب العقرب منزل نحس يُتَشَاءم به ، ونوؤه غير محمود ، قال الاسود بن يعفر :[٨٤]

وُلِدْتُ بِحادِي النَّجْمَ يَتْلُو قَرِينَهُ
وبالقَلْبِ قَلْبِ العَقْرَبِ المُتَوَقِّدِ

وقول الآخر :[٨٥]

---

(٨٣) نشير هنا الى أن القلوب اربعة ، قلب العقرب هذا ، وقلب الاسد ، وقلب الثور ، وقلب الحوت ، ولايقال القلب مطلقا الا لقلب العقرب ، فاذا ارادوا غيره اضافوه فقالوا : قلب الاسد ، أو قلب الثور . الانواء والازمنة / ١١٠ .

(٨٤) ديوانه / ٣٤ .

(٨٥) الانواء في مواسم العرب / ٧٥ ، بلاعزو ، ولجاهلي في الازمنة والامكنة ١٧٢/٢ و ٢٨٠ ، و ٣١٨/٢ .

فَسِيرُوا بِقَلْبِ العَقْرَبِ اليَومَ إنَّهُ
سَوَاءٌ عَلَيْكُم بالنُّحوسِ وبالسَّعدِ

وفي طلوعه يقول الساجع :[86]

● إذا طَلَعَ القَلْبُ ، جاء الشِّتَاءُ كالكَلْبِ ، وصَارَ أهْلُ البوادي في كَرْب ولم تمَكَّنِ الفَحْلَ إلاّ ذَاتُ ثَرْب •

إنّ تشبيههم الشتاء بالكلب لهريره عند طلوعه والنسر الواقع ، وقول الساجع ولم تمكن الفحل إلاّ ذات ثرب ، يريد ذات سمن وشحم ، لانها احمل للبرد من الهزيلة ، وفي الهرارين ورد قول الساجع :[87]

● إذا طَلَعَ الهَرّارَان ، يَبِسَت الاغْصَان ، وغُشِيَت النِّيران ، وهَزلت السِّمان ، ووَحْوَحَ الولدان ، واشتَدّ البَرْدُ بِكُلِّ مكان •

ووحوحة الولدان ؛ صوت تسمعه من صدورهم عند القُرّ ، يخرجونه مع نَفْح • وقول الساجع ايضا :[88]

● إذا طَلَعَتِ العَقْرَب ، جَمَسَ المِذْنَب ، وقَرُبَ الاشْيَب ، ومَات الجُنْدُب •

فقول الساجع هذا يشعر بأن البرد في هذا الوقت يصل الى انجماد المياه ، فقوله : جمس المِذنَبُ ، يعني جمد مجرى الماء الى الرياض ، والاشيب ؛ الثلج والجليد ، ومنه قيل لاحد شهري الشتاء شيبان ، وللاخر ، ملحان لبياضهما بالثلج • ولذلك تكره العرب السفر اذا كان القمر نازلا بالعقرب •

---

(٨٦) الانواء في مواسم العرب / ٧٤ ــ ٧٥ ، والمخصص ١٦/٩ ، والانواء والازمنة / ١١٠ ، الازمنة والامكنة ١٦٩/٢ ، وعجائب المخلوقات / ٤٨.
(٨٧) الانواء والازمنة / ١١١ ، والازمنة والامكنة ١٦٩/٢ .
(٨٨) الانواء في مواسم العرب / ٧٦ ، والانواء والازمنة / ١١١ .

والشَّولة بعد القلب ، وهي شولة العقرب ، وهي في ذَنَبه ، وسميَّت شولة من قولك : شالَ بذَنَبه اذا رفعه ، وهي رقيب الهقعة ، فاذا سقطت الهقعة طلعت .

تطلع الشولة في التاسع من كانون الاول ، وتسقط في التاسع من حزيران ، فطلوعها في إبَّان البرد ، وسقوطها في إبَّان الحر ، ونوؤها ثلاث ليال محسوبة على العقرب ، ففي طلوعها في زمان البرد قال الساجع :[89]

● إذا طَلَعَتِ الشَّوْلَه ، أعْجَلَتِ الشَّيْخُ البَوْلَه ، واشتَدَّت على العَائِلِ العَوْلَه ، وقيل : شَتْوَةٌ زوله .

فقوله : أعجلت الشيخ البولة كناية عن شدة البرد ، وكَلَب الشتاء ، وقوله شتوة زولة ، يريد عجيبة ومُنكَرِة .

ثم النَّعَائِم بعد الشولة ، وهي جمع نَعَامَة ، وعدد نجومها ثمانية ، اربعة في المجرة ، وهي النعام الوارد ، واربعة خارج المجرة وهي النعام الصادر ، والنعائم رقيب الهنعة ، فاذا سقطت الهنعة طلعت .

تطلع النعائم في الثاني والعشرين من كانون الاول ، وتسقط في الثاني والعشرين من حزيران ، وهي اول طوالع الشتاء . وفيها يقول الساجع :[90]

● إذا طَلَعَتِ النَّعَائِم ، تَوَسَّفَتِ البهَائِم ،[91] وخَلَصَ البَرْدُ الى كل نائِم ، وتَلاقت الرِّعَاءُ بالنَّمائِم .

فقوله : توسَّفَت البهائم ، اي تَشَعَّثَت وتغيرت من البرد ، ومن ثم فان الرعاء لا يشغلهم الرعي ، فيتلاقون ، ويدس بعضهم الى بعض اخبار النـاس .

---

(89) ينظر : الانواء في مواسم العرب / 76 ، والمخصص 16/9 ، والانواء والازمنة / 113 ، والازمنة والامكنة 169/2 ، وعجائب المخلوقات/49 .

(90) الانواء في مواسم العرب / 79 ، المخصص 16/9 ، والانواء والازمنة / 113 ، والازمنة والامكنة 169/2 .

(91) في المخصص : التهائم ، وقال هي جمع تهامة .

والبَلْدَةُ ، بعد النَّعائم ، والبَلْدَة ، رقعة في السماء لا كواكب فيها ، واصل البَلْدَةِ ، الفرجة بين الحاجبين اللذين غير مقرونين ، وهي رقيب الذّراع ، فاذا سقط الذراع طلعت .

تطلع البلدة في الرابع من كانون الثاني ، وتسقط في الرابع من تموز ، ووقت طلوعها اول تحرّك النبات والعشب ، وفيها يقول الساجع :(٩٢)

● إذا طَلَعَتِ البَلْدَه ، حَمَّمَتِ الجَعْدَه ، وأُكِلَتِ القِشْدَه ، وقيل للبرد إهده .

فقول الساجع : حمَّمَت الجَعْدَه ، يريد اخضرّت الارض لهما ، والجعدة ، نوع من النبت ، تقول : حَمَّمَ وجه الغلام اذا بقل ، وحَمَّمَ الرأس اذا اسودّ بعد الحلق من غير ان يطول . وفي هذا الوقت يبدأ انكسار البرد بعض الشيء .

ومن ثمّ سَعْد الذّابح ، بعد البَلْدَة ، وطلوعه في السابع عشر من كانون الثاني ، وسقوطه في السابع عشر من تموز .

ففي وقت طلوعه تكون الارض قد اخضرّت ، ولذلك يقال : إن الارض في هذا الوقت تنظر باحدى عينيها ، وتحتوي على النبات ، فاذا اهتزّت وربَت وانبتت من كل زوج بهيج ، فحينئذ تنظر بعينيها كلتيهما ، وذلك عند سقوط الجبهة وطلوع سعد السعود ،(٩٣) ولذلك قال الساجع فيه :(٩٤)

● إذا طَلَعَ سَعْدُ الذّابح ، حَمَى أهله النابح ، ونَفَعَ اهله الرائح ، وتَصَبَّحَ السّارِح ، وظهر في الارض الانافح .

(٩٢) الانواء في مواسم العرب / ٨٠ ، المخصص ١٦/٩ ، والانواء والازمنة / ٦٦ ، والازمنة والامكنة ١٦٩/٢ .

(٩٣) الانواء والازمنة / ٦٨ ، وقد نسب هذا القول للغنوي .

(٩٤) الانواء في مواسم العرب / ٨٠-٨١ ، والمخصص ١٦/٩ ، والانواء والازمنة / ٦٨ ، والازمنة والامكنة ١٧٠/٢ ، وعجائب المخلوقات/٤٩ .

فالكَلْبُ يلزم اهله حينئذ فلا يفارقهم لشدة البرد وكثرة اللبن ، فهو يحميهم ، وينبح دونهم ، وقول الساجع : نَفَعَ اهله الرائح وتَصَبَّح السارح ، فانه قد اعلمك بان هذا الوقت وقت ينفع فيه الرائح اهله بما يجلبه لهم من جَنْي الارض ، وان السارح لا يبكّر في الرعي لقوة البرد ، وانه اذا خرج في الصباح سيجد مسرحا لماشيته . وثمة سجعة اخرى فيه تقول :(٩٥)

● إذا طَلَعَ سَعْدُ الذّابح ، انحجزت الضوابح ، ولم تهرّ النوابح ، من الشتاء البارح .

والضباح ، صوت الثعلب ، وظبي الجبل ، فهو في هذا الوقت يضعف صوته من شدة البرد ، وهذا الوقت هو الوقت الاوسط للضِّراب ، والنتاج فيه محمود ، وذلك لان مع طلوع سعد الذابح بالغداة ، يطلع سهيل مغرب الشمس ، وهو قول الشاعر :

إذا سُهَيْلٌ مَغْرِبَ الشَّمْسِ طَلَعْ
فابنُ اللَّبُونِ الحِقٌ والحِقٌ جَذَع

وقد ذكرنا ذلك اثناء حديثنا عن سهيل .

وسَعْدُ بُلَع بعده ، وسمِّي بُلَعاً لانه على صورة فم مفتوح ، وقدامه كوكب صغير كأنه يبلعه ، وهو رقيب الطرف ، فاذا سقط الطرف طلع .

يطلع سد بُلَع في الثلاثين من كانون الثاني ، ويسقط في الاول من آب ، وفي وقت طلوعه ينشط النتاج ويقوى على السير ، وقد ارتبطت سجعة الساجع به فقال :(٩٦)

● إذا طَلَعَ سَعْدُ بُلَع ، اقتَحَمَ الرُّبَع ، ولَحِقَ الهُبَع ، وصِيْدَ المُرَع ، وصَارَ في الارضِ لمَع .

---

(٩٥) الانواء والازمنة / ٦٨ .
(٩٦) الانواء في مواسم العرب / ٨٢ ، والمخصص ٩/١٦ ، والانواء والازمنة / ٦٩ ، والازمنة الامكنة ٢/١٧٠ .

فالرُّبع ، ما نتج في اول النتاج ، وفي هذا الوقت يقوى في مشيه فيسرع ولا ينضبط ، والهبع ، ما نتج في آخر النتاج ، وعادة يكون ضعيفا ، وانما سُمِّي هُبَعا ، لانه اذا مشى خلف أمِّه هَبَع ، اي استعان بعنقه لضعفه ، وهو في هذا الوقت ايضا يتملكه شيء من النشاط والقوة ، وقوله : صيد المُرَع ، وهو نوع من الطير يشبه الدراج يكثر في الخضرة والعشب ، ويطير في المطر ، او يخرج في اثنائه ، والارض قد كثر فيها الكلأ فأخضرت وصار فيها لمع .

وسَعْدُ السعود بعد سَعْدِ بُلَع ، ومن اسمه يتبين تيمنهم به ، وهو رقيب الجبهة ، فاذا سقطت الجبهة طلع .

يطلع سعد السعود في الثاني عشر من تموز ، ويسقط في الرابع عشر من آب ، ووقت طلوعه نضارة الارض ، وعنفوان زهوها ، وهي كما قالوا : تنظر بعينيها كلتيهما ، فاليبيس الذي كان في الارض قد ذهب ، والعود قد صار غَضاً ناضراً لجريان الماء فيه ، وهو مراد الساجع في قوله :[٩٧]

● إذا طَلَعَ سَعْدُ السُّعُود ، نَضر العُود ، ولانَت الجُلود ، وذاب كل مجمود ، وكَرِهَ النَّاسُ في الشمس القعود .

وفضلاً عن نضارة العود لجريان الماء فيه ، واخضرار الارض ، فان الجلد قد ذهب عنه يبيس الشتاء وبرده ، وعندئذ يتجنب الناس القعود في الشمس لانكسار البرد ، وقالوا ايضا : اذا طلع السَّعْد كَثُر الثعد ، والثعد ، العشب الغض .

ثمَّ سعد الاخبية بعد سَعْدُ السُّعود ، وسُمِّي سعد الاخبية لانه اذا طلع انتشرت الهوام ، فخرج منها ما كان مختبئا في البرد ، لان طلوعه في اول الدفء ، وهو رقيب الزبرة ، فاذا سقطت طلع .

---

(٩٧) الانواء في مواسم العرب / ٨٣ ، والمخصص ١٦/٩ ، والانواء والازمنة / ٧٣ ، والازمنة والامكنة ١٧٠/٢ ، وعجائب المخلوقات / ٥٠ .

يطلع سعد الاخبية في الخامس والعشرين من شباط ، ويسقط في السابع والعشرين من آب ، والوقت الذي يطلع فيه اول الدفء ، وقد اشار الساجع الى هذه الحالة بقوله :[98]

● إذا طَلَعَ سَعْدُ الاخبية ، دُهِنَتِ الاسقِيَه ، ونَزِلَتِ الاحويه ، وتجاورت الابنية •

فالاسقية تُدهَن في هذا الوقت وتُهَيّأ لاستقبال الصيف ، لانها كانت قد تُرِكت في الشتاء ولم تُستخدم فيبست ، ومِن ثمّ فان هذا الوقت هـو وقت انتقال من المشتى الى المصيف ، وهو قول الساجع : نزلت الاحوية وهي جمع حُواء ، والحواء ، القطعة من بيوت الاعراب تكون مجتمعة متجـاورة وعادة تكون من مدر ، لا من وَبَر ولا من شَعَر •

وقد نشير هنا الى ان السعود عند العرب عشرة ، اربعة منها من منـازل القمر ، وهي هذه التي ذكرناها وستة سعود اخرى متصلة بها ، وتأتي بعـد سعد الاخبية ، وليست من منازل القمر ، وهي على وفق تسلسلها سعد ناشرة ، وسعد الملك ، وسعد البهام (البهائم) ، وسعد الهمام ، وسعد البارع ، وسعد مطر ، وهذه السعود لا نوء لها •

وفَرَغ الدَّلْو المقدّم ، بعد سعد الاخبية ، وهو آخر طوالع فصـل الشتاء ، وفَرْغُ الدَّلو مَصَبّ الماء بين العرقوتين ، ولذلك يقولون لهـا العرقوة العليا ، ولَفَرْغ الدلو المؤخر العَرقوة السفلى • والفَرَغ المقـدّم رقيب الصَّرفة ، فاذا سقطت طلع •

يطلع الفرغ المقدم في التاسع من آذار ، ويسقط في التاسع من أيـار ، فطلوعه في اول ابتداء الحر ، وسقوطه في اول ابتداء البرد ، وذلك قـول

---

(98) الانواء في مواسم العرب / 85 ، والمخصص 16/9 ، والانواء والازمنة / 75 ، ولازمنة والامكنة 170/2 .

الساجع وجمع السجع للفرغين لان طلوعهما في الشهر نفسه ، وكذلك سقوطهما :(99)

● إذا طَلَعَ الدَّلْوُ ، هِيْبَ الجَزْوُ ، وأنْسَلَ العَفْوُ ، وطَلَبَ اللَّهْوَ الخِلْوُ .

إنّ قول الساجع : هِيْبَ الجزو ، فالجزو هو الرَّطْبُ من الكلأ يجف في هذا الوقت او يكاد ، فاذا رعته الابل لا يجزئها عن الماء ، وقد كانت قبل هذا الوقت لا تحتاج الى الماء لان الكلأ رطب مبلول بالندى ، وقوله : أنسل العفو ، يريد سقط نسله ، او حان ، والنسل الوَبَر الذي يستجد كل سنة ، والعَفْوُ ، ولد الحمار ، وقوله : طلب اللهو الخِلْوُ ، فمعناه طلب الزواج في هذا الوقت ، لانه قد خرج عن ضيق الشتاء وشدته ، وامكنه التصرف وابتغاء الرزق فطلب النكاح ، واللَّهْوُ ، المرأة ، وفي التنزيل العزيز : «لَوْ أرَدْنَا أنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا» ،(100) وقول امريء القيس :(101)

ألاَ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أنَّنِي
كَبِرْتُ وأنْ لاَ يُحْسِنُ اللَّهْوَ أمْثَالي

ثمّ فَرْغ الدلو المؤخر ، وهو العرقوة السفلى ، وهو اول طوالع فصل الصيف الذي تسميه العامة الربيع ، وهو رقيب العَوَّاء ، فاذا سقط العواء طلع .

يطلع الفرغ المؤخر في الثاني والعشرين من آذار ، ويسقط في الثاني والعشرين من ايلول ، وطلوع الفرغين وغروبهما في إقبال البرد وادباره ، ونوؤهما غزير محمود ، قال الكميت :(102)

(99) الانواء في مواسم العرب /86 ، والمخصص 16/9 ، والانواء والازمنة / 76 ، والازمنة والامكنة 170/2 ، وعجائب المخلوقات / 51 .
(100) الآية / 17 سورة الانبياء .
(101) ديوانه / 52 .
(102) شعر الكميت بن زيد 135/2 .

يـا آرضَـنَا هَـذا اوانَ تَحْيَيْـن
قـد طَالَ مَـا حُرِمْتِ نَـوءَ الفَرغَيْن

وعند طلوع الفرغ المؤخر تحل الشمس بالشَّرَطين ، وهما اول منازل الشمس في فصل الصيف الذي تسميه العامة الربيع •

إنّ الساجع لم يضع سجعة لفرغ الدلو المؤخر ، وإنما جعل السجعة للفرغين معا على ما ذكرناه في الفرغ المقدم •

ثمّ البطن ، بطن الحوت ، وقلب الحوت ايضا ، وقد يسمى الحوت ، والسمكة ، والرشاء ، وهو آخر منازل القمر ، وآخر المنازل اليمانية ، وهو رقيب السماك ، فاذا سقط السماك طلع •

يطلع البطن في الرابع من نيسان ، ويسقط في الخامس من تشرين الاول ، وعند سقوطه ينتهي غور المياه ، قال الساجع :(١٠٣)

● إذا طَلَعَتِ السَّمَكَه نصِبَتِ الشَّبَكَه وأُمكنت الحَرَكَه ، وتَعَلَّقَت بالثوب الحسكه ، وطابَ الزمان للنَّسكه •

إنّ الوقت الذي يطلع فيه البطن وقت اشتداد النبت وقوته ، وهو ايضا وقت لانكسار البرد وطيب الزمان ، فالحسكة وهي شوكة السعدان تتعلق بثياب المارة ، وفي هذا الوقت تنصب الشباك للطير لانها حينئذ تسقط في الرياض وتُصَوّت ، والنسّاك المتقلّلون يسيحون في الارض ، ولا يخافون بردا ولا حرا ، ولا يتأذون بشيء منهما •

وبعد طلوع بطن الحوت يطلع الشَّرَطان ، ويعود الامر الى ما كان عليه ، وتنتهي سنة ، وتبدأ سنة جديدة •

وصفوة القول فان حركات الكواكب والنجوم ، وما يرافقها من طلوع وغروب ، سواء كان غروب نوءٍ او غروب افول واستسرار ، لا تأثير له بأية حال من الاحوال على كوكبنا هذا ، وان طلوعها وغروبها يرتبط بزمن ، وهذا

---

(١٠٣) الانواء في مواسم العرب /٨٩ ، والمخصص ١٦/٩ ، والانواء والازمنة /٧٩ ، والازمنة والامكنة ١٧٥/٢ ، وعجائب المخلوقات/٥١ .

الزمن الذي تَقَسَّم الى شهور وفصول هو الذي تنبني عليه سيرة الحيـاة ومسارها على الارض من تصريف رياح او سحاب او مطر ، او حر او بـرد ، وما الى ذلك من تقلبات اجواء وليل ونهار ، وان كل شيء في هذا الكـون مسخر لادامة الحياة على الارض الى ان يرث الله سبحانه وتعالى الارض ومن عليها .

ومن جانب آخر فانني قد بحثت كثيرا في كلام العرب منذ عصر ما قبل الاسلام والى نهاية العصر الاموي ، فلم اجد اية مقولة تشير الى تأثير البروج او الكواكب الخنّس على حياة الانسان وطبيعته ومزاجه وتقلباته وما الى ذلك مما يتحدثون به الان ، ونادرا ماوقفت على منجّم عاش في تلك الحقبة الزمنية وطار له صيت ، على الرغم من وجود الكهنة والعرافين ، الذين اورد عنهم النَّقَلة كثيرا من الاخبار والروايات ، إلاّ انهم لم ينقلوا لنا عنهم شيئا من التنجيم ، وإنما ظهر ذلك بعد عصر الترجمة ، واختلاط غير العرب بالعرب من فرس وغيرهم ، وقد كان فيهم منجمون ، اخذ عنهم العرب هذه الصَّنْعَة ، ومن ثم فاننا لم نجد احدا من علمائنا الاجلاء وضع كتابا في التنجيم ، إلاّ في نهايات القرن الثالث للهجرة وما جاء بعدها من قرون .

المصـــادر والمراجــع

- الازمنة والامكنة : للمرزوقي ، احمد بن محمد بن الحسن ، ت ٤٢١هـ ، تحقيق د. محمد نايف الدليمي ، بيروت ، عالم الكتب ، ٢٠٠٠م .
- الاضداد في اللغة : للأنباري ، أبي بكـر محمد بن القاسم ، ت ٣٢٨هـ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الكويت ١٩٦٠م .
- الانواء والازمنة ومعرفة اعيان الكواكب في النجـوم : لعبدالله بن عاصم الثقفـــي ، ت٤٠٣هـ ، تحقيــق د. نـــوري حمــودي القيســي ، ومحمد نايف الدليمي ، بيروت ، دار الجبل ، ١٩٩٦م .
- الانواء في مواسم العرب : لابن قتيبة الدينوري ، ت ٢٧٦هـ ، بغــداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٨م .
- انوار التنزيل واسرار التأويل ، يعرف بتفسير البيضاوي ، للبيضاوي ، عبدالله بن عمـر ، ت ٦٩١هـ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨م .
- ديوان أبي نؤاس : تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي ، دار الكتــاب العربي بيروت ، بلا سنة طبع .
- ديوان الاسود بن يعفر ، صنعــة د. نوري حمــودي القيسي ، العراق ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠م .
- ديوان الاعشى الكبير ، شــرح وتعليــق د. محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية ، مصر ، بلا سنة طبع .
- ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مصــر ، دار المعارف ، ١٩٦٤م ، ط٤ .
- ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق سيد حنفي حسنين ، القاهرة ، ١٩٧٤م.
- ديوان ذي الرمّة ، تحقيق د. عبدالقدوس ابو صالح ، دمشق ، ١٣٩٢هـ ١٩٧٣م .
- ديوان الطفيل الغنــوي ، تحقيق محمد عبد القــادر احمد ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٨م .
- السنن ، لابي داود ، مصر ، ١٣٧١هـ .

● شعـر الكميت بن زيـد الاسدي ، تحقيـق د. داود سلوم ، النجف ، مطابع النعمان ، ١٩٦٩م .

● صحيح البخاري : للبخاري ، محمد بن اسماعيل ، ت ٢٥٦هـ ، مصـر ، البابي الحلبي ، ١٣٧٧هـ .

● صحيح مسلم : لابي الحسين مسلم بن الحجاج القشـيري ، ت ٢٦١هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، بيروت ، دار احيـاء التـراث العربي ، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م .

● عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات : للقزويني ، زكريا بن محمـد ابن محمود ، ت ٦٨٢هـ ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م .

● لسان العرب : لابن منظور ، محمد بن المكرم ، ت ٧١١هـ ، مصـورة عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بلا سنة طبع .

● مجمع الامثال : للميداني، ابي الفضل احمد بن محمد بن أحمد النيسابوري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

● المخصص : لابن سيدة ، علي بن اسماعيل ، ت٤٥٨هـ ، بولاق ، ١٣٠٦هـ .

● مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، يعـرف بتفسـير النسفي : للنسفي ، عبدالله بن احمد ، ت ٧١٠هـ ، عيسى البابي الحلبي ، بلا سنة طبع .

● المسند : للامام أحمد بن حنبل ، ت ٢٤١هـ ، القاهرة ، ١٣١٣هـ .

النص عند ابن عربي بين العبارة والاشارة
قــراءة في إحــدى قصــائده

د. يونس شنوان
كلية الآداب ـ جامعة اليرموك

الملخــص

البحث محاولة هدفها رصد ابرز ملامح المنهج الصوفي الذي اعتمد عليه ابن عربي في نظم ديوان شعره (ترجمان الاشواق) من خــلال التوقف عنــد احدى قصائد الديوان وتحليلها تحليلا فنياً اسلوبياً يستند الى لغة الحــوار ويحاول استكشاف العلاقة القائمة بين عبارات ابن عربي واشاراته عبر قراءة متأنية تمعن النظر فيما ترمز اليه الالفاظ والعبارات من دلالات اهتدى اليهــا الفكر الصوفي الذي تمثله ابن عربي وصاغ بمقتضاه رؤيته الشعرية المستندة الى معنيين احدهما ظاهر والاخر باطن تحكمها لغة العبارة ولغة الاشارة وصولا الى تحقيق متعة بمستويات ثلاث اولها متعة فورية ظاهرية يشترك فيها الجميع واخرى خالدة يتوصل اليها بالمجاهدة والاستشفاف وثالثة هي متعة الاكتشاف لما هو باطن ومجهول باستخدام الرمز بوصفه وسيلة يمكن التعبير بها عــن المعاني والاذواق والمعارف وتقوم قراءة القصيدة على تتبع ابياتها من خــلال رؤية تحليلية نقدية تنظر الى ابن عربي بوصفه شاعراً وناقداً لشعره وهــو يشرح غامضه ويلمح الى اشاراته ورموزه .

هذا الديوان ليس كل شعر ابي عربي إلا انه أشهره ، بل أهمه ، لما فيه من مزية خاصة ، إنه قيل في محبوبة ابن عربي ، وبنت شيخه في مكة المكرمة ، إنها (النظام) الملقبة بـ (عين الشمس) التي يقول موضحاً مكانها من نفسه وفي ديوانه (فكل اسم اذكره في هذا الجزء فعنها أكني ، وكل دار أندبها فدارها أعني ، ولم ازل فيما نظمته في هذا الجزء على الايماء الى الواردات الالهية ، والنزلات الروحانية ، والمناسبات العلوية جريا على طريقتنا المثلى ، فان الاخرة خير لنا من الاولى ، ولعلمها ، رضي الله عنها ، بما اشير ، ولا ينبئك مثل خبير ، والله يعصم قارىء هذا الديوان من سبق خاطره الى مالا يليق بالنفوس الابية والهمم العلية ، المتعلقة بالامور السماوية)[1] .

فهو يقرر ان شعره ذو وجهين ، ظاهر موجه الى محبوبته (النظام) سواء بالكناية او بالتصريح باسمها فعلا ـ وهو موجود في ديوانه ـ اما باطنه ، فهو إيماء الى الواردات الالهية ، الى المعشوق المطلق « الله » سبحانه وتعالى . وهو هنا يدعوك أن تقرأ ديوانه بـ « لغة الاشارة » في حين ان هناك ، في الوجه الاول ، « لغة العبارة » هي المتعينة في قراءة اشعاره ، فقالب ' الظاهر ' قالب ' عباري ' وقالب الباطن قالب ' إشاري ' . (فإن الاخرة (الباطن) خير لنا من الاولى (الظاهر) ، والاولى خافية لابد من المرور بها للوصول الى الاخرة (الباقية) فالاولى ' محطة ' والثانية ' مقام ' كذلك اللغة عنده .

غير ان المميز لديوانه هذا ، انه قام بشرحه لدحض تهمة وجهت اليه وهي انه « يتستر لكونه منسوباً الى الصلاح والدين »[2] فشرحه ليبرهن انه ليس

---

(١) محي الدين ابن عربي ، ترجمان الاشواق ، (بيروت : ١٩٦٦) ، المقدمة ص٩
(٢) المصدر السابق .

مدّعياً في زعمه إن شعره ذو بُعد صوفي ، وعلّل النزوع الى هذا النوع من الانشاء العربي في العبارة بقوله : « وجعلت العبارة عن ذلك بلسان الغزل والتشبيب لتعشق النفوس بهذه العبارات فتتوفر الدواعي على الاصغاء اليها ، وهو لسان كل اديب ظريف ، روحاني لطيف » .[٣] فهو يشعر بنفور الناس من المباشرة في القاء المعاني وتهافتهم على كل جذاب وساحر ، وكأنه حين لجأ الى هذه التقنية اراد ان يُركّب للمتعة ثالوثاً اجزاؤه :

١ ـ المتعة الفورية :

وهي متعة ظاهرية آنيّة يشترك فيها كل الناس بكل مستوياتهم .

٢ ـ المتعة الفورية والخالدة :

فأهل المعرفة لا يقفون عند حدود هذه المتعة الفورية، انهم يجتازون الظاهر (الفوري) الى الباطن (الخالد) الذي يأتي بالمجاهدة والاستشفاف .

٣ ـ متعة الاكتشاف :

الذي يقرأ شعر ابن عربي ، وهو يعلم انه ذو بُعدين ، فانه يحاول مدفوعا بفضول الانسان وتوقه الشديد للمعرفة واكتشاف المجهول فيحاول ان يصل الى مرامي الرجل ، وان يسبر غور الرؤيا في تشكيل اللغة الاشارية فاذا وصل الى الهدف شعر بمتعة الاكتشاف ولذة العلم :

فاصرف الخاطر عن ظاهرها   واطلب الباطن حتى تَعْلَما

---

(٣) ابن عربي ، ترجمان الاشواق ، ص ١٠ .

النص : (ص ١٣٩–١٤٢ ترجمان الاشواق)

أضاء « بذات الأضا » بارقٌ — من النور في جوّها خافقُ
وصلصل رعد مناجاته ، — فأرسل مدراره الوادقُ
تنادوا:أنيخوا ، فلم يسمعوا — فصحتُ منالوجد:يا سائقُ
ألا فانزلوا ها هنا ، وارتعوا — فإني بمن عندكم وامق
بهيفاء غيداء رُعْبوبَة — فؤادُ الشجيّ لها تائق
يفوح النديُّ لدى ذكرها — فكلُّ لسانٍ بها ناطِقُ
فلو أنّ مجلسها هضمة — ومقعدها جَبَلُ حالِقُ
لكان القرارُ بها حالقاً — ولن يدرِكَ الحالقَ الرامقُ
فكلُّ خرابٍ بها عامِرٌ — وكلُّ سَرابٍ بها غَادقُ
وكلُّ رياضٍ بها زَاهِرٌ — وكلٌّ شَرابٍ بها رائقُ
فليلي من وجهها مشرق — ويومي من شعرها غاسق
لقد فَلَقَتْ حبّة القلب اذ — رماها باسهُمها الفالقُ
عيون تعوّدْن رشق الحشا — فليس يطيشُ لها راشقُ
فما هامةٌ في خراب البقاع — ولا ساقُ حرٍّ ، ولا ناعِقُ
بأشأمَ من باذل رحّلّوا — ليُحمَلَ مَنْ حُسنه فائقُ
ويترك صبّاً «بذات الأضا» — قتيلا ، وفي حبّهِم صادق

الكتـــابة :

للكتابة عدة علاقات تحكمها ، العلاقات المنطقية فيما يتصل بالدلالة ، والعلاقات النحوية فيما يتصل بالتركيب ..، فاللغة في معناها الاصطلاحـي موضوع خارجي ، موضوع تصالح عليه اهل اللغة .

غير ان « الموضوعية » المشروطة في اللغة لتؤدي وظيفة (التواصـل) بين المتحدث والاخر ـ موضوعية نسبية ، غير متساوية ، ومتباينة مـن شخص لاخر ، ومن مجال لاخر ، وهي في كل مستوياتها غير مجردة مـن الذاتية ، وإلا لما وُجد الاسلوب ، هذه « الاسلوبية » التي اصبحت علماً يدرس ويقيس درجة « التفاوت » ومستوى « الذاتية » في اللغة المستخدمة بين هذا وذاك .

وربما لا يصل الحد بابن عربي واصحابه « الاشاريين » الى القـول بأن لغتهم متصالح عليها ، لانها مخلوق قادم من الذات ، مخلوق استبطاني نعم ... إن ابن عربي يشير الى وجود تصالح نسبي بين « اهل الطريقـة » على حدود متفق عليها وجدانياً لا علمياً ، وحدسياً ، لا استقرائياً .. لذلـك كان المنهج في تشكيل الرمز الصوفي مخالفاً للرمزيّة في الادب .

الرمزية في الادب مقننة الى حد بعيد ، ويمكن فهم مرموزاتها لدارس الادب ، في حين ان الرمزية تتشكل في العرفان حدسيا فتحتاج الى حالة مـن التأجج الوجداني والروحـي في المتلقي تشابه حالة المبدع لكـي تقتنص مرموزاتها الشوارد .

إن تلك الحالة تشبه ما وصل اليه « حي بن يقظان » في قصة ابن طفيل المشهورة عندما تجاوز مرحلة المحسوس والمعقول ووجد ان المعرفة الحقيقية التي ينشدها ليست تلك التي تتحقق عن طريق الحس والعقل وانما هـي في الحدس حيث يقول :

« وما زال يطلب الفناء عن نفسه والاخلاص في مشاهدة الحق ، حتى تأتى له ذلك ، وغابت عن ذكره وفكره السماوات والارض وما بينهما ، وجميع الصور الروحانية والقوى الجسمانية ، والتي هي الذوات العارفة بالموجود الحق وغابت ذاته في جملة تلك الذوات ، وتلاشى الكل واضمحل ، وصار هباء منثورا .... واستغرق في حالته وشاهد مالا عين رأت ، ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .[4]

وهل بمقدور لغة العبارة ان تعبر عن ذلك الموقف وتصور تلك الحال بصورة تعبيرية تقريرية ؟ لذلك يشكو « حي » من عجز اللغة « إن العبارة في هذا الموضع قد تضيق جدا »[5] « وإن الالفاظ على كل حال توهم غير الحقيقة » واذا كانت اللغة تقف احيانا عاجزة عن وصف ما يخطر على قلوب البشر فكيف كما يقول « ابن طفيل » على لسان « حي » « بأمر لا سبيل الى خطوره على القلب ، ولا هو من عالمه ولا من طوره » !؟ ويضيف قائلا « ومن رام التعبير عن تلك الحال ، فقد رام مستحيلا ، وهو بمنزلة من يريد ان يذوق الالوان من حيث هي الوان ، ويطلب ان يكون السواد مثلا حلوا او حامضا .[6]

واذا كان ذلك كذلك فما هي الوسيلة للتعبير عن تلك الحال ، انها لغة الاشارة يقول ابن طفيل : « لكنا ، مع ذلك ، لا نخليك عن إشارات نومىء بها الى ما شاهده من عجائب ذلك المقام ، على سبيل ضرب المثل ، لا على سبيل قرع باب الحقيقة . اذ لا سبيل الى التحقق مما في ذلك المقام إلا

---

(٤) ابن طفيل ، حي بن يقظان ، تحقيق د. فاروق سعد (بيروت : ط دار الآفاق الجديدة ، ١٩٩٢) ص ٢٠٥ .
(٥) المصدر السابق نفسه : ٢٠٨ .
(٦) ابن طفيل ، حي بن يقظان ، ص ٢٠٦ .

بالوصول اليه »[7] . هذا الاستخدام الخاص للغة على هذا النحو يمكن التواصل معه عن طريق قدرة المتلقي على استيعاب ايحاءات الصورة ، وفك الرموز ، ويكون ذلك من خلال استنطاق النص ، والبحث عما لم يقله في الظاهر .

إن على متلقي النص ألا يقف عند حدود العبارة الظاهرة لانها لا تقول شيئا ذا بال ، وإنما عليه ان يشارك في النص ويفك رموزه ، يقول ابن طفيل « ولم نخل مع ذلك ما اودعناه هذه الاوراق اليسيرة من الاسرار عن حجاب رقيق وستر لطيف ينتهك سريعا لمن هو اهله ، ويتكاثف لمن لا يستحق تجاوزه حتى لا يتعداه »[8] .

إن الاشياء التي شاهدها « حي » في « مقام الصدق » عبّر عنها ابن طفيل بأسلوب ادبي وصفي ، وختم حديثه عن حالة « الكشف » هذه بقوله : « فهذا القدر هو الذي امكنني الان ان اشير عليك به فيما شاهد » حي بن يقظان « في ذلك المقام الكريم فلا تلتمس عليه الزيادة من جهة الالفاظ فان ذلك كالمتعذر »[9] « ويرى جابر بن حيان في كتابه » ميزان الحروف « ان اللغة ليست وليدة الاتفاق وليس هناك نظام يفسرها ، وإنما هي انبثاق عن النفس ومنها ، وهذا يفترض صلة جوهرية بين طبيعة اللغة وطبيعة الجسد ، تشبه الصلة بين النغم والوتر » . لا اظن ابن حيان يعني مطلق اللغة ، انه يعني الاسلوب ، وهذا فهم مبكر سابق على ابن خلدون ، وجومسكي ، فاللغة ، او الاسلوب هو الانسان ، لا الانسان هو الاسلوب ؛ لان الاسلوب (النغم) هو الانسان (الوتر) ؛ لان هوية الشيء شيئيته وليس وجوده ، والاسلوب شيئية من شيئيات الانسان ، الاسلوب او النغم

---

(٧) المصدر السابق ٢٠٦ .
(٨) المصدر السابق ٢٣٥ .
(٩) المصدر السابق ٢١٦ .

هوية « الانسان او الوتر » وماهيته ، والانسان وجود ، والوجود سابق على الماهية ـ تصورا ـ على الاقل ـ كما يقول بعض المناطقة فقول جابر ابن حيان (الاسلوبي) بالرغم من كونه متقدما على غيره إلا انه ـ على اقتضابه ـ يحمل تصورا ناضجا ومبكرا للعملية اللغوية الاسلوبية .

إلا ان حمل المعنى (الباطني) عند ابن عربي ـ مع ما فيه من استغلاق وغموض ـ على المحمل الاسلوبي لا غير ، يقودنا الى اتهام الرجل في كفاءته الاسلوبية التي تنكشف عن ذهنية مرضّية معقدة ، يسيطر عليها هاجس البحث عن اللامعنى عبثا وحبا في الظهور بمظهر معقد معتم غير واضح ، بل غير مبرر في عدم وضوحه إلا بمرض الالتواء اللغوي الفارغ !!

إلا ان ابن عربي ، لفهمه هذه الاشكالية ، ولكي لا نسيىء فهمه استدرك قائلا ، هو ومن سار على المنهج الصوفي ، والعرفاني ، بان الكتابة تبدو عندهم على هذه الشاكلة من الرمز و « الغموض » لقصور في اللغة وحروفها العاجزة عن تحمل الواردات والفيوضات العرفانية الروحانية المجردة ، إن المضامين السامية المطلقة والمنطلقة تأبى ان تقيّد او ان تستوعب في حروف الابجدية ، « ويعبرون عن ذلك بقولهم » :

وإن قميصاً خيط من نسج تسعة ٍ

وعشرين حرفاً عن معاليك يقصر

فلم يجد الصوفية ـ إذن ـ وسيلة يمكن التعبير بها عن معانيهم واذواقهم إلا الرمز الذي لم يجر على قاعدة واحدة سار عليها الصوفية ، وإنما اختلف باختلاف الموضوعات التي تناولوها » .

وقد اشتهر عن النفري انه قال : اذا اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة ، فهناك تناسب عكسي بين الرؤيا والعبارة .

وربما كانت تقنية عدم المباشرة هي التي جعلت ادونيس يثمّن اللغة الصوفية في كتابه « الصوفية والسوريالية » حيث قال : « يعني ذلك ان

اللغة الصوفية هي تحديدا ، لغة شعرية ، وان شعرية هذه اللغة تتمثل في ان كل شيء فيها يبدو رمزا ، كل شيء هو ذاته وشيء آخر ، الحبيبة مثلا ، هي نفسها ، وهي الوردة ، او الخمرة ، او الماء . إنها صور الكون وتجلياته ... »[10] .

وقد لجأ ابن عربي الى طرق متعددة في تكوين الرمز ذكرها الدكتور زكي نجيب محمود في بحثه عن طريقة الرمز عند ابن عربي هي باختصار :

« أ ـ الطريقة المجازية المألوفة في الشعر .

ب ـ الاشارة الى التاريخ .

ج ـ رموز جغرافية .

د ـ رموز ترتكز على التداعي الصوتي بين لفظتي الرمز والمرموز له »[11] .

غير ان الاقتصار على وصف عملية الرمز الصوفي بهذه الكيفية لا يطلعنا على علة الرمز ، وصيرورته ، بقدر ما يركز على الوصف الخارجي للرمز بعد تشكّله فيدرسه في عالم الوقوع لا في عالم الامكان والصيرورة والعلل .

إن إبن عربي ومن تبعه من المتصوفة يعللون اختيارهم «اللغة الاشارية» بعدة علل فتارة لضيق اللغة العبارية ، وتارة لضيق آفاق المتلقين والخوف منهم او عليهم ، الخوف من بطشهم بالصوفي اذا صرح بما لا يستوعبون ، والخوف عليهم من الدهش وشدته ، وعدم تحمل المعاني العرفانية اذا اخذوها مباشرة مما يصيبهم بصدمة لا يحمد عقباها . وتارة لحب الاستئثار بالمضامين الصوفية وعدم الرغبة في إشاعتها بين عوام الناس ، والحرص على اعطاء العلم لاهله ولمن يستحقه فقط ، لان من الحكمة ان تضع

(١٠) ادونيس ، الصوفية والسوريالية ، (ط بيروت ١٩٩٢) ص ٢٣ .

(١١) الكتاب التذكاري ، مجموعة من المؤلفين (ط القاهرة : ١٩٦٩) ص ٨٩ـ٩١

الاشياء في موضعها ، وان لا تعطي العامة مالا يصلح إلا للخاصة .

« وفي هذا يقول الغزالي :

فكان ما كان مما لست اذكره فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

ويقول ابن عربي في ذلك :

واما التصريح بعقيدة الخاصة فما افردتها على التعيين لما فيها من الغموض، ولكن جئت بها مبددة في ابواب هذا الكتاب مستوفاة لكنها متفرقة ، فمن رزقه الله الفهم فيها يعرف قدرها ويميزها فانها العلم الحق .

والعلوم في رأيه على ثلاث مراتب « علم العقل وهو علم لك ضرورة او عقيب نظر ، وعلم الاحوال ولا سبيل اليه الا بالذوق كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر . وعلم الاسرار وهو العلم الذي فوق طور العقل ، وهو علم نفث روح القدس في الروع ، ويختص به النبي والولي »(١٢) .

ينقل عن حبر الامة ابن عباس رضي الله عنه انه قال في تفسير آية « الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن » : « لو ذكرت تفسيره لرجمتموني ، وفي رواية لقلتم إني كافر ، ويشبهه قول الرضي :

يا رب جوهر علم لو ابوح به

لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي

يرون أقبح ما يأتونه حسنا »(١٣)

كلّ ما قيل وقلت سابقا مبني على فرض ان الشاعر الصوفي « ابن عربي » في حالة الكتابة يختار الرمز واعيا لصيرورته ، وقاصدا تشكيله وخلقه في هذا البناء والتركيب والمفردات والصور ، وهذا لا يعني ان وضع علامة

---

(١٢) عبدالحفيظ فرغلي ، الشيخ الاكبر محي الدين بن عربي سلطان العارفين (ط القاهرة ١٩٨٦) .

(١٣) المصدر السابق ١٩٢-١٩٣ .

استفهام على تلك الفرضية أمر غير مشروع بل هو مشروع جدا ، لانه يرد احتمال ان اللاوعي في حالة التأجج الروحي والنشوة والسكر الصوفي هو المسؤول عن تشكيل الرمز لا الوعي ذاته ، لاسيما اذا عرفنا ان ابن عربي (يدّعي) انه يكتب مثلهما محدّثا لا منتجا مختارا .. فالرمز هو الذي يختاره وليس هو الذي يختار الرمز ، ويؤكد ذلك ارتجاج ابن عربي في بعض المواقع ، وتكلمه بلغة احتمالية لا قطعية وهو يشرح شعره فيقول اما المراد فكذا او كذا .. فنجده وهو المؤمن لا يستطيع ان يوحد ـ احيانا ـ بين الشاعر (المبدع) وبين الناقد (الشارح) وهو هو ، كلاهما ابن عربي !

المنهج :

لعل الذي يفسّر هذا التضارب بين إنتاج النص ، وبين تعدد قراءته من قبل الشاعر الذي انتجه ، ان الشعر حالة وجدانية ذات لغة خاصة ، كذلك الحالة الصوفية مغرقة في الوجدانية ، ولغتها خاصة ، فاذا كان الشعر تصوفا والتصوف شعرا ، كان تكوينا خاصا لاشك في انه سيفقد شيئا من خصوصية اذا ترجم نثرا حتى من قبل المتصوف الشاعر نفسه ، لخصوصية الشعر ، بصفته هنا قالبا صوفيا ، اولا ، ولمحاولة نقل الاشارية في الشعر ، في لغة التصوف ، الى مرحلة العبارية واللغة التي يراد لها ان تكون اصطلاحية ، فتضيق العبارة ، لذلك يحاول المعبّر ان يعيد مرة واخرى صياغتها ، لانه يحوم بالعبارة حول المعنى الاشاري تطوافا وطوافا لعله يوصل اليك ما لا يصل إلاّ بالاشارة ـ ولو تعسفا ـ باستغلال كل طاقة اللغة العبارية .

وهو يمارس هذه العملية يحاول ان ينتهج غير نهجه في توضيح ما يريد ، في حين انه يعرف ان منهجه هو المنوط بالتحدث عن هذه الحالات الصوفية .

المنهج الوجداني :

هو طريقة الوصول الى معارف التصوف والافكار العرفانية . والوجدان ـ هنا ـ يوازي الحصول ، ذلك ان الحصول على المعرفة يعني اعمال الفكر

والروية ، في حين ان الوجدان يعني وجود المعرفة من غير إعمال الفكر او الروية .

وهو نوع من الالهام معتضدا بالنصوص المنقولة في إطار ما تؤول به على إعتبار ان دلالتها من نوع الاشارة لا من نوع العبارة .

ويعتمد فيه على الرياضة الروحية بغية ان تسمو النفس فترتفع الى مستوى الاهلية والاستعداد الكافي لان تلهم ما تهدف اليه .

قال الغزالي : « والقلب مثل الحوض ، والعلم مثل الماء ، وتكون الحواس الخمس مثل الانهار ، وقد يكون ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار والمشاهدات حتى يمتلىء علما .

ويمكن ان تسد هذه الانهار بالخلة والعزلة وغض البصر ، ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ، ورفع طبقات الحجب عنه حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله » .

ويستخدم هذا المنهج في علم العرفان والتصوف[١٤] ، لذلك تنتشر الرمزية في لغة التصوف ، ويخيم عليها الغموض ، لانها تنفتح على الوجدان وليس على المنطق والبرهان فان « التصوف تجربة ذاتية وحالة وجدانية يتذوق فيها السالكون لذة التقرب الروحي من الله واجب الوجود وخالق الوجود ، وهي حالة يشرق فيها قبس من نور الهداية الربانية على قلوبهم فيهديها اليقين »[١٥] .

لا نصية الدلالة :

عادة ما تكون الدلالة اللغوية اصطلاحية ، سواء في مستواها الحقيقي مثل كلمة (أسد) التي تدل على (الحيوان) ، او المجازي ، فتدل على

---

(١٤) د. عبدالهادي الفضلي ، اصول البحث (ط بيروت ١٩٩٢) ص ٦٠-٦١.
(١٥) د. عبدالستار الراوي ، التصوف والباراسايكولوجي (ط بيروت ١٩٩٤) ص ١١٥ .

الشجاع من الرجال • فالدلالة مصاحبة للمفردة اللغوية ، في حالة الافراد ، اما في حالة التركيب الجملي ، فان الدلالة تبدو عادة مصاحبة لسياقها ، فقد تكون المفردة في حالتي الافراد والتركيب ذات دلالة واحدة ، وقد يضيف السياق التركيبي اليها دلالات اخرى ، او يخلقها خلقا جديدا •

كل هذا الكلام معروف وممارس بسهولة وعفوية واعتياد يومي • وان الدلالة في كل ما قلت تبدو نصّا في اللغة واضح المعالم ، انه لا يختلف على تفسيره إثنان لانه نص محكم احتوى على منصوصة ، فكانت نصا في الدلالة •

اما المتشابه في المصطلح القرآني ، فهو ظاهر في الدلالة ، لانه وان كان مفتوحا على القراءة — كما يبدو — لاول وهلة ، إلا انه يوجد قانون يحكمه وهو بردّه الى المحكم يتحدد مفهومه ، فالمحكم في القرآن يمثل عنصر إضاءة للمتشابه ، لذلك قرن لفظ المحكم بالمتشابه في الآية : « هو الذي انزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » آل عمران : ٧ •

لاحظ ان المتشابه في النص القرآني لم يأت مستقلا ، إنه جاء مع المحكم في سياق متصل لا منفصل ، فالقرآن بسوره وآياته نص واحد يفسر بعضه بعضا ، ويضييء محكمه متشابهه في حين ان النص الصوفي لا توجد فيه الدلالة على نحو النصيّة (الاحكام) ولا على نحو (المتشابه) المردود دلاليا للمحكم •

فهو ليس نصا في الدلالة ، وليس ظاهرا في الدلالة ، فالدلالة في النص الصوفي لا نصيّة ، انها دلالة غائبة عن (الظاهر) حاضرة في (الباطن) والباطن بالنسبة لنا (غياب) والظاهر (حضور) ، فهي غائبة في الحضور ، حاضرة في الغياب •

فالكتابة الصوفية (لا نصية الدلالة) حضور في غياب ، وغياب في حضور لذلك تتطلب من القارىء ان يلج الى العمق متجاوزا السطح لينتقل من (لا نصية الدلالة) الى (دلالة اللانصية) وهذا الانتقال شرط في فهم الكتابة الصوفية ، انه القراءة الصوفية •

القـراءة (دلالة اللانصية) :

دلالة اللانصية تكمن في مواصلة عملية القراءة الصوفية ، القـــــراءة المتجاوزة وليس المجازية ، فالمجازية دلالتها جاهزة في النص ، اما التجاوزيـة فهي عملية حركية ونشاط وجداني حدسي هدفه اقتناص الاشارات الكامنـة (في لا نصيّة الدلالة) في العمق ، والما وراء ، وليس الموجودة في السطح في (الدلالة النصيّة) انه يغوص في اغوار النص ليستخرج دلالته اللانصـية • يتصيّد المرموزات والمعاني المشار اليها واعيا بالحدس والوجدان لا بالذهـن إنه في صدد البحث عن دلالته اللانصيّة في النص ، حتى يصل الى ما يستشعر وجدانيا انه عين اليقين •

التصوف والعرفان له طريقته في قراءة النصوص الاخرى ، إنه يسـحب منهجه في القراءة حتى على النص القرآني ، مشيرا الى ان القرآن اســتخدم العبارة والاشارة والرمز في بلاغه للناس ، وهو على ما يقولون ــ ظاهــــر وباطن ، ظاهره لعامة الناس وباطنه لاهل الحقيقة •

فاذا كان تعاملهم مع القرآن هكذا ، والقرآن نص إلهي مقدس ، وهــو منتج من قبل (الله) سبحانه وتعالى ، وليس من مخلوق صوفي مثلهم ــ اذا كان تأويلهم الصوفي يسحب على القرآن ، فكيف لا يطبق على الشـــعر ، والشعر لغه يشابه التصوف لغة ، وكيف لا نصل الى هذه الدرجة من الغيبيـة في التأويل ، وشعرهم صوفي يستخدم لغة الاشارة (الميتالغة) هذا الشـعر الصوفي الذي يقول عنه صاحب كتاب الرمز الشعري عند الصوفية بانه (في مجمله شعر ميتافيزيقي يحيل على موضوعات تَندّ عن اي وضعية فيزيائيـة ، وهذه السمة الميتافيزيقية تؤول الى فهم عاطفي للفكر ، وبعبارة ذاتي انها فكر متحول الى مجازات وتخيلات ، بيد ان الشعر الصوفي في ميتافيزيقيته ــ اذا استثنينا منه الشعر الوعظي والتعليمي والشعر الموغل في التجريد الخالـص ــ لا يقل عن الشعر الغنائي عاطفة وانفعالا بل إن هذه العاطفة هي الرابطة بـين

النزعة الغنائية والنزعة الميتافيزيقية في الشعر الصوفي ، الذي بدت رموزه الخاصة بالمرأة والخمر والطبيعة بمثابة كشف عن وحدة الفكر والشعور ، وهي وحدة تجاوزت الثنائية الشكلية ، وتخطت ازدواج النسق العام للفكر والاحساس الشعري ، وقاربت بين الشعر والفلسفة والتجربة الصوفية التي تعد بمثابة وضعية روحية .

إن رمزية الشعر الصوفي موسومة بطابع عرفاني ، وهي من هذه الوجهة رمزية عرفانية لا يتأتى معها عزل التعبير الشعري عن مقومات التجربة الصوفية، لانهما في نهاية الامر يحيلان على تضايف بين الشعري في رمزيته العرفانية ، وبين التصوف باعتباره علاقة دينامية بين الالهي والانساني[١٦] .

منهج قرائي :

لا شك في اننا نستمتع احيانا بالافكار العرفانية حينما تشرق في وجداننا ، ولا تصطدم في الوقت نفسه مع بداءة العقول ومسلمات الامور فيما نتصور ونعتقد .

غير ان المنهج الوجداني في القراءة الصوفية والعرفانية لا يخلو من شطحات ، ومن تأويلات تبدو في بعض الاحيان فجّة ومتعمّلة، وغير مستساغة ذوقيا ، هذه الاشكالية في المنهج الوجداني واردة ، وظاهرة فيه لما فيه من إغراق في الذاتية والاستبطان الذي يُعَوِّم المقاييس ولا يجعلها حديثة وموضوعية كالمقاييس في المنهج العقلي ، وانشغالي بالتفكير بهذه الاشكالية اوحى لي بحل بسيط ، اهتديت اليه وانا اتعقب منهجية التفكير العرفاني ، واتشرب ما اشعر بصفائه منها ، فتمثلت المرجعية العرفانية في التأويل وانا اقرأ هذه الآية من الكتاب العزيز :

« فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

---

(١٦) د. عاطف جودة نصر ، الرمز الشعري عند الصوفية ، (بيروت . ط٣) ص ٥٠٧ـ٥٠٨ .

هذه الآية يتعامل مع ظاهرها الفقهاء ، ليقرروا ان فعل (استعذ) فعل امر ، وفعل الامر يدل على الوجوب ما لم يقترن بقرينة تصرفه الى الاستحباب .. فينفي بعضهم على هذا الاساس بوجوب الاستعاذة (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) قبل قراءة القرآن ، في حين ان بعضهم من الفقهاء ــ الاقل تشددا ــ او من الذين عثروا على القرينة الصرفة ــ يفتي باستحباب الاستعاذة قبل التلاوة . والقرينة ربما تكون داخلية في النص ، او خارجية من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

إلا انني حين اتمثّل المرجعية العرفانية في التفكير والتفسير والتأويل فسأقرر ان القراءة هنا في الآية : « فإذا قرأت القرآن » تعني القراءة المفسِّرة المستوعبة للنص القرآني وابعاده ، فهي التفسير ، سواء كان بقراءة جهرية ام إخفاتية ، ام كان مجرد القراءة بالمعنى (الحديث) الشائع الان ، اي استنطاق النص والابحار فيه والانفتاح عليه ، والتأمل في ابعاده ، فهي قراءة ناقدة بمعنى فاحصة ، مكتشفة ، لاسرار النص ، القراءة تساوي (العملية النقدية) في التعامل مع النصوص ، وهنا مع القرآن التفسير المطلق بكل ادواته المتاحة (المشروعة) طبعا .

واذا لم تكن القراءة بهذه المعنى ، فما معنى الاستعاذة بالله قبل قراءة القرآن والقرآن كله استعاذة واستعانة بالله ، فالقرآن كله عوذة لقارئه فعليا من الشيطان الرجيم ، وهناك آيات واحاديث في القرآن والسنة تنص على ان القرآن عوذة من الشيطان لقرائه ، والمعوّذات سورتان من القرآن ، وهما بعض من القرآن ، اسمها دليل كاف على هذه الخاصية في القرآن الكريم .

ايضا لو كان المقصود بالقراءة (التلاوة) ، لكان الامر بالاستعاذة يفيد الوجوب ، ما لم ترد قرينة صارفة ، وسيرة المسلمين جارية على عدم وجوب الاستعاذة قبل قراءة القرآن ، بحيث ان القارىء إن لم يستعذ قبل القراءة لا يأثم .

في حين ان الذي يقرأ القرآن (بالمعنى الحديث) للقراءة ، اي يفسّره ، إنه ما لم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم سيقع حتما في الاثم ، والاستعاذة هنا

بمعناها الواسع ليست مجرد قول ، إنها فعل وممارسة ، إنها منهج علمي او قضية كبرى من قضايا المنهج الذي اصطلحت عليه (بالمنهج القرآني) • فهو له ان يقرأ القرآن مفسرا لكن عليه ان يلتزم بما يدعوه القرآن الى الالتزام به ، وان يعي كيفية التعامل مع القرآن كما يريد منه القرآن ذلك ، هذا الوعي لا يتشكل او لا يحافظ على تشكله باستمرار مالم تستمر عملية الاستعاذة ، عملية استبعاد ونفي « الشيطانية » فكرا وعملا ، وسوسة وشطحات ، ولا يكون ذلك إلا بالالتزام التام بالمنهج القرائي المستعين بالله ، المنهج الذي يستنطق القرآن ولا يستنطق عليه ، هذا المنهج لا ينفي الوجدان كعنصر مهم من عناصر تذوق المعاني السامية ، والاشارات الروحية في القرآن الكريم ، فالقرآن يتعامل مع الانسان على اساس انه روح وعاطفة ووجدان ، كما هو جسد وعقل ••، فلك ان تقرأ القرآن وجدانيا لكن عليك ان لا تشطح فتنفي العقل والنقل والمسارب الاخرى في الدخول الى النص القرآني ، عليك ان تستعين بالله في فهم كلامه ، كما تستعيذ به من الشيطان الرجيم وحالات النفس الشيطانية المندفعة الجامحة حتى لا تقع من شاهق ، ولا تقف على محرم ، عليك الالتزام باشارات المرور •

ربما ما توصلت اليه في استشفاف المنهج القرائي من هذه الآية الكريمة يكون صحيحا وربما لا يكون ، المسألة تحتاج الى بحث ، وربما هناك من قال بهذا القول من العلماء والمفسرين ••

تحليل النص :

حوار مع ابن عربي (الناقد) في تحليل نص ابن عربي (الشاعر) :

قال الشاعر :

أضاء « بذات الأضا » بارقٌ ــــ من النور في جوِّها خافقُ

قال الناقد :

يقول : لاح لي مشهد ذاتي « بذات الأضا » من « تهامة ؟ » ، يريد بما أضاء لي في مقام التواضع من الرفعة عنده فانه من تواضع الله رفعه الله فيظهر

نور الرفعة للعارفين في عين التواضع وهو مقام العبودية ، ولهذا قال : في جوها خافق ، لما كانت تتضمنه •

الحـــــوار :

الملاحظ ان ابن عربي صَدَّر تحليله للمطلع بكلمة (يقول) وابن عربـي الناقد هنا يتحدث عن ابن عربي الشاعر بضمير الغائب (يقول ، يريد ، قال) ، وهو دليل على شعوره انه يقوم بعملين مختلفين (نثر/شعر) و (عبارة/إشارة)، فلابد من الفصل بين الموقفين •

استخدام الموقع الجغرافي رمزا (ذات الاضا من تهامة) واضاء/الاضـا بينهما تقارب اشتقاق وجرس موسيقي ، والضوء النور ، وهو البارق (البرق)•

ومكان الانارة في ذات الاضا (تهامة) التي يوحي جرسها الموســـيقي بالتهيام والهيام وهو من معاني العشق ، والنور في جوها يخفق « بـــذات الأضا » فالعملية عملية إنارة وتسليط اضواء فيها كشف وتجلٍّ لمقام العبودية والرفعة للعارفين لأن النور نور الرفعة في عين التواضع •

الشاعر : وصلصل رعـد مناجاته ، فأرســل مدراره الــوادقُ

الناقد : قوله : وصلصل رعد مناجاته ، البيت بكماله ، يقول : وخاطبهـا مخاطبة تعليم وتفهيم فكسبت من العلوم التي كنى عنها بالمدرار على حسـب ما اقتضاه الشهود •

الحوار : الرعد رمز المناجاة الالهية عنده ، كما ان البرق مشهد الـذات الالهية يذهب بالابصار ولا يكاد يتحقق ، فالبرق لا يريك إلا لمعانه ، فيكـون اللمعان حجابا عليه ، فنحن لا نرى البرق وإنما نرى سناه ، والبروق ترمـز الى الصورة في عالم الشـهادة ، لتنـوعها وسرعة زوالها ، ومـن هنا كـان « البرق » •(١٧) وهو تأسيسا على البرق (البارق) في المطلع فاعل ، والرعـد

---

(١٧) الكتاب التذكاري ، مجموعة من المؤلفين ص ٩٠ .

رمز المناجاة الالهية والمناجي منفعل يطرح هنا نظرية الفيض الالهي ، وهو ان الله عنده مطلق الكرم وعلى العبد ان ينال ويغرف من كرمه وبحر جوده ما يريد حسب استعداده . وهذا واضح في قوله : وخاطبها اي خاطب النفس ، مخاطبة تعليم وتفهيم فكسبت من العلوم المدرارة .

الشاعر : تنادوا:أنيخوا ، فلم يسمعوا   فصحتُ من الوجد:يا سائقُ

ألا فانزلوا ها هنا ، وارتعوا   فإني بمن عندكم وامق

الناقد : لما كانت العلوم ليست مطلوبة لانفسها وإنما تطلب من حيث متعلقها كان الشغف من العالم بالمتعلق لا بالعلم ، وهو الذي اراد بقوله : بمن عندكم يخاطب العلوم فان عندها متعلقها اي بكم اصل اليه . وقوله : تنادوا أنيخوا ، اي اثبتوا ها هنا عند من يطلبكم ويتعشق بكم ، اذ ليس كل قلب يطلب هذه العلوم فكأنه مثل الناصح لها . اي انزلوا في محل من يهواكم ويفرح بقدومكم فتحظوا وترفعوا ، يريد تبقوا عنده ، ألا ترى الى العلوم التي تعطي الاعمال اذا كان صاحبها تاركا للعمل يمقته عمله ويتمنى انه لم يكن عنده ، فان حياة ذلك العلم إنما هي العمل فكأنه حصل عند من ليس له بأهل ، كما ورد : لا تعطوا الحكمة غير اهلها فتظلموها . فقد نسب الظلم لمن جعل الشيء في غير اهله وجعل ذلك الشيء مظلوما .

الحوار : الفكرة واضحة عند ابن عربي الناقد ، فهو يقرر ان العلم وسيلة لا غاية ، وان العبرة بمتعلق العلم لا بالعلم نفسه ، وان العلم بلا عمل ضرب من العبث ، وخرق للحكمة ان تعطي العلم من ليس اهله اي من لا يعمل به ، وان ابن عربي الشاعر يجسّد هذه العلوم ويقول (عندكم) تشير الى العلوم ، وليس في شعره ما يشير الى ما قرره نثرا ، ولولا شرحه لما فهمنا قوله ، لبعد رمزه وذاتيته ، ومنحاه الاشاري .

الشاعر : بهيفاء غيداء رُعْبوبَة   فؤادُ الشجيِّ لها تائق

يفوح النديُّ لدى ذكرها   فكلُّ لسانٍ بها ناطقُ

الناقد : يقول : متعلق هذا العلم صفة اذا تجلت في عالم التمثل كانت معتدلة الخلق ، مائلة لمن يهواها ، طرية الحسن ، تتوق اليها الافئدة التي نار الاصطلام تطلّع عليها ، ومهما ذكرت في مجلس عطر المجلس ذكرها الطيب فصارت معشوقة بكل لسان فيرتاح للنطق بها ، فكأنها صفة تأخذها العبارة وسببه كونها ظهرت في عالم التمثل فغيّرها النعت ، لكن يعلم السامع العالم ما أشار اليه المعبر في هذا النعت كما عرف ما اشير به حقيقة العلم والفطرة التوحيدية .

فغيّرها (النعت) في عالم التمثل لكن يعلم السامع العالم ما (أشار) اليه طرح فكرته الصوفية ، وهو يلجأ الى الرمز الانثوي باعتبار الانثى الرحم الذي ينتج الوجود ، ومنه كانت البداية . وابن عربي الناقد يستخدم مصطلحات صوفية مثل (التعلق) و (التمثل) ونار الاصطلام ، صفة تأخذها (العبارة) فغيّرها (النعت) في عالم التمثل لكن يعلم السامع العالم ما (اشار) اليه المعبر ، كما عرف ما اشير به من حقيقة العلم والفطرة التوحيدية ، فهو يستخدم كل هذه المصطلحات هنا ويشير الى عجزه عن توضيح المشار اليه بالعبارة .

الشاعر : فلو أنّ مجلسها هضمة ومقعدها جَبَلٌ حالِقُ
لكان القرارُ بها حالقاً ولذا يدرِكَ الحالقَ الرامقُ

الناقد : يقول : من علو شأنها يعلو بها كل من قامت به . يريد ان كل علم يوصلك الى حيث متعلقه ولهذا العلم بالذات الالهية لا يصح اصلا لانه لا يوصلك اليها لعزتها ، وإنما تصل على قدرك وعلمك بها ، فلو كان مجلسها موضعا منخفضا ، ومقعدها جبلا مرتفعا ، لكان المنخفض بها مثل الحالق من غيرها ، والحالق لا يدركه الرامق لعلوها ، فكيف اذا اتفق ان تحل في قلب له علو بمنزلة الجبل الحالق ، فأين ينتهي به من الرفعة والشأن ! قصد علو المكانة .

الحوار : لا اعتقد ان اللغة التي استخدمها ابن عربي الشاعر نزيهة بالرغم من ان المعاني التي اوردها الناقد معاني عالية ، العلم والتعلق ، وعلو المنزلة والمقام الادريسي ، والمكان العلي الذي رفعه الله اليه .

الشاعر : فكلٌ خرابٍ بهـا عامرٌ وكلَّ سرَابٍ بها غَادقٌ

وكلٌ رياضٍ بها زَاهِـرٌ وكلٌ شَرَابٍ بها رائقٌ

الناقد : يقولُ : فكل قلب خرب بالغفلات واشباهها من رؤية الاكوان اذا حلت فيه او تجلت له يعمر وانقادت اليه جميع العلوم ، كماورد في خبر الضربة للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فعلم منها علم الاولين والاخرين .

الحوار:إنه يصر علىاستخدامالثنائيات الضديةفالخراب بها عمار،والسراب غادق . وهي من تقنيات الشعر الصوفي/غياب/حضور ، خفاء/تجلّي .. ثم يشير الى اكتساب العلم الفيضي بالوجدان والتخلية والتحلية في الكون حينما يتجلى في الذات ويعمر القلب ، حين لا يلتفت اليه الا الى المحبوب الاعظم فتنقاد له كل العلوم ، ثم يحيل على قصة الضربة ناسبا إياها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

الشاعر : فليلي من وجههـا مشـرق ويومـي من شـعرها غاسق

الناقد : يقولُ : وقد حصل لي بها علم الغيب من شعرها وعلم الشهادة من وجهها ، فاشرق ليل هيكلي الطبيعي من نورها ، وصار عالم شهادتي بوجودها عينا عند النظر ، اي حصل لي من القوة بحيث ان اظهر في الصورة المختلفة لمعالم الغيب كما هو الخضر وبعض الاولياء كقضيب البان وغيره .

الحوار : لقد وفق ابن عربي الشاعر كما وفق الناقد ، انه لتفسير وقولُ لطيف ان يكون شعرها رمز الليل ، ووجهها رمزا للاشراق ، والليل يكون رمزا لعالم الغيب ، والاشراق لعالم الشهادة ، ثم يدعي حصول نوع من القوة له خارقة للعادة بحيث يظهر في الصورة المختلفة ، ويقولُ : ذلك حاصل للخضر

وقضيب البان وغيره من الاولياء • ومجال هذه الادعاءات في علم الخوارق •

الشاعر : لقد فَلَقَتْ حبَّة القلب اذ رماهـا باسـهُمها الفالقُ

الناقد : يقول : هذه النكتة حبة القلب رماها بها الخالق سبحانه ، مـن قوله : فالق الحب والنوى ، وفالق الاصباح ، في حبة القلب ، عندما فلقهـا من العلوم والتجليات •

الحوار : إنه يوظف المعاني القرآنية ، في استخدام المفردات والصفات ، فهو يصف الله سبحانه وتعالى بالفالق ، فالق الحب والنوى وفالق الاصباح ، ثم يجعل الاصباح منفلقا في حبة القلب وليس في الافاق ، بل في انفسكم •

الشاعر : عيون تعوَّدْن رشق الحشا فليس يطيشُ لهـا راشـقُ

الناقد : قوله : عيون ، يعني المناظر العلوية تعودن إصابة القلوب التـي تعشق وتعلق بها ، فهي ترميها بما عندها من العلوم والهبـات فتصيبها ولا تخطئها ، فان الرقيقة الممتدة بين القلوب وبين هذه المناظر متصلة اتصال الدخان بالسراج من رأس الفتيلة •

الحوار : ظاهر البيت غزلي جميل ، واستبطانه في النقد جاء اجمـل ، فالعيون لانها عالية وعزيزة جاءت رمزا للمناظر العالية ، وكونها ترشق القلوب بالعلوم والهبات كما ترشق الحجارة ، تشبيه لطيف ، والقلوب الرقيقة تقبـل رشقاتها وهي متصلة بالمناظر العالية اتصال الدخان بالسراج من رأس الفتيلة ، إنه تصوير رائع ينم على خيال خصب ومعنى صوفي عميق ، فالدخان فيـه كثافة لكنها لطيفة رقيقة (القلب) وفيه ظلمة عليه حواجب المادة والعالم المادي والجسد ، لكنه متصل باللطافة وبالنار وبالاشراق اتصالا مباشرا ووجـوده ممتد بوجوده •

الشاعر : فما هامةٌ في خراب البقاع ولا ساقُ حُرٍّ ، ولا ناعِقُ
بأشأمَ من بـاذلٍ رحَّلوا ليُحمَلَ مَنْ حُسنُه فائقُ
ويترك صبّاً «بذات الأضا» قتيـلا ، وفي حبِّهِمْ صادق

الناقد : يقول : لا شيء أشأم من حالة تحول بينك وبين هذه الصفة الالهية التي تحيي القلوب بوجودها ، فان الحال اذا قام بالقلب ملكه ويبقى السر الرباني الذي اضاء له هذا المشهد الذاتي طريحا لا معين له على دوام ما قد لاح له مع صدقه في التوجه اليه . وذلك لطريان هذا الشؤم الذي كنى عنه بالباذل ، وجعله حاملا لهذه الصفة المحبوبة لكونه حال بينه وبينها بحلوله .

الحوار : يختم ابن عربي النص ونقده بتقرير شدة ضجره وشؤمه من كل ما يحول بينه وبين الصفة الالهية التي تحيي القلوب ، والقلب رمز للتقلب ؛ فهو في حالة الاتصال فيه إشراق ونور المحبوب ، وفي حالة وقوع الحجب بينهما يصاب بالظلمة فهو يكره هذه الظلمة ، ويصفها بالشؤم ، ويتفاءل بالاشراق والنور ويتوق له .

الى هنا ، وبعد طول عناء وتفكير ، وكثرة قراءة وتأمل ، اكون قد انهيت هذه القراءة حول ابن عربي في « ترجمان الاشواق وقد انتهجت هذا المنحى من الكتابة تمثلا لطريقة القوم في عرض افكارهم ، ولا اخفي صعوبة التعامل مع الانتاج الصوفي والعرفاني ، لاسيما اذا كان شعرا ، انه إنتاج اذا اطلعت عليه ضاقت العبارات في الكتابة عنه ، لما يوفر لك من اتساع في الرؤيا ، ولا اكابر في ادعاء ان هذا الاتساع يساوقه الوضوح والاستيعاب . إنه اتساع في الرؤيا لكنه اتساع سرابي لا يروي العطش إلا من رذاذ وقطرات ندى هنا وهنا تبل بها حرّ الصدى ، لانك مازلت في اول الطريق .

المصــادر والمراجــع

١ ــ محيي الدين ابن عربي ، ترجمان الاشواق ــ بيروت ١٩٦٦م .

٢ ــ ابن طفيل ، حي بن يقظان ــ تحقيق : الدكتور فاروق سعد ــ بيروت ، دار الافاق الجديدة ١٩٩٢م .

٣ ــ الكتاب التذكاري ــ مجموعة من المؤلفين ــ القاهرة ١٩٦٩م .

٤ ــ عبدالحفيظ فرغلي ، الشيخ الاكبر محي الدين عربي سلطان العارفــين ــ القاهرة ١٩٨٦م .

٥ ــ الدكتور عبدالهادي الفضلي ــ اصول البحث ــ بيروت ١٩٩٢م .

٦ ــ الدكتور عبدالستار الراوي ، التصوف والباراسايكولوجي ــ بيروت ١٩٩٤م

٧ ــ الدكتور عاطف جوده ، الرمز الشعري عند الصوفية ــ بيروت .

٨ ــ ادونيس ، الصوفية والسوريالية ــ بيروت ١٩٩٢م .



"THE TEXT TO IBIN ARABI BETWEEN SENTENCE AND SIGN, A STUDY OF ONE OF HIS POEMS"

Dr· Younus Shonwan

ABSTRACT

This research is a try, aims to provide the most features of the mysficism (sufism) methods which Ibin Arabi depended on in poetizing his poetical work (turchuman Al-Ashwaq) (interpretation of desire) by acquainting with one of his poem of this poetical work and onalysing it professionally depending on the language of conversation and trying to discover, the relationship between Ibin Arabi's sentences and signs through a slowly study focuces on what the pronunciations and dentences indicated to which the mysticism represented by Ibin, came upon and invented by it his poetic view which derended on two meanings, one is visible and the other is invisible, they are ruled by the language of sentence and sign, reaching to establish enjoyment with three levels, the first is visible and immediat, the other is immart'al that one can reach to by diligence, the third is the enjoyment of exploration of what is invisble and unknown by using symbole as a mean of expression of meanings, inclinations and knowledge, and reading a poem is to follow its verses through a critic analying view which considers Ibin Arabi as a poet, and criticizing his poem by explaning the mystry and indicating to its symbole and signs.

THE POLITICAL AND ECONOMICAL DIMENSIONS OF GLOBALIZATION AND THEIR EFFECTS ON ARAB WORLD.

Dr. Khazi Al-Rubaba'a

University of Jordan — Amman

ABSTRACT

This study is designed to shed some light on the political, economic and cultural dimensions of globalization phenomenon. It intends to examine the negative and positive impact of its application in the contemporary New World order. It reviews both opposing and supporting ideas to reach the best possible view regarding the mechanism of dealing with international variables that globalization tries to impose. The west-oriented globalization forces are taking advantages of the communication revolution presented in all kinds of satellites, international computer networks, and the pursing of western capital to compete globally. Such global competition is done through the international trade agreements, international financial institutions such as the World Bank.

The international competition is done on unequal basis between advanced capitalist's countries in the western world and third world countries. The study concludes that as far as the Arab Muslim world is concerned, it should acquire a clear and definite sense of understanding of this steadily invading phenomenon, globalization. Based on that, the study calls on the Arab Muslim world to develop a frame to face up for these challenges in a way designed to secure the strategic interests of the nation.

SOME TRAITS OF TECHNICAL TRANSLATOR AND METHODS OF HIS PREPARATION

Prof. Dr. Dakhil H. Jerew
President of the University
of Technology
Members of the Iraqi Academy

ABSTRACT

A translator whether man or machine is considered the main pivot on which translation rests As a result strenuous efforts should be made to prepare well technical translators so that the translator has both scientific caliber and technical training in his field of specialization and linguistic competence, using the language intelligibly and having a good command of the language he is transiting from to ensure the highest accuracy both linguistically and scientifically. The same thing applies to machine translation which requires the efforts of teams of Arab linguists and computer specialists.

Computational linguists shoud be encouraged to improve machine translation which we stand in need as the world witnesses an explosion information and knowledge we have to keep up with,

This research shed light on the specifications and requirements for preparing technical translators and means for upgrading technical translation to achieve the desired progress for our country.

ROLE OF CHEMISTRY IN SERVICE OF THE MODERN AGRICULTURE

Dr. Jalal M. Saleh

ABSTRACT

The work of early " agricultural chemist " was concerned mainly with measuring the amounts of essential elements by crops and how these could be replaced by fertilizers. Next came empirical chemical methods for estimating the amounts of plant nutrients in the soil available to crops and thus additions of fertilizers needed for the most profitable yields. Chemists are now using mathematical modeling to establish the processes in the soil-root interface and in the plant. These models allow more accurate predictions to be made of the amounts of fertilizer needed and the optimum times of applicaton.

The use of polymers as soil conditioners is still in its early stages. However, on certain soils as sandy soils, silty, loamy and silty clays, polymer treatment has proved effective and economically viable. With increasing pressure on agriculture to feed more people and to avoid famine situations, polymer conditioning technology has a lot more to offer.

Key Words

Carbon appetite, Crop nutrition, Dicalcium phosphate, Fertilizers, Fluorapatite, Soil Conditioners.

DEVELOPMENT OF SOUTH KOREA

Dr. Najih M. El-Rawi

ABSTRACT

South Korea gained a great economic and industrial progress during the last four decades The paper deals with the Korean background, the educational system, the organization of science and technology, the financial organizations; and the role they plaied in the process of technology transfaring. The success obtained in the development of S. Korea, particularly in the fields of electronics, ships, and car industries were explained. A look on the future of of S. Korea due to the competition from south Asian Countries and from the future burdem of unity between South and North Korea was sited.

Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal - Established 1369 H - 1950

Add : ACADMY OF SCIENCES.

P. O. BOX 4023 AADAMEA, BAGHDAD - IRAQ

Tel : 4221723 - 4222066 Fax : (964 - 1) 4254523

E-mail : aos@uruklink.net

— Annual Subscription : In Iraq (4000) I. D.

— Outside Iraq (50 Dollars) air mail not included

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٧٦ لسنة ٢٠٠٠



Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

No. 3

Vol. 47

1421 H—2000